

كتاب العقد الفرید للملك السعيد
تأليف أبي سالم محمد بن طلحة
الوزير تغمده الله بعفوانه
وأسكنه جحوده
بخدمته آمين
آمين

قال في كشف الظنون

(العقد الفرید للملك السعيد) لأبي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي الوزير
المتوفى سنة ٣٠٥ هـ اثنتان وخمسين وستائة أوله الحمد لله حامی حوزة بلاده بملوك الخ
جعل له على أربعة فواعيد (الأولى) في مهمات الانعلاق والصفات (الثانية)
في السلطنة والولايات (الثالثة) في الشرائع والديانات (الرابعة) في تكميل
المطلوب بأنواع من الزيادات

صفحة	
٤	مقدمة الكتاب
٦	التأدية الاولى في مهمات الاخلاق والصفات وهي تسئل على عشرة أبواب
٧	الباب الاول في العقل وما ينشئ عليه في عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض
	العبادات اللازمة
٨	فراصة سيدنا سليمان
٨	الاستدلال على عقل الانسان
٩	حكاية عن قلة العقل وسوء النية
١٢	حكايات عن وفور العقل وكونه سبب التقدم
١٣	حكاية بديعة عن كرم النفس
١٥	عن ذكاء أياس
١٦	خاتمة لهذا الباب
١٧	نصائح للملوك
٢٠	عقيدة المؤلف
٢١	أركان الاسلام
٢٢	خاتمة
٢٤	الركن الثالث من أركان الاسلام الزكاة
٢٥	الركن الرابع صوم شهر رمضان
٢٥	الركن الخامس الحج
٢٦	الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وضم البهز والتسرع
٢٧	لطيفة عن فوائد الصبر
٣٠	نقصة في اضرار البهز
٣١	تذكرة نافعة وتبصرة جامعة
٣١	هداية وانحة وبداية صالحة
٣٢	قصة عن صبر نوح
٣٢	قصة عن صبر ابراهيم
٣٣	قصة عن صبر اسحاق
٣٤	قصة عن صبر يعقوب
٣٤	قصة عن صبر أيوب

صفحة	
٣٤	خاتمة هذا الباب في الفقر الموضوع والدر والمسموعة
٣٩	الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه
٤٠	حكاية بليغة عن كفران النعمة
٤٩	خاتمة لهذا الباب في الحكم المحسان النازلة في جيد الزمان منزلة قلايد العقيان
٤٢	الباب الرابع في المشورة وبركاتنا وذم تركها ومجانبتها
٤٣	تهذيب واضح وتنبيه لا يبع
٤٤	اشارة عزيزة وعبارة وجيزة
٤٤	حكاية عن فوائد المشورة
٤٥	مطلب في اضرار ترك المشورة
٤٦	لطيفة في فوائد المشورة
٤٧	من استشار نجما من النار
٤٩	حكاية عن فوائد المشورة
٥١	خاتمة لهذا الباب في الحكم المقولة والالفاظ المنقولة
٥١	الباب الخامس في الانصاف والعدل في الرعية وذم الظلم والاجحاف في البرية
٥٣	اعتبار واستبصار في العدل
٥٤	ومن تداول الاسنة على طول الازمنة
٥٥	اعتبار نافع وتذكير جامع
٥٦	لطيفة عن شر الجور
٥٨	نفيسة عن عدل ابن طولون
٥٩	عجبة عن عدل عمر بن الخطاب
٦٠	حكاية عن عواقب الظلم الوخيمة
٦١	تذكرة وبصرة
٦١	غريبة عن عدل المعتمد على الله
٦٣	حكاية عجيبه عن عدل الخليفة المعتمد بالله
٦٥	شفاء وموعظة وأشياء موقظة
٦٦	نادرة قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة
٦٩	الباب السادس في الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف
٧٠	حكاية عن اضرار الخلاف وفوائده الائتلاف
٧٢	زيادة ايضاح وبيان وافادة ملح حسان

صفحة	
٧٣	قصة الاوس والخزرج
٧٨	خاتمة لهذا الباب
٧٨	الباب السابع في مدح الودع وذم الغدر
٧٩	نادرة في الوفاء
٨١	غريبة وما جازء الاحسان الامثلة
٨٤	نادرة تقرير بيان وتقرير برهان
٨٥	غريبة تأكيدي اضاح وتبديد افتتاح
٨٦	تسمية واستبصار وتذكير واعتبار
٨٦	جوهرة حديث العمول بن عادي
٨٧	غريبة قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري
٨٨	افادة تهذيب وزيادة تقرير
٨٩	لطيفة عن وفاة جميل
٨٩	نادرة عن عدم نسيان احسان البرامكة
٩٢	في ان الوفاء يحصى من المعالي
٩٥	الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة
٩٧	تمتظ ازديشير وعمر بن الخطاب
٩٨	حكاية عن تقصد عمر بن الخطاب لاحوال رعيته
٩٨	لطيفة أخرى عنه
٩٩	تطالع معارضة لاحوال رعيته
١٠٠	غريبة عن تمتظ المنصور
١٠١	نادرة عن تمتظ المنصور
١٠٤	تهذيب واعتبار وتقرير واستبصار
١٠٤	مخبرية عن التواني
١٠٥	انقضاء وانعاض
١٠٥	تفهيم اهتداء وتعليم اقتداء
١٠٦	لطيفة عن احتمال الخسار
١٠٧	فطانة تبديد بيان وتأكيدي برهان
١٠٩	الباب التاسع في العفو واصطناع المعروف
١١١	بداية وهداية

صفحة	
١١٢	تأ كيد سنان وتحدد يد رمان
١١٤	استبصار مهتمدوا اعتبار فقتد
١١٥	حكاية عن المنصور
١١٦	موعظة بلغة محض الحكام على تطالع أسوال رعاياهم
١١٨	تذليل إشارة وتسهيل عبارة
١١٨	بدبعة عن الحجاج
١٢٠	تهدية قاعدة وتحدد يد فائدة
١٢٠	غريبة عن واقعة يزيد بن المهلب
١٢١	لطيفة وهي واقعة الكوفي مع معن ابن زائدة
١٢٢	غريبة ومن غرائب هذا المطالب وبعثات هذا الاسلوب
١٢٣	جوهرة قضية عبد الله بن مالك الذي كان ينفذ أوامر الخليفة ويتخالف آيته
	ثم تولى آيته الخلافة فقربه إليه
١٢٤	غريبة
١٢٦	خاتمة لهذا الباب
١٢٦	الباب العاشر في مدح الصدق وذم الكذب
١٢٧	ومخاضه زيادة استبصار وإفادة اعتبار
١٢٧	حكاية الغار
١٢٨	نفسه قضية الثلاث الذين تخلفوا في غزوة بؤك
١٣١	زيادة وإفادة في ضرر الكذب
١٣٢	حكاية عن قضية الأقربع والأبرص والاعمى وهي تشتمل على ضرر الكذب
١٣٢	القاعدة الثانية في السلطنة والولايات
١٣٢	الباب الاول
١٣٦	السبب الاول في الكبر والتعبر
١٣٦	السبب الثاني في الحب
١٣٧	السبب الثالث في الغرور
١٣٧	السبب الرابع في الشح
١٣٨	السبب الخامس في الكذب
١٤٢	تحدد اذ استباح وتأ كيدا يوضح واجبات الساطان
١٤٣	الباب الثاني في الولايات
١٤٤	الوزارة

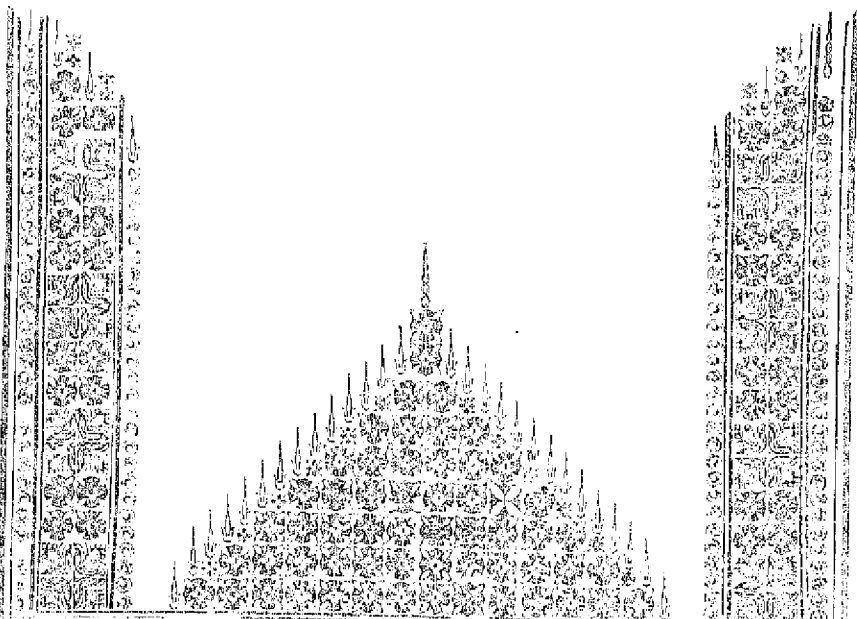
صفحة	
١٤٦	وزير التفويض
١٤٦	وزارة التنفيذ
١٤٧	كتابة الانشاء
١٤٨	كتابة الانشاء أيضا
١٥١	استعارة
١٥١	التشبيه
١٥١	الكناية
١٥٢	الاطناب
١٥٢	المغالطة
١٥٢	التضمين
١٥٣	الاستدراج
١٥٣	المساذي
١٥٣	المخالف
١٥٤	كتابة الجيش
١٥٦	صاحب ديوان الجيش
١٥٦	ترتيب القبائل
١٥٧	ترتيب المعاش والكلام على الاقطاعات
١٥٨	كتابة ديوان الاموال
١٥٩	المجزية
١٦٠	المخراج
١٦٠	المشور
١٦١	الاجور
١٦١	الزكوات
١٦٢	أثمان المبيعات
١٦٢	المقاسمات
١٦٢	الغنية
١٦٢	الفقير
١٦١	المسادن
١٦٢	الشيعة الخامسة

صفحة	
١٦٤	القاعدة الثالثة في الشريعة والديانات
١٦٥	الركن الاول القضا
١٦٦	الركن الثاني القضاء وشروطه
١٦٩	خاتمة لهذا الركن
١٦٩	القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحي
١٧٥	القضية الثانية عدل عاتبة بن يزيد القاضي
١٢٥	القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة
١٧١	القضية الرابعة عدل القاضي شريك أيضا
١٧٢	القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقعة
١٧٣	القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضي
١٧٥	القضية السابعة عدل حفص القاضي
١٧٦	القضية الثامنة عدل القاضي أي حاتم
١٧٧	القضية التاسعة نادرة في عدل أي حاتم عبد الحميد القاضي
١٧٨	القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي
١٧٩	الركن الثالث المحسنة
١٨٥	النوع الاول في حقوق الله تعالى
١٨٥	النوع الثاني حقوق العباد والمساكين
١٨١	النوع الثالث ما هو مشترك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد
١٨٢	الركن الرابع مع الاوقاف وما يتعلق بها
١٨٣	الاول في شروط المتولي الوتف
١٨٥	القاعدة الرابعة في تكميل المطلوب بأنواع من الزبادات
١٨٦	مسائل العبادات
١٩٢	مسائل المناكحات
١٩٨	مسائل أخرى
٢٠٥	مسائل رياضية وحسابية
٢١٥	جدول استخراج منه أوائل الشهور مرتب باسم الملك يوسف صلاح الدين وكيفية استخراج مذكو في صحيفة ٢٠٨
٢١١	جدول أسماء الشهور
٢١٢	خاتمة الكتاب وهي الدعاء

كتاب العقد الفرید للامك السعيد
تألیف أبي سالم محمد بن طلحة
الوزير تغذہ الله بغيرائه
وأسكنه بحدو حة
بخدمته آمين
آمين

قال في كشف الظنون

(العقد الفرید للامك السعيد) لأبي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي الوزير
المتوفى سنة ٣٠٥ هـ اثنتان وخمسين وستائة أوله الحمد لله حامی حوزة بلاده بملوك الخ
جعل له على أربعة فواعيد (الأولى) في مهمات الانعلاق والصفات (الثانية)
في السلطنة والولايات (الثالثة) في الشرائع والديانات (الرابعة) في تكميل
المطلوب بأنواع من الزيادات



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يقول العبد الفقير الى مولاه الراجي عفوه ورضاه محمد بن طلحة غفر الله له
وعشاقته * الحمد لله حامي حوزة بلاده * بملوك اجتهادهم لحراسة عبادته *
وباهتم من الطاف امداده * بطوائف ارفاده * وصالواته على رسوله محمد
الاسطفي الذي جاهد في الله حتى جهاده * حتى ثقف من الاسلام اودمنا آده *
صلاة يحبونها قائلها من عناده * ويكرهها على تعاقب احقاب الزمان
واياده ﴿ وبعده ﴾ فان القلم اذا جرى في القدم بتأيد الله واسعاده * من
اختتمه من ملوك الدنيا بشوقيه وارشاده * ألهمه اكتساب السجيا المحمدي
غوري في اقتباسها قدس زياده * وأكرمه بالزبا الشريفة فأجناه من غراس
سعه فصار مراده * وأيقظ طرف عزمه في مكارم الاخلاق فتنبه من وسن
رقاده * وركض طرف فهمه في مضمار الوقائع فأدرك غامضها بحري
سواده * حتى يرى أن استعباده رقاب الاحرار بسدا طارف احسانه وتلاذه *
واستنفاده في آساء سنة العمل وامانة سنة النظم غاية جهده ونهاية اجتهاده *

عزيمته مناد على
من سعادته
ليكني والمعوج
الذي
الذي
الذي
الذي

أنفع ذخائره التي يعتدّها من عتاده لمعاده * فلاجرم ينجيه كل ذي فضل ونهسي
 ثناء لسانه وشكر فؤاده * ويخصه كل ذي زهد وتقى بقسط من صالح دعائه
 في وظائف أوزاده * كالقام السكريم العالي المولوى السلطانى المليكى
 السعيدى النجمى أفاض الله عليه من لباس التأييد موقوف أبراده وراض
 جوامع الاقدار لطاعته لتسكون من أعوانه وأجناده * وجعل طلى اضداده
 وكلّى حساده يوم جلاله أنجاد الحمداده * فانه لما قولاه الله بهين عنايته
 فى اصداره وابراده * وحياه من خفى الطافه بشرف نفس شفع به شرف ميلاده *
 وآتاه ومم ذلك كله فأدعنه له الاقبال باحسانه واتقياده * (شعر)
 ودرت له أخلاق كل سمية * غاشها الى العلياء طول نجباده
 وحازره ان السبق فى حلبة العلى * بذى شرف من صافنات جياده
 وانضاف الى ذلك أن غفرنى فى الايام السالفة من صيب احسانه بمدراره
 ومخفى من سيب عطائه بتياره وأبرلنى من قلبه الشريف على تعهد عهدي
 بمقامه السكريم المنيف منزلة فرضت على ترتيب جده بتلاوته وتكراره فالانسان
 ان لم يقم بشكر المحسن اليه فانه ليكنود وانه ان جنى الى الانكار والجحود فهو
 من آثار المبار التي شملت بين شاهد ومشهود فرأيت انى لا أقوم فى هذا المقصد
 المطلوب والمطلب المتصود بشكر سيل احسانه السابح البرود وحمد منهل انعامه
 الشائع البرود الاتألف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلى
 العقود ويزداد العالم به مهابة وجلالا لاسيما يوم حضور الجميع ووفود الوفود
 ويطلع بمجالسته على قيم الحاضرين بين يديه فى كل صدور ورود ويكون على
 الحقيقة خلاصة الصفات البشرية وزبدة الاخلاق الانسانية التي عليها مدار
 قطب شرف السبائى وبها تدر أخلاق كرم المزايى وهي شجرة عمرة لا يأنه
 الاخلاق التي بها ساعد الخاسرون وفي مثاها فليتناقص المتنافسون فأخذت
 فى تأليفه وشرعت فى تصنيفه قضاء لما أسداه من احسانه السالف وقيام
 بحقه الذى يتصر عن حقه فصاحه لسان الواصف وأنا أرجو من الله تعالى أن
 يجعله كتابا تقر بمطالعته العيون وتصدق فى اتجاها الظنون فانه فى جمع فرائد
 الفوائد ونوادير المقاصد كالفلك المشعرون كلما قرأ منه مطالعه شيئا دفعه الى
 حديث ذى شجون وحيث صنفته برسمه ووسمته باسمه سميته * (بالعقد
 الفريد * للامك السعيد) * وجعته مشتملا على مقدمة وقواعد * أمّا المقدمة

فهو الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكمة المقصودة من مطالعته
والبحث على ايمان قرآنه وعلازمة النظر فيه وفي أمثاله ﴿فأقول والله الموفق﴾
﴿مقدمة الكتاب﴾

قد ترشح في أذهان أهل الدواية والعرفان وثبت عند ذوي العقول بالدليل
والبرهان ان الانسان وان كان نوعا من الحيوان فهو العالم الاصغر فان الله
تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والاخلاق المتناسية والشهوات
الغالبية ما يقتضى خروجه في أكثر الاوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو
ان رأى تسكنه واستغناه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخائل التبر ودليله
من القرآن الكريم قوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وان رأى
محزاه واستغناجه ظهرت عليه دلائل الضعف والاستكانة ودليله من التنزيل
قوله تعالى ونفاق الانسان ضعيفا وان رأى كمال يقظته ورزاقه عقله ومواقع
تدبيره خدعته نفسه ولم يحأ أوقفته أفكاره في الوسوس والتقديرات وألقته
ريج وهسه في أودية الخيالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل قوله
تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وان رأى محزاه عن تكميل
مطلوبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخائل التفتيش فأسترعت
به الى التائب بالامور قبل وقت تساعها ووجهته الى مباشرة الاشياء قبل ابرامها
ودليله من التنزيل قوله تعالى خلق الانسان من عجل وباعتبار هذه الاسباب
والقوى حصل فيه التضاد فتارة يكون مسرورا وتارة محزونا وتارة متبسطا
وتارة متقبضا وتارة راضيا وتارة سائخا وتارة شجاعا وتارة جبانا وتارة جوادا
وتارة بخيلا وتارة قويا وتارة ضعيفا وتارة مطيعا وتارة عاصيا وتارة مستيقظا
وتارة غافلا وتارة ذا كرا وتارة ناسيا وتارة متجاوزا وتارة منتقما فاما من صفة
من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات الا والانسان متعرض لها ولتقميضها
وقد أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه الى
كشف الغطاء عما عليه الانسان من اختلاف حالته وتضاد صفاته على الوجه
الذي شرحناه والتقسيم الذي أوخنا به فقال عليه السلام «أعجب ما في
الانسان قلبه له مواد من الحكمة وأصداد من خلافها ان سخط له الرجاء
أذله الطمع وان هاجبه الغضب اشتد به الغيظ وان أسعف بالرضا نسي التحفظ
وان ناله الخوف فزع الجزع وان استفاد مالا أظغاه الغنى وان غصته فاقة

شغل الفقروان جهوده الجروع أقعده الضعف وان أفرط في الشبح كظنه
 البطنة وكل تقصير مضم وكل أفرط له مفسد * فقد وضع بما ذكره
 أمير المؤمنين عليه السلام في هذه السكيمات التي هي جواهر السكام
 وغرر الحكم صحة ما ذكرناه من استبعاد النفس البشرية لافراح
 الاخلاق والشم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سببا يمدد بها
 وموجبا يقتضيها وهي تنقسم الى صفات حسنة مرغوب فيها كالسرور
 والانبساط والرحمة والشجاعة والجود والقوة والاحسان والطاعة واليقظة وغير
 ذلك من الصفات الحميدة والاخلاق المرضية والى صفات مذمومة وحالات قبيحة
 تنفر النفس المظمنة عن التحلي بشئ منها كالحزن والانقباض والسخط والحزن
 والبخل والضعف والاساءة والمعصية والقفلة وغير ذلك من الصفات المذمومة
 والاخلاق الرديئة فلا يسم من أراد أن يحصل له شئ من الحالات المرغوب فيها
 والصفات المدحوص صاحبها سعى في تحصيل السبب المقتضي لذلك ومن أراد إزالة
 شئ من الحالات المذمومة والصفات القبيحة سعى في إزالة سببه أو في تحصيل
 سبب يقتضيه فانما اذا استقامت له الصفة الحميدة زالت عنه الصفة القبيحة
 المتنافسة لها ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة الأسباب فلا يسم كانت مطالعة هذا
 الكتاب المشتمل على معرفة هذه الأسباب وملازمة قراءته تؤدي الى تحصيل
 المرغوب ودفع المرهوب فينتهت تصور في النفس صورة ذلك السبب المقتضي
 للحالة المزمومة المرغوب فيها فيقسم بها وصورة ذلك السبب الموجب للعائلة
 المذمومة المرهوب عنها فيبعد عنها ويحصل له من معرفة الأسباب وتساميل
 لوازمها علم يستحضر به أجوبة ما يسأل عنه وما يجري بين يديه من أنواع
 الخطابيات وأصناف المحاضرات اذ كم من ملك يختلف لديه عظام الأمور
 ويتعارض بين يديه أسباب الحزن والسرور ويرد عليه رسل ملوك الاطراف
 بمختار ومختار فيحتاج في ذلك الى رد وقبول وعلو ونزول واشراق وأقول
 واسعاف بأمول وابصال لمطوع وقناع لموصول بحسب ما تقتضيه مصلحة
 المملوكة التي لا يجوز عنها صدوق ولا عدول فاذا عرفت أصول قواعد الأسباب
 ومحصل عقائد ذوى الالباب وضح له على الحقيقة صواب الجواب وأق بالعرض
 المطلوب في هذا الباب ونطق بما يشهد له بأن الله تعالى قد آتاه الحكمة
 وفصل الخطاب فمن طالع ما قد اشتمل عليه هذا المصنف من المتناصد وأدمن

الفكر فيما يتضمنه من المحكم السوارد وحلي جيد فذكره بجواهر ما فيه
من فرائد القلائد وبنى عقيدته وعبادته على ما فيه من قواعد العقائد واتفق
سيرة من عرض يذكره من العظماء الامثال والملوك الامجاد حصل لنفسه زيادة شرف
توجب تعظيمه ونباله واستفاد به نباهة تشفع في افتراء ذري الفخار اصله وتركي
فعمله ويحقق بذلك أنه قد رزق فضل عناية من الله سبحانه فانه يؤتي كل
ذي فضل فضله * وحيث انتهى القول في المقدمة الى هذا المقام فلنشرع
الآن في بسط الكلام وشرح القواعد المشتملة على اتمام المرام فنقول
مقصود ما أومت الإشارة اليه وثمره ما وقع التنبية عليه يحصل بأربع
قواعد كل قاعدة منها تشمل على جواهر اذا تطهرت في عقود الاجياد ظهر حسن
وجهها الوسيم ورجح وزنها في نظر الخبير العليم وشهدت للمحتلي بها انه لعلي
خالق عظيم

(وهذا تفصيلها)

(القاعدة الاولى) في مهمات الاخلاق والصفات *(القاعدة الثانية)*
في السلطنة والولايات *(القاعدة الثالثة)* في الشرائع والديانات *(القاعدة
الرابعة)* في تكملة المطلوب بأنواع من الزيادات
*(القاعدة الاولى في مهمات الاخلاق والصفات وهي تشمل على عشرة
أبواب)*

*(الباب الاول في العقل وما ينشأ عليه من عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض
العبادات اللازمة)*

(الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وذم الجزع والتمسيع)

(الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وفسحه)

(الباب الرابع في المشورة وبركتها وذم تركها ومجانبتها)

(الباب الخامس في العدل والانصاف وذم الظلم والاحجاف)

(الباب السادس في الاتفاق والاتلاف وذم الشقاق والخلاف)

(الباب السابع في الوفاء وذم الغدر)

(الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والنفلة)

(الباب التاسع في القفو واصطناع المعروف واغائة الملهوف)

(الباب العاشر في الصدق وذم الكذب)

انما يدانا أولا بذكر العقل اذ به يقع الوصول الى معرفة الاشياء وعليه مدار
التسكين الذي جاءت به شرائع الانبياء وهو شرط في ترتيب الثواب والعقاب
على الاعمال يوم الجزاء ولولا العقل وفنسيته لم يحكم بالاستواء بين ذوي
الدراية والافشاء فأقول والله الموفق لما يرضاه واياه أسأل الاعانة على
ما أقصده وأترجاه

﴿الباب الاول في العقل﴾

وما قص الله في محكم كتابه ومثل خطابه وقد ضرب الامثال وأوضحها وبين
بدائع مصنوعات وشرحها فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمروا في ذلك لا آيات لقوم يعقلون ونقل عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال
له أدير فأدير فقال عز من قائل وعزني وجلالي ما خلقت خلقا عترتي على منك
ياخذ وأعطى وبك أحاسب وبك أعاقب واعلم ان العقل يتقدم الى
قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يشطهما فأما الاول فهو العقل الغريزي
المشترك بين العقلاء وهو قوة غريزية يتأق بها درك العقول وهذه القسم
هو الذي به ينال تسكين الاحكام ويمضي القلم على صاحبه عند حصوله
امبالسن أو بالاحتمال وأما الثاني فهو العقل التبريبي وهو مكتسب وتتم
زيادته بكثره التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة ينال ان الشيخ أكل عقلا
وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهمها وأرجح معرفة ولهذا قيل من
بيضت الحوادث سواد لثته وأخلفت التجارب لباس جنته وأرضعه الدهر
من وقائع الايام أخلف درته وأراد الله تعالى لكثرة محاسنه تبارك
أقداره وأفضيته كان جدير برزاق العقل ورجاحة فهو في قومه عملة النبي
في أمته وقد يختص الله سبحانه بالضافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه
من نواتج مواهبه رزاقه عقل وزيادة معرفة تخرج عن حد الاكتساب يصير
بها راجعا على ذوي التجارب والآداب ويدل على ذلك قضية يعي بن ذكرها
عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه
الحكم صبيا فن سبقته من الله سبحانه سابقة في قسم السادة وأدركته
عناية أزلية لحفاته بعين الرماية أشرف على باطنه أنوار ملكوتية وهداية
ربانية فاتصف بالذكاء والبطنة قلبه وأسفر عن وجهه الاصابة ظنه وتسابه

من فرط ادراكه حيلته وعلمه وأدركت خفايا الامور فسكرت به ولا تسكاد تخطئ
الا أن يشاء الله فراسته وان كان حديث السن قليل التجربة كما قيل في قضية
سليمان وهو موسى حيث رجع داود عليهما السلام في أمر الغنم والمحراث
(فراسته سيدنا سليمان)

(مطلب)

وشرح ذلك فيما نقله المفسرون ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما
صاحب غنم والاخر صاحب محراث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه في الليل الى
حولي فاهلكته وأكلته ولم يبق لي فيه شيئا فقال داود في المحكم بينهما الغنم
لصاحب المحراث عوضا عن حوته فلما خرجا من عنده مر ا على سليمان عليه السلام
وكان يمر به ذلك الوقت على ما نقله بعض أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال ما حكم
بينكما الملك فذكر له ذلك فقال غصير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود وقال له
ما قال ولده سليمان فدعا داود وقال ما هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم
الغنم الى صاحب المحراث وكان المحراث كما قد تدلت عناقيدته ونمت قضبانته
في قول أكثر المفسرين فيما أخذ صاحب السكرم الاغنام يأكل من لبنها
ويشبع بدورها ونسلها ويسلم السكرم اليه ليقوم به فاذا عاد السكرم الى هيئته وصورته
التي كانت ليالة دخلت الغنم اليه سلم صاحب السكرم الغنم الى صاحبها وتسلم
كرمه كما كان بعناقيدته وصورته التي كانت عليه فقال له داود القضاء كما قلت
وحكم به على ما قال سليمان وفي هذه القضية نزل قول الله تعالى في محكم التنزيل
وداود وسليمان اذ تصحكان في المحراث اذ نفشت فيه غنم القوم وكان حكمهم شاهدين
ففهمنها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل
لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وأطاف الهيئة واذا
قد نفى الله تعالى شيئا من أنوار مواهبه في قلبه من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع
الصواب ورجع على ذوى التجارب في كثير من الاسباب ويستدل على حصول
كمال العقل في الرجل بما يؤخذ منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن
مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام ومما لا ينفك عنها بل يعرف
بآثاره وأحكامه فأقول

(الاستدلال على عقل الانسان)

يستدل على عقل الرجل بأمر متعددة (منها) ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه

عن زنايل الاعمال ورغبته في ابتداء صنائع المعروف وتجنبه عما يكسب
عارا ويورثه شينارا وقد قيل لبعض الحكماء سم يعرف عقل الرجل فقال
بقلة سقطه في كلامه وكثرة اصايبه فيه فقيس فان كان غائبا فقال بأحد
ثلاثة أسباب اما بسؤله واما بكتابه واما بهديته فأما رسوله قائم مقام
نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته على قدره فيقدر ما يكون
فيها من نقص يحكم به على صاحبه وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل
الرجل حسن مداراته للناس ويكفي أن حسن المداراة يشهد لصاحبه
بتوفيق الله تعالى اياه فإنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من
حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق ولا يكفي في الدلالة على كمال عقل الرجل
الاختراار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسميح لحيته وكثرة صلفه ونظافة
بريقه اذ كم من كفيف مريض ويعر مفضض وقد قال الاعشى رأيت بالبصرة
شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل
وخرج فأردت ان أختبر عقله فسلمت عليه وقالت ما كنية سيدنا فقال أبو
عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاعشى ففعلت منه وعلمت قلة
عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك غزارة خجده ودخله وقد يكون الرجل
موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فتصدر منه حالة تكشف حقيقة
حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله ويتجلى في دعواه العقل بقوميه
ومحاله

(حكاية عن قلة العقل وسوء النية)

كما ذكر أبو علي القاضى التتوخي عن عضد الدولة بن بويه أنه كان
قدّم في دولته أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف واعتمد في كمال عقله
وزرارة نسبه ورجحان فضله فناط به أزمة عقده وحله واعتمد اليه في أمر
ملكه كانه وكان نفاق الحاشية يغطي حوارهم ويستتره وألسن الخدم
والاتباع لعضد الدولة تمدحه وتشكره وجامعة من عظماء الدولة تعرض
عنه فلا تذكره وهو يتجسس بدعوى العقل وهو أجهل من باقل ويتجلى
بحسن التدبير وهو يجيد عن المعرفة عاقل ويظهر الاستطالة على فضلاء
الامثال وهو خال عن الفضائل واستقر ذلك برهنة من الدهر الى ان أناخ
القدر المحتوم والقضاء المعلوم أن سافر عضد الدولة من العراق الى

همدان فتبعه أبو محمد الخرنبازي يطلب خدمة وكان ذا دراية وفضل وعقل
وزانة ونبل فلما رآه أبو القاسم قد خرج في جملة الجماعة خشي من تقدمه
عند عضد الدولة فيقتضيه مستوره وتقيج أموره فحسن له عضد الدولة رده
من الطريق وأبعاده عن العيصه وأن يجري عليه شيء من الرزق بالبصرة
ويقيم بها قال أبو علي ابن القاضي كنت بين يدي عضد الدولة وقد قال
لأبي بكر بن شاهويه وهو من أصحاب أبي القاسم عبد العزيز تضي إلى
أبي محمد الخرنبازي وتقول له تضي إلى البصرة ونحن نجسري لك معيشة
ترتق منها فقد طال تبعك لنا وتبعك معنا وقد تبرمنا منك وليس في
حضرتنا ما تحبه والسلامة لك في بعدك عنا وصاحبنا أبو القاسم عبد العزيز
قد استعجب جماعة كثيرة في بعضهم غنية عن أمثالك فأنصرف عناوا كتمف
عسا وتبته لك إن شاء الله تعالى ثم إن عضد الدولة سير من خاصته شخصا مع
أبي بكر ليشهد ما يقوله وليسمع ما يجاوبه به أبو محمد بحيث لا يسمعكم أبو بكر
شيئا من الجواب لئلا يكونه من أصحاب أبي القاسم فلما حضرا عند أبي محمد
قال له أبو بكر صورة ما قاله عضد الدولة جميعه فقال أبو محمد لما سمع ذلك
الامر لذلك ولا خلاف له السمع والطاعة له قدمه ولعري أن الناس بمجدودهم
ينالون ويحظوظهم يستدعون ولو اتى تقدمت عند الملك ونفقت لديه
ما كان محبا ففقدنا له منه وتقدم عنده من أنا أرجح منه ولكن المقادير
خالمة وليس للانسان عنها متقدم ولا متأخر وقد قيل من غالب الاقدار غلب
ولكن أيها الشيخ لي حاجة أحب أن تبلغها الملك عني وهي كلمة فيها نصيحة
وشفاء لما في الصدور فقال أبو بكر قل فاني أبلغها الملك فقال تقول له
أنا صائر إلى ما أمرت ومتوجه إلى البصرة لامتنال ما رسمت ولكن بعد
أن تضي وطرا في نفسي وفيه شهرة لعظمتك وتنبه على أنك لا تتخذ
في ملكك ولا يلتبس لديك حق بمبطل وعاقل يجاهل ومسيء يحسن
ويقظان بغافل وجواد يبتعل وهو أن يتقدم فيقام عند العزيز المكنى
بأبي القاسم بين اثنين على رؤوس الاشهاد وتتقم منه انتقاما بالغاً ويقال
له إذا لم تبدل جاهك للتهف ولم يكن عندك بر لضعيف ولا فرج لمكروب
ولا عطاء لسائل ولا جائزة لشاعر ولا مرعى لمنجيع ولا مأوى لضعيف ولا ذب
عن عرض مخدومك ولا استجلاب ثمار الاسنة بالادعية والمحامد لدولة

أوجدتك ولا لك من العقل ما تميز به بين ما يكسب جسدا أو ذما فلم أهتم
نفسك أن يخاطبك بسيدنا وتمتد يدك ليقبلها الداخلون ويقوم لك مظماه
المملكة عند طلوعك عليهم ثم ان أبا محمد قام وركب وعاد قال أبو بكر
ابن شاهويه فعدت وقد سبقني الذي كان معي مشرفا وذكر ذلك لملك
عضد الدولة فلما حضرت عنده وأبو القاسم بين يديه سكت فتعال لي هات
الجواب الذي ذكره أبو محمد فاستحييت من أبي القاسم ان أذكره فقلت
سمعه الملك من المشرف الذي أنفذه مسعى قال قل فأنت كنت الرسول
فذكر الحديث على صورته كله فوالله ان تركت منه حرفا لم تلق خيرا فما
أمكنني الا أني سردت كلام أبي محمد كما قاله ولم أترك منه شيئا وأبو القاسم
يتقدم في ادابه ويمزق في جلده ويتغير وجهه ويتلون ألوانا عند كل كلمة
منه فأقبل عليه عضد الدولة فتعال كيف ترى يا عبد العزيز لاجلك الله خيرا الا ان
علمت ان لا تعتمد حالة ترضى الله تعالى ولا تبني مكرمة ولا تحفظ مروءة ولا تحرس
أمانة ولا يخرج فكرك عنك ولا همتك الا في مال تحت ذنبه واقطاع لنفسك ثمره
وتجعلني بابا من باب معاشك وجهة من جهات أرباحك تبعد من ينفعني وتقرّب
من ينفعك فخدمتك معروفة وسيرتك معلومة وكنت أسمع من جرك الناس الى
قرصك وشركك في جميع أحوالك وأذاك ان يقصد أبوابنا ولكن لكل
أجل كتاب ثم أمر به فأخذ فظهرت بسوء فعله قلة عقله ونقص قصده ضعف
رأيه وفي أمثال هذه من الوقائع الشاهدة لأربابها باختلال الدراية وقلة العقل
كثرة وانما خوف الاكثار أوجب الاقتصار على هذا المقدار وما أحسن
جواب بزرجمهر وقد سأله أنوشروان فقال ما خير ما أعطى الرجل فقال العقل
فقال فان لم يكن قال أخ شقيق يستشير قال فان لم يكن قال صمت طويل يستره
قال فان لم يكن قال خالق حسن يعاشر به الناس قال فان لم يكن قال منية عاجلة
ترى وجهه وترى مننه وقال أبو الرشيد الرازي دخلت بغداد ولم أعرف بها أحدا
ولم أعلم ما عمل في أمري فرأيت شيخا عليه أثر الديانة وزى الصلاح فسألت
عليه وقلت له يا سيدي أنا رجل غريب وقد وصلت الان الى هذه البلدة
ولا أعرف فيها أحدا وقد ضاق صدري ان لم أجِد بها معرفة من بلدي يهتدي
الى سلوك طريق الاتفاق فلما سمع كلامي لم يزدني على ان أنشدني هذين
البيتين شعر

إذا كنت ذاعقل فلا تخش غربة * فسا عاقل في بلدة بغير ريب
يعتد رفيع النجوم من كان عاقلا * وإن لم يكن في أهله بحبيب
ثم تركني ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت أن العقل هاد مرشد ومشير مسعد
فأهتيت بنووه الوقاد ففرقتي الله كل مرام ومراد وقد وقعت من المتقدمين
نوادير هذا هم الله الهانئ والعقل وأهداها النائم أنقل تشهد لمن صدرت عنه
بالأرى الجزل وترشد سامعها إلى معرفة رذال الفرع إلى الأصل

﴿حكايات عن وفور العقل وكونه سبب التقدّم﴾

منها أن كسرى كان من عقلاء ملوك الفرس وأثبتهم جنائنا وأبسطهم قدرة وأمكنها
فروا في منامه رؤيا أحدثت عنده ضيق صدره واضطراب فسكره فاستعصر من
بلاده إلى حضرته علماء عصره وقصصا عليهم ليكون على يده من أمره فاتفقت كلمتهم
واختصت أشارتهم ولم يقع عندهم خلف ولا شك فمأذنت إليه معرفتهم فقلوا له
أي الملك إن هذه الرؤيا تدل على أن ولدك شيرويه لا بد أن يقتل أباه ويجلس على
سرير مملكته ويتصرف في الخزانة والملك يسمع هذا القول ولا يسمعه ويكتمه
عن كل أحد ولا يذيعه فإنه لا بد أن يقع هذا جميعه ثم تفرقوا فاعتمد كسرى طالة
أداء اليأس عظمه واستخرجها فسكره فان لم تصح رؤياه وكان المنام أضغاث أحلام
فما يضرك فعلها وإن صح منامه يقتص من قاتله بها فأخذ سمها قاتلا لسانه ونعاطه
بجهنم ووضع في قارورة وختمها وكتب عليها بخطه دواء للجماح من تناول منه
وزن درهم جامع مهماشاء من غير ضرر ووضع تلك القارورة في خزانته تحت
ختمه بحيث لم يعلم بذلك أحد من الناس قاطبة فباصطأ أيام حتى قتله ولد شيرويه
وجلس على سرير مملكته ثم أخذ يعتبر الخزانة فلما وقف على تلك القارورة وقرأ
ما عليها فرح فرحا عظيما وقال هذا المجهون كان أبي يستعين به على جميع شيرين
وأخذ من المجهون وزن درهم فبانت من ساعته وعدت هذه الحالة من كمال عقل
كسرى وحسن فكيره وكان كسرى يقدم يونان الوزير على جميع وزرائه
وأخصاياه ويعظم أموره ولا يعتمد مع بقية الوزراء مثل ما يعتمد معه فقلوا له
ما السبب في أن الملك يرجع علينا يونان ويقدمه فقال لهم ما معناه إن من خصه الله
بكمال عقله وزيادة معرفته يقدم على نظرائه وأبناء جنسه وهذا يونان لما أفضت
إلى توبة الملك تشاغلن أياما بالصدف فكتب إلى تعلم الملك أن خمسة أشياء ضائعة
المطر في الأرض السبخة والسراج المشتعل في ضوء الشمس والمرأة المحسنة الصورة

عند الرجل الاعشى والطعام الطيب عند المريع والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره فسميت ان قصده بهذه الحكمة أن يوقفني لتدبير المملكة فليسا دخلت من الصيد أحضرته وقلت له صف لي ملوك الدنيا وسيرتهم في رعاياهم لاختار ما أحمل به منها فقال الملوك ثلاثة واحد ينتصف لرعيته من نفسه ويقبضون عنهم فلا ينتصف منهم لنفسه فذلك أعلاهم درجة وأقومهم سيرة وأكملهم عقلا وأدومهم ملكا وأطوعهم رعية وأعمرهم بلادا وأملكهم قلوب رعاياه وواحد ينتصف لهم من نفسه وينتصف منهم له فهو وأوسطهم درجة فإنه عمل بالعدل ولم يصل إلى درجة الفضل وواحد ينتصف منهم لنفسه ولا ينتصف لهم من نفسه فهو وأزول درجة وأقبح سيرة وأخرب بلاد لا تفر قلوب رعاياه من الاضطراب ولا السنتهم عن التضرع إلى قيم العالم في ازالة ملكه وتحميل ملكه فهذه أحوال الملوك وسيرتهم في رعاياهم فانظر أيها الملك إلى هذه الثلاثة فاختار لنفسك ما أردت منها وأنا أعلم أن الملك لا يختار لنفسه الاسيرة الاولى لأن نفس الملك شريفة وهمة عالية فهو يرغب في ارتقاء أعلى درجات الملوك ويميل إلى اقتناء جليل الذك وجليل السيرة ويؤثر عساة نواحي بلاده واقطار مملكته ويحب ما ينفي به مواد امواله وجهات أعماله ويود أن يملك أحوار القلوب ويتخذ بعده سيرة تضرب بحسنها الامثال فلما سمعت كلامه علمت انه رزق عقلًا وفضلا فعميت بقوله واشهدت به بحكمه ولم أجد عند غيره ما أوجده عنده فذلك نصيبه بالتقديم وأزله منزلة التي يستحقها

(سكينة بديعة عن كرم النفس)

وقال عيسى بن عدي البرقي كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق فسأله في بعض الأيام وقلت له بماذا يتم عقل الرجل فقال اذا صنع المعروف مستد ثابه وجاد بما هو محتاج اليه وتجاوز عن الزلة وجأى على المبكرمة وتجنب مواطن الاعتذار فتقدم عقله بحفظ ذلك منه والصفة بقلبي ثم بعد أيام نزلنا منزلا فطلبنا طعاما فلم نجده ولا قدرنا عليه فان زيدا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمع كثير فأقوا على ما كان فيه من الطعام فقال عبد الله لو كناه أخرج إلى هذه البرية فاعل تجد بها راعيا معه طعام فضي الوكيل ومعه غلمان فأطالوا التوقف فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء فأموه فوجدوا فيه عجوزا فقالوا لها هل عندك طعام فبنتا عنك فقالت أما طعام يبيع فلا ولكن عندي

أكلته وبأولادى اليها أمس حاجة قالوا أين أولادك قالت في رعيهم وهذا وقت عودهم قالوا فما أعددت لهم قالت خبزة هي تحت ملتها أنتظر بها أن يحنوا قالوا لها فإردى لنا بنصفها قالت لا ولكن يكلها قالوا ولم تمنعت النصف وجدت بالسكل ولا خبز عندك غيرها قالت ان اعطاء الشطر من خبزة بقصة واعطاء السكل فضيلة فأنا أمتع ما ينقصني وأجود بما يرفعني فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم اليها فلما أتوا عبد الله أخبروه خبر الجوز قال أرجعوا اليها فاحلوهما في دعة وأحضروها فرجعوا اليها وقالوا لها ان صاحبنا أحب أن يراك قالت ومن هو صاحبكم قالوا عبد الله بن العباس قالت ما أعرف هذا الاسم قالوا العباس ابن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم قالت والله هذا الشرف العالى قومي أنصاره قالوا نعم قالت فما يريد مني قالوا يريد أن يكافئك على ما كان منك قالت لقد أفسد الهاشمي ما أثل له ابن عمه عليه السلام والله لو كان ما فعلت معروفة لما أخذت عليه ثوبا وانما هو شيء يجب على كل انسان أن يفعله قالوا فانه يجب أن يراك ويسبح كلامك قالت أصبر اليه لاني أحب أن أرى رجلا من جناح النبي صلى الله عليه وسلم وعضوا من أعضائه فلما سارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها وقال ممن أنت قالت من كلب بن وبرة قال كيف حالك قالت لم يبق من الدنيا ما يفرح الا وقد بلغتني واني الآن أعيش بالقناعة وأصون القربة وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صبا ومساء قال أخبريني ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة قالت أعددت لهم قول العربي

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأك

فأعجبه قولها فقال لبعض غلمانه انطلق الى خباتها فاذا أقبل بنوها فجئ بهم فقالت للغلام انطلق فكن بقاء البيت فانهم ثلاثة فاذا رأيتهم تبعوا أحدهم دائم النظر نحو الارض عليه شعار الوفا فاذا تكلم أفصح واذا طلب أنجح والا فخرج يد النظر كثر المحذر اذا وعد فاعل وان ظلم قتل والا تتركه شعله نار وكانه يطلب بشار فذلك الموت المسائت والداء المكابت فاذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل لهم عني لا تجلسوا حتى تأتوني فانطلق الغلام فاخبرهم الخبر فلما بعد أمده حتى جاؤا فأدناهم عبد الله وقال اني لم أبعث اليكم والى والدكم الا لاصحح من أمركم وأصنع ما يجب لكم فقالوا ان هذا لا يكون الا عن مسئلة أو مكافأة فعمل جميل تقدم ولم يصدر منا واحدة منها فان كنت أردت التكرم مبتدئا فغروك

مشكور وبركة مقبول مبرور فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق
فقال لهم اليهود ليقل كل واحد منكم بيتاً من قوله
(فقال الأكبر) شهدت عليك بحسن المقال * وصدق الفعال وطيب الخبر
(فقال الأوسط) تبرعت بالبدل قبل السؤال * فعال كريم عظيم الخطر
(فقال الأصغر) وحق لمن كان ذا فعلة * بأن يسترق رقاب البشر
(فقال العجوز) فعمرك الله من ما جسد * ووقيت ما عشت شعرا القدر
ثم ودعوه وانصرفوا قال تميم البرعقي فالتفت الي وقال لي يا تميم وددت لو وجدت
مزيداً في ابتداء المعروف الى هذه المرأة وبنيها وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده
في ذلك فقلت له لقد أحسنت وأرجحت وقد شهدت فعلك بما سبق من قولك فأنت
أتم الناس عقلاً واكملهم مروءة

(مطلب) هو من كمال عقل ابن عباس انه قيل له ما منع علي عليه السلام ان يبعثك من
عمر بن العاص في التحكيم فقال حازم القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدة أما والله لو
كنت مع عمرو لمجست في مدارج أنفاسه ناقضاً ما أبرم ومبرماً ما نقض أطراً إذا شف
وأشف إذا طار ولا يكن جرى قدر وبقي أسف ومع اليوم غد والآن خوة خير لا مير
المؤمنين

(حكاية عن ذكاء اياس)

قيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من أكابر عقلاء العالم وكان عقله يهديه
الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يمتد اليها فساكن من جملة الوقائع التي
صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في جامعته
رجل مشهور بين الناس بأنه أمين يستودع لهم فاتفق ان رجلاً أراد أن يبيع فأودع
عنده هذا الأمين كيساً فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد بعد مدة جاء الى الأمين
وطالب كيسه عنه فأذكره وجده فإفاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال
له القاضي فهل أخبرت أحداً غيري فعمال لا قال هل علم ذلك الأمين انك أتيت
الى التحبير في قال لا قال فهل نازعته بحضرة أحد قال لا قال انصرف واكتم أمرك
ثم عدالي بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع وقال له
قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك اياه وأتركه عندك فأذهب ورتب
موضعاً حزيناً فغضى ذلك الرجل فحضر صاحب الوديعة فقال له اياس امض الى
خصمك واطلب منه وديعتك فان منعك قل له تمضي معي الى القاضي لاعلمه بذلك

وأنت كما أننا وأنت فلما جاء دفع اليه كيدسه فساء الى القاضي وأعلمه أنه قدر عليه
وديعته وانصرف فساء ذلك الامن الى القاضي لوعده طامعاً في أن يتسلم المال
فسبه القاضي سباً كثيراً وأبطل قوله وكانت هذه من جملة ما يدل على عقله
وصحة فكره

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

مشتملة على حكم متنوعة أخرجتها التجربة من ينبوع العقل تفيدنا ظرها فضل اعتبار
وتكسبه زيادة استبصار * قيل كان رجل من حكماء الاوائل له عقل ودراسة
وأدب وتجربة فسمع به ملك أرضه وساطان اقليمه فاستدعاه اليه وقرّبه منه وبسطه
باقباله عليه ومجاذبه له فقال له الملك ما معناه انك أيها العاقل المحكم قد
خصصت بسمت قويم وعقل بين وأدب وافر ومنظر مقبول وتجربة رقيقة وبها على
حقائق الامور فلم رضيت لنفسك بالمغام على التفسير عن حظك بالبعدنا وقد
تفتحت لك أبواب الرغبة فيك والميل اليك والانتفاع بعقلك واجتناء ثمرة معرفتك
فقال العاقل المحكم للملك ما معناه ان كان قصد الملك في مقاله أن يتطلع الى جواب
أحجبه لا قيم عذراً في تباعدى عن رتبة القرب من الملك وقنوعى بالدرجة السفلى
دون الدرجة العليا فهذا أمر لا يتحمل على كامل العقل ولا تجدى كثير نفع في
إبالة الملك وان كان قصد الملك أن يحرك ساكن العقل ليفيض اللسان من لا إلى
الحكمة ما ينضد منه الملك عقود يحلى بها جود أفعسالة ويتخذها حجة واقية من
طسارفة الحوادث فهذا مطلب شريف تسارع النفس الى التماس به وتتفعل
القوى الانسانية له ويشرق نور العقل فيهدى الى سلوك سبيله فقال له الملك
ما معناه ان كل واحد منهما غرض مطلوب ومبتغى مقصود فاذا كرمبتدئاً عذر
نفسك ثم أتبعه بجواهر حكمك وتسايج عقلك فقال العاقل ما معناه ان الملك
قد أفاض على الناس قربه وأحلى في الذروة العلماء من رتبته ومنحني بسطة في
كل مبتغى وممكنة من كل منتهى ولا منى على التقاعد عن المبادرة الى هذه
الحساب ولا مرتما قاله الملك ولا يتطرق اليه شك مريب غير أنى بقنوعى بالبلغة
واقصارى عن دفع الضرورة وتجنبي لمواطن المترفعين واعراضى عن المدار
الدخول في أبواب السكرامة التى منحها الملك ونجح ارتعاء مرتعها أجدهنى آمن
السرب فارغ السر قليل المحرص لا أقصد أحدا بمكروه ولا أستهدى لاذى
مخلوق وليس واحد من أتباع الملك الواجبين أبوابه الا وقد ملكه المحرص

واستهواه الهوى واستعبده الطمع حتى اقتاده بزمامه فشكل منهم برى بطامع نظره
الى زيادة مال يستملها ليرضى بها سادح حوصه وبتدأ طماعه الى جرة سحبه
بتوقعها ليجرها الى قرصه قد استفادوا بكثرة ما خولوه من الملاذ المستجمعة لديهم
فقرأ نفس لا يحصل معه غنى ولا يفارقه فاقة فهم في فرط احتياهم في طلب المزيد
يدأبون في دفع من يتوهمون عنده أدنى جنوح الى اقتراب مدارجهم واقتراب
مساعيمهم متى بدى لهم مرهوب يقطع مأمولا جلهم المجزع على ارتكاب كل ما فيه
دمار وبوار واذا لاح لهم مرغوب يخسوا ألباهم المحرص على اقتناصه الى فعل
ما يعقبه وبال وعطب وقدما قبل المحرص مورد موارد الهلكة ويحمل على
التغريب بالمهجة وينزع لباس السلامة ولقد بلغني ما معناه

﴿نصائح للملوك﴾

ان عظيما من أكاسرة الفرس جلس يوم يروزلدنول الناس عليه بطرف التحف فضر
الموبدان وهو اسم حاكم الحكام ومعه منديل مشدود على شيء فوضعه بين يدي
كسرى وحله فاذا فيه فحمة كبيرة فقال ما هذا فقال اني كنت قد خرجت الى مكان
الزهوة فرأيت بازيا قد تبع دراجة فجاءت الدراجة الى أجرة قد وقعت فيها نار
فألتفت نفسها في الأجرة فهلكت فدخل البازي من حوصه خالفها فاحترق وأنا
أراه فوقففت مفكرا في حاله وما فعل به حوصه ثم أخذته وقد صار فحمة ورأيت
أنه من أبلع المواظ فأحضرت بين يديك لتعلم أن المحرص مقود الى الهلاك
والبوار وحيث انصف من بياض الملك بهذه الصفات التي أسرها المحرص
والاخلاق التي أهونها الطمع فاذا امتلأت أم الملك وحالت بالمكان الاثيل والمنزلة
السامية من دولته فوقعوا الى سهام العناد وقدحوا الى زناد العداوة وأصبوا في
مدارجي حبائل الغوائل فان تركت الاستعداد لهم ولم تعمل الحيلة في دفعهم تهتم
ما بنيت وأشرفت على خطة خسف وان حذرت بهم وأبست جنن التحفظ من
كيدهم أتعبت فكري وأضعت عمري وقال لأنك عن ظهوركهم على وظفرهم
في وقد قيل من رقد حذره عن معانده حل بساحة العطب ومن أيقظته الاوجال حوم
لذة الدعوة راحة العيشة وأنا امرؤ أحب السلامة وأكره زوال العافية ولولا ما لبت
بمعاندك أجد قلبي مكافئ له على بغيه ولا مضاهيا لك كيدته وقد قيل المرء أمين على
نفسه والليدب من ترك ما لا طاقة له به فانه أسير لسكرته وأبقى للأمان فيه
ورأيت الملك قد استقر عنده الاستغناء عن في كنفه فاقباله على من طرأ عليه

لا يملك عن ملل واستتقال وذو النفس المهدية يصونها عن التعرض لذلك فهذا
 عذر لا يسوغ للعاقل أن يطوى دونه كشها ولا يعرض عنه جانبا وأما ما يتنبه
 الملك من حكم رأي يقتدى بها وجواهر عقل ينظمها زينة في أيجاد أو ناله فأقول إذا
 أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فإن أكثر
 ما يكون الخطأ مع الهوى والاقدام على الفعل بعد التأني فيه أخزم وأحسن من
 الامساك عنه بعد الاقدام عليه اجتهد كل الاجتهاد أن تكون خيرا عالما بأمور
 ولاتك وأحوال عمالك وأفعال نوابك متطلعا إلى ذلك فإن المسمى منهم والمقصود
 منهم والمعتدى والخائف من خبرتك وعملك بأموره قبل أن تصيبه عقوبتك يرتدع
 وإن الحسن والأمين يستشير بعملك بحاله قبل أن يأتيه معروفك فيدوم على نفعه
 ويرداده فيه لا تترك حراسة الملك ولا تعرض عن مباشرة حسيب أمره فيعود شأنه
 صغيرا ولا تشغل نفسك بمباشرة صغير أمر فيصير كبيره ضائعا لا يجمع بين
 الحسن والسئ في منزلة واحدة ويجعلهما عنده سواء فإن ذلك يعمل الحسنيين على
 التقصير والمسيئين على الاقدام على زيادة الاساءة ليكن يقابل كل منهما بما
 يستحقه من اكرام وانتقام فيه تمام الحراسة والسياسة وليكن أبغض رعية الملك
 اليه أكثرهم كشفا لمعايب الناس عنده فإن في الناس معايب وأحق من سترها وكره
 كشف ما ظاب عنه منها الملك فأنما عليه احكام ما ظهر والله تعالى يحكم على ما بطن
 اعلم أن رأيك ووقتك لا يتسع لجميع الامور وجملة الاشياء فاجعله لهم منها فان
 ما عرفته من رأيك ووقتك لغير المهتم ازراء بالمهم وعليك بحب العلم وأهله
 العاملين به ورجة الضعفاء والرفق بهم والنظر في أمور الرعية والاجتهاد في
 مصالحهم فهم عباد الله الذي استرعاه لهم ويسألك عنهم وقد قال صاحب
 الشريعة النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
 ولا يغفل الملك عن اقامة شرائع الشريعة واتباع ما يقوله جملة وتفصيلا في تنبذ
 قواعد العدل وتعميرها على ما يصلحة به الناس فإن ذلك يحيى الحق ويميت الباطل
 ويكتفي به دليلا عليه ولا بد لك من خاصة من خدمه ويطاأنه من أتباعه وجامعة من
 جنده يجعلهم محل اعتماد ويستطلع بهم ومنهم مستورات الاغراض فليعتبر الملك
 في مبدأ الامر أخلاقهم وشيخهم وصفاتهم ويرلف اليه من تحلى بحميدها ويتصهى من
 اتصف بذميتها ولا تتركه إلى خائن ولا تعتمد على شره ولا تثقن بكذوب ولا تسععن
 نصيحة جهول ولا تقبل قول حسود ولا تأخذن برأي دني ولا تكثرن محادثة مسمى
 الخلق وليتفقد الملك أحوال حاشيته افتقدا المجهد أخلاط النقود فينبى الزيف

منها ويختص بها الصها وقد جرى على السنة العلماء والمحكمة السالفين ألقاظ من
الحكم المستقاة من جواهر الكلام ما هو أنفع لتأمله والمستعمل له من كنوز الدخائر
(منها) من قام من الملوك بالعدل والحق ملك قلوب رعاياه ومن قام بالجور
والظهور لم يملك منهم إلا التصنع وكانت قلوبهم تطلب من يملكها (ومنها) لينظر
الملك إلى المنتصحين له فإن دخل من حيث العدل والصلاح فاقبل نصحه واستشره
وإن دخل من حيث مضار الناس فأخذه وتحرز منه (ومنها) زمان المجائز من
الملوك أقصر من زمان العادل لأن المجائز يفسد والعدل يصلح والافساد أسرع
من الإصلاح (ومنها) من مدحك بما ليس فيك من الجميل إذا رضى عنك ذمك
بما ليس فيك من القبيح إذا سخط منك (ومنها) موت العلماء والعقلاء
وإن كان عظيمها فهو أوهون من تقدم السفل من الناس على رقاب الأحرار
فلما سمع الملك مقالته في الاعتذار وفهم ما تلاه عليه من الحكم العظيمة
المقدار النفيسة الاقدار عرضة على ناقد عقله وثاقب فكره فتلقيها
بالقبول والاعتذار وعلم صدق مقصده وصحة معتقده فصدف عن الانكار
وأخذ ما أورده من الحكم وقصده من جواهر الكلام فبجاءته يدى به آناه الليل
وأطراف النهار وفي هذا المقدار بلاغ ومقنع في حصول البغية للمقتدى وظهر
لعلو رتبة العقل وفضيلة صاحبه وحيث ظهرت فضيلة العقل فجز المطلوب
من آيات ما تحرر في بابه والله سبحانه يأخذ ويعطي به وإليه مناط التكليف
فلترد في بابه ببيان ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على خلقه وما اقترضه على عباده
عند حصول صفة العقل لهم من العقيدة التي يجب العمل بها والوقوف عندها
والاعمال التي تلزم المحافظة عليها واتباع طريقها وهي التي كان الصحابة عليهم
رضوان الله والسلف الصالح تغمدهم الله برحمة يتقربون إلى الله باعتقادها
ويعملون على المحافظة عليها والعمل بها أنفسهم مجدها واجتهادها وقد صنف أئمة
العلماء كتباً في بيانها وتعظيم شأنها وتقسيم أركانها وتعليم الأمة أنه لا بد من
اعتقادها في حصول إيمانها فمنهم من بسط المقال فأسهب وأطال الكلام فأطنب
وحاول ما قيل في ذلك فتعب وأتعب ومنهم من اختصر واقتصر حتى كاد لا يقوم
بما وجب فخصت أطاب الأقاويل وطويت بساط التطويل واستخرجت
زبدة مقاصد ما قيل ومخصت هذه العقيدة وسميتها مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل
الصلاح وهي عقيدة أهل السنة والمورثة لمعتقدها إن شاء الله دخول الجنة

وسلم رسول الله ﷺ رسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته
الشرايع وجعله سيد البشر والشفيع في المحشر أوجب على الخلق تصديقه فيما
أنهى به من أمور الدنيا والآخرة ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد
الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان
العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك
و يؤمن بهذاب القبر وأنه حق وإن الميزان حق وإن الصراط حق وإن الحوض
حق وإن الموت حق وإن الحساب حق وإن الجنة حق وإن النار حق وإن الله تعالى
يدخل من يشاء الجنة بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من
النار بعد أن لا تقام حتى لا يبقى من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ويؤمن بشفاعته
الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وإن يستغفر فضل العجايب ورضي الله
عنهم وموتهم وإن يحسن الظن بجميع العجايب على ما وردت به الأخبار وشهدت به
الأخبار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمناً وموقناً به فهو من أهل الحق والسنة مفارق
لعصاة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا
الدوام الى المآب على القسمة والاعتصام بحبلها إنه جميع محيبي

أركان الاسلام

فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الاسلام الخمسة وبقيت الأربعة
الأخرى فلا بد من التعرض الى ذكرها فإن الاسلام بني على قواعد خمس
على ما أطلق به الحديث النبوي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني
الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله وإن محمداً رسول الله وإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان هذا اقطار الحديث الصحيح المتفق على
صحته والركن الأول وهو التوحيد وما يتعلق به والعقيدة المسند كسورة
كافية فيه (والركن الثاني الصلاة ولا بد من التعرض لطهارة
قبلها فإنه شرطها) فنقول الطهارة تنقسم الى قسمين طهارة من الحدث وهو النجاسة
وطهارة من الحدث وهو ما ينقض الوضوء وينع من الصلاة ولا تحصل الطهارة إلا
بالإمساك المطلق والنجاسة سواء كانت على البدن أو على الثوب يجب إزالتها ويجب
الاحتراز من مقارنة النجاسة خصوصاً من البول عند قضاء الحاجة للإنسان
وجب الاستنجاء من البول والغائط وهو بالماء أفضل منه بالحجر وأما طهارة
الحدث فتقسم الى وضوء وغسل فأما الوضوء فهو أن يبدأ بالتسمية وغسل الكفين

و ينوي رفع المحدث أو استباحة الصلاة (ويستحب النية وتنهض وضوء ويستسقي
ويغسل وجهه ثم يديه مع المرفقين و يطول الغرة فوق المرفقين ثم مسح رأسه يبدأ
بمقدمه ثم مسح أذنيه ظاهره وباطنه ثم يغسل رجليه مع الكعبين و يطول الغرة
فوق الكعبين ويبدأ باليمين ويخلل بين أصابعه و يفعل ذلك ثلاثاً ثلاثاً والوضوء
مشتمل على فروض وسنن فاما الفروض فالنية عند غسل الوجه واليدين مع المرفقين
ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وأما السنن فاعداد ذلك
والبدء باليمين من السنن لامن الفروض وكذلك الأذكار * وتفصيله أن
يقول عند المضمضة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وعند الاستنشاق اللهم
أوجدني رائحة الجنة ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم
تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك ويقول عند
غسل اليد اليمنى اللهم أعطني كتابي بيمينتي وحاسبتي حساباً يسيراً وعند غسل اليد
اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ويقول
عند مسح الرأس اللهم أظني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ويقول عند
مسح الأذنين اللهم اجعلني ممن اسمع القول فاتبع أحسنه اللهم أسمعني منادى
الجنة مع الأبرار وان مسح رقبته كان حسناً ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ
بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على
الصراط يوم تزل الأقدام وعند اليسرى اللهم اني أعوذ بك من أن تزل قدمي عن
الصراط يوم تزل أقدام المنافقين * وإذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء
ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
اللهم اجلني من النوايين واجلني من المتطهرين فهذه الاشارة المختصرة تغني في
حصول المقصود من الوضوء ومعرفة وجهه حيث ظهرت فرائضه وسننه فلا بد من شرح
ما ينتقض به وتلخيص الكلام فيه ان الوضوء ينتقض بأربعة أسباب الاول ما خرج
من أحد السببين كيف ما كان والثاني زوال العقل الا النوم قاعداً متسكناً والثالث
لمس بشرة المرأة بشئ من بشرته والرابع مس الفرج من الأذى بباطن الكف
ولا ينتقض الوضوء بالصد ولا بالراح ولا بالمجامة ولا بالشك في المحدث بعد تنقن
الطهارة ومن انتقض وضوءه لا يجوز له أن يصلي ولا أن يحمل المحض ولا يمسسه وأما
الغسل من الجنابة فأول ما يعتمد أن يغسل فرجه من أذى ان كان عليه ثم يتوضأ
وضوءه للصلاة ثم ينوي الغسل من الجنابة واستباحة الصلاة ويتعدى بجانب رأسه

الايمن فيفيض الماء عليه ثم على الجانب الايسر ثم على وسطه ويخلل أصول شعره ثم يصب الماء على جسده كله ويدلك ما اتصل اليه يده من يده ويكرره ثلاث مرات ويقول اذا تم اللهم طهرني من الذنوب كما طهرتني من الخبث والغسل مشتمل على فرض وسنة فأما الفرض بعد النية فايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة والباقي سنن وقد استقصينا تفصيل ذلك في المختصر المسمى استئصال الاشارة في أعمال الطهارة وفي ذلك غنية عن الاطالة وبسط العبارة أن الغسل تارة يكون واجبا كاذكرناه وتارة يكون سنة فاذا كان واجبا على ما شرحناه بالجناية كان أثره في ازالة ما حرم على المحنّب فانه قبل أن يغتسل يحرم عليه أن يصلي وأن يقرأ القرآن وأن يعمل المصحف أو يمسسه أو أن يلبس في المسجد فاذا اغتسل بآزله ذلك كله وأما السنة فهو غسل الجمعة والعيد وما في معناهما من غسل الكسوف والاستسقاء والغسل من غسل الميت وغسل الكافر اذا أسلم الى غير ذلك من السنن وأثرها حصول الثواب لفاعليها من غير عقاب على تاركها.

﴿خاتمة﴾

قد تدعو الحاجة في بعض الاحوال الى لبس الخنف والمصح عليه بدلا عن غسل الرجلين فلا غنى عن الاشارة الى شيء من أحكامه فان كان في الاقامة فذته يوم وليلة وان كان في السفر انجوز لقصر الصلاة فثلاثة أيام ولياليهن وأول المدة من وقت المحدث بعد لبس الخنف ويستترط لجواز المصح أن يكون الخنف ساترا لمحل الفرض من الرجل وأن يمكن متابعة المشي عليه وقد لبسه على طهارة كاملة والشك في انتهاء المدة أو في ابتداءه في السفر أو في المحضر يوجب غسل الرجلين واذا نزع الخنف وهو على طهارة المصح كفاه غسل رجله ولا يحتاج الى إعادة الوضوء على الاصح ويكفي مسح القليل من أعلاه دون أسفله فهذا ما يتعلق بالطهارة وقد منادى كرها لكون الصلاة تنوفا عليها فان الطهارة مفتاح الصلاة على ما نطق به الحديث النبوي وقد تعين القول في الصلاة وأحكامها فالصلوات المكتوبة في اليوم واليلة خمس وقد بين جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقاتها فأول الوقت أفضل من آخره فأول وقت الظهر اذا زالت الشمس عن وسط السماء وآخره اذا صار ظل كل شيء مثله وأول وقت العصر اذا زاد الظل عن آخره وقت الظهر أدنى زيادة وآخره الى غروب الشمس وأول وقت المغرب غروب الشمس ويمتد اذا شرع فيها الى تمامها ولو الى غروب

الشفق الأحمر وأول وقت العشاء بعد غروب الشفق الأبيض ويمتد إلى طلوع
 المجر الثاني وأول وقت الصبح طلوع الفجر الثاني ويمتد إلى طلوع الشمس
 والصلاة إذا وقعت في وقتها المذكور لها كانت أداء في أوله أو في آخره لكن أوله
 للفضيلة وآخره للجواز وإن وقعت خارجا عن الوقت كانت قضاء ولا بد في صحة
 الصلاة من ستر العورة وعورة الرجل ما بين سترته وركبته وكذا عورة المرأة
 المملوكة وأما المحرمة فجميع بدنها عورة سوى الوجه واليدين وكذا لا بد من
 استقبال القبلة إلا في النافلة في السفر وفي المحاربة إذا اشتد القتال وفي الصلاة
 فروض وسنن فإن ترك شيئا من فروضها بطلت صلاته وإن ترك شيئا من سننها
 لا تبطل **﴿والمفروض﴾** هي النية وتكبيرة الأحرار والقيام وقراءة الفاتحة
 والركوع والرفع من الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والطمأنينة في
 هذه الأربعة والجلوس في آخر الصلاة والتشهد فيه والصلاة على النبي صلى الله
 عليه وسلم والتسليم الأولى ونية الخروج من الصلاة على قول وترتيبها على الوجه
 المذكور وما عدا هذه الفروض فسنن ولا يجوز ترك الصلاة بعد المرض بل إذا
 عجز عن القيام صلى قاعدا وإن عجز عن القعود فعلى جنبه أو مستلقيا على قفاه
 على اختلاف فيه ولا يتركها مادام عقله نابها فقد ورد فيها أحاديث كثيرة
 خصوصاً في صلاة الجمعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في أمرها ودعا على تاركها
 وتخص ما نقله الأئمة في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال في الجمعة من تركها وله إمام
 حائز أو عادل استغفا فإياها أو جودا لوجوبها ألا لا جمع الله شمله ولا برك له في أمره
 ألا الصلاة له ألا لا زكاته إلا الصوم له ألا الحج له إلا أن يتوب الله عليه

﴿الركن الثالث من أركان الإسلام الزكاة﴾

من جحد وجوبها فقد كفر ويجب على من وجبت عليه إخراجها من ماله وصرفها
 إلى مستحقها وقد بين الله سبحانه مصارف الزكاة في قوله تعالى وإعنا الصدقات
 للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
 سبيل الله وابن السبيل فمن امتنع من إخراجها أخذها منه السلطان وصرفها إلى
 أهل استحقاقها ولا تجب الزكاة إلا في نصاب كامل بعد حولان الحول ونصاب
 الذهب عشرون مثقالا ونصاب الفضة مائتا درهم وزكاتها خمسة دراهم وفيما
 زاد فيها بحسابه وهو ربع العشر ويستحب الأثام من الصدقة تطوعا فقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن تحت ظل صدقته يوم القيامة وقد وعد الله

تعالى على الصدقة ثوابا عظيما ﴿تذنيه﴾ من جملة الواجب من أنواع الزكاة
زكاة الفطر وهي صدقة عن النفس وتجب بغروب الشمس ليلة العيد على قول
ويجب اخراجها يوم العيد ويجوز تجميلها في جميع شهر رمضان وهي صاع من غالب
قوت البلد والصاع خمسة أرطال وثلاث بالبغدادى

﴿الركن الرابع صوم شهر رمضان﴾

والصوم فضله عظيم وقدره كبير وثوابه جسيم وهو عظيم ثوابه وفضيلته لا ترجع على
الصلاة بل أفضل عبادات البدن الصلاة وقد استقصينا القول في ذلك في المصنف
الموسوم بتحصيل المرام في تفضيل الصلاة على الصيام والصوم ينقسم الى فرض
ونفل فأما الفرض فصوم رمضان ويثبت شهر رمضان بشهادة عدل واحد فان
غم كل شعبان ثلاثين يوما ويشترط في صحة صوم شهر رمضان وفي كل صوم
واجب كالقضاء والنذر تبييت بالنية من الليل وفي القضاء ينوى أنه يصوم غدا
فريضة ورمضان ويجب الاحتراز عن المفطرات كالأكل والشرب والجماع
والاحتقان وما في معناها وليس الاكتحال والفصد والاحتجام من المفطرات
ولا ما يدخل الخلق عن غير قصد كغبار الطريق والذباب ولا إذا أكل أو شرب ناسيا
ويستحب أن يجعل الفطر إذا غربت الشمس وأن يفطر على تمر أو ماء وأن ينزه
صومه عن كل ما ورد النهي عنه من الغيبة والشتم والاذى وأن يقول عند الإفطار
اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ذلك ويحتمد في كثرة فعل الخيرات والصدقات في رمضان وأن يفطر الصائمين على
طعامه فقد ورد في هذه الأسباب كلها أخبار وآثار وأما النفل فكل الأيام
سوى شهر رمضان والأيام المنهي عن صومها محل لصوم النفل وبعضها أشرف
من بعض ولا يشترط في صحته أن يكون بنية من الليل والأيام التي لها فضيلة
الاختصاص بصيامها نفل يوم عرفة ويوم عاشوراء ومن شوال ستة أيام بعد
العيد لوداع رمضان

﴿الركن الخامس الحج﴾

وهو من جملة التواعد الإسلامية ولوجوبه وأحكامه أسباب وشروط ولما لم يكن
من مقاصد هذا الكتاب لم تتعرض لشرحها * فهذا التحفيس مادعت المحكمة
الداعية الى تأليف هذا الكتاب الى بيان ما لا بد من ذكره في ذلك مما به تفرر
مارمنا به انه في باب العقل ولوازمه

﴿الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وذم العجز والتسرع﴾

قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواطن كثيرة وأمره وجعل أكثر الخيرات مضافاً إلى الصبر وأتى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى منه وحث على التثبت في الأشياء ومحاربة الاستعجال فيها فن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر وقوله إن الله مع الصابرين وقوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وقوله منهم أعتقهم دون بأمرنا لاصبروا وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بـاصبروا وقوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وعلى الحقيقة فقد ذكر الله الصبر في كتابه في نيف وسبعين موضعاً وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وفيها قرأتان من التبيين والتثبت وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بدياً فتبينوا كل هذه الآيات مع اختلاف مواضعها وألفاظها مشتركة في الأمر بالصبر والتثبت وترك الاستعجال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة كقوله عليه السلام النصر في الصبر وقوله صلى الله عليه وسلم بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله والعجلة من الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم لا تشجع عبد القيس إن قبلت شئتين يحبهما الله الحلم والاناة ونقل عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال للحواريين ما معناه أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون واعلم أن الصبر محمود العاقبة يثمر الخبز ويورث المقصود ويكبت العدو ويغيظ الحشود ويقضي لأصحابه بالسيادة ويكسوه فضيلة الحزم ويدفع عنه قبيصة الحرمان فمن هداه الله بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيراً ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد ولهذا قال أمير المؤمنين المأمون وقد ذكر عنده بعض عظماء دولته فقال نعم من ذكرتم لولا عجلة فيه وقال الأشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلاً ونهاراً فقلت يا أمير المؤمنين إلى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فأزادني على أن قال

اصبر على مفضل الادلاج في السحر وفي الرواح على الطاعات في البكر

اني رأيت وفي الايام تجرية * للصبر عاقبة مجودة الاثر
وقل من جدد في شيء يؤمله * فاستشعر الصبر الافاز بالنظر
ففظم ثمنه وألزم نفسي بالصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وحسن أثره
﴿لطيفة عن فوائد الصبر﴾

ونقل عن محمد بن الحسين رحمه الله قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما
من السجن مع بعض الرجال وقد زادهمى وكادت ترهق نفسي وضاق علي
الارض بما رجبت واذا برجل عليه بزة رثة وله هيئة حسنة خشنة على وجهه أثر
العبادة فوقف علي ورأى ما أنا عليه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة
فقال الصبر الصبر فقد روي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ستر
المكروب وعون على المخطوب وروي عن ابن عمه علي أنه قال الصبر مطية لانتدب
وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجله * عند الاله وأنجاء من الجزع
من شئت بالصبر كفاعة مؤلة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضر في شيء عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولكن قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه من أراد الفوز
فليجبر مع الزمان في ميدانه وليصبر على حدائنه وليكن للدهر مستسلما ولما أصابه
منه مسلما فان الدهر لا يعتذر الى أحد من الناس والطيش نقص والصبر عزم
ثم قال وهو منصرف

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدو الصبر مرآ مذاقه * لقد يمتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فوجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة
ثم أخرجت من الحبس وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعته منه وانتفعت به ووقع
في نفسي انه بعض الابدال السائقين قبضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني *
ومما يحمل النفوس على استعذاب شراب الصبر ويسهل لذوى البصائر سلوك
طريقه الوعر افضاؤه بعدمكابدة العسر الى سعة اليسر فانه كلما أنفق
مطلب صابر ولا انقلاب الا وهو بما يحاوله أسعد ظافر

﴿نادرة﴾ ولقد قرع أبواب مسامع الاستفتاح ما يشهد بتدريج الصبر بالفوز

والنجاح وهو ما رواه أبو العباس أحمد بن حماد الكاتب بطريقه عن أبي محمد المري
قال قصدت أبا الجيوش خازن ربه ابن أحمد بن مصر عتد طاله فأقت بسا به زمانا لأصل
اليد فرقي لي كل من عرف طالي وأرشدت إلى كنز المغنى فصرت إليه وسألته
أن يشفع لي فقال ما جرت العادة أنى أكله في أحد ولكن ان قدرت أن تعمل
شعرا أغنى به بحضرة فان سألني عن قائله عرفته من حالك ما يكون فيه جائزة
صلاح عليك فعملت شعرا على الديمة وهو

هم علوني البكالاذقت فقد هم * ياليتهم علوني كيف أبتم
كتمت حبهم صونا وشكرمة * فسادى غير اضمارى بلى وهم

فصاغ لهم الحما وغنى به فمما ثم قال من سعادتك أنهم ما طربان فسكن بالسياب
ولازمه إلى أن أجدا الفرصة في أمرك فأقت بسا به أبا الجيوش أيا ما رضاء صدرى
من مخالطة النفاطين ورجالة النوبة * ثم ورد إلى كتاب الجعوز تذكريه ما لمحتها
من الضرورة ببعدي وما هي عليه ومن يلها من الفاقة والضرة فتأدى سرى
بالوقوف على الكتاب ولحقني هم وغم وسه و فأنسيت المدح الذي علمته في أبي
الجيوش في البيت الذي كنت آوى إليه وترغبت بآيات من الشعر في معنى ما ورد به
كتاب الجعوز وقضيت النهار في شوارع مصر فلما همم الليل ضعفت نفسي عن
المسير إلى دار أبي الجيوش وشئت من كثرة التردد وهممت بالعود فقلت أصبر
لعمل الصبر يعقب فرجا ففقت نفي وراجعت فكبرى ودخلت دهليزا
من دها ليزداده وبعيت أكثر ليلتي أردد فكبرى في وجوه المطالب وفي أنا فيه
من عظيم التحير في أمرى وأمر الجعوز بما ذكرته في الكتاب اذ خرج حاجب من
حجابه وبين يديه فراش يحمل شمعة والفراش ينادى أين المريمي فقلت ها أنا ذا
فقال أجب الأمير فنهضت وأنا آكل يدي ندما على تركي القصيدة ثم دخلت إلى
حضرة فاذا هو جالس في صدر المجلس وبين يديه شمع معبر موكبي والخدم
ممدقون به فلما رأني قال هات يا مريمي فقبلت الأرض وقلت أيتها الأميران عظيم
ما أنا فيه أنساني ما علمته من المدح في الموضع الذي كنت فيه غير أني مترنم
بآيات في معنى ما ورد به كتاب أمة مولانا الأمير والدني فقال هات ما حضر
فأنشدت

كبت تسأل الأياب وتوصيني بتجمله أشد وصيه

وأشتكت علة الفقدى وقالت * صبر الينا ولو بغير هديه
 قد لبينا ثوب الصبر من بعدك حتى لم يبق منه بقيه
 أنشأ غلت أم ملكك بمصر * بضعة فضة الشباب طرية
 ففعلت الجواب مهلا فاني * عن قليل آتيتك بالامنية
 بألوفى تروق عينك صبر * من شارية ومن أجدره
 قال فلما سمعها بكى وقال والله ليصدقن ما وعدت به وليصدقن ظننا بك ثم أسرى
 الى خادم من خدمه شيئا لم أعلمه ففضى الخادم ومكث غير بعيد ثم أقبل وهو يحمل
 منديلا ثقيلا فقال أبو الجديش سلم يا مريءى الألوفى التى وعدت بحوزك الوالده
 بها فأخذتها وهى ثلاثة آلاف دينار ثم أمر الخادم بشئ ففضى ورجع بخلا فقال
 ان مولانا أملك بجارية من جواريه فقيلت الارض فقال يا مريءى أردنا ان نحقق
 ما ظننا بالحوز فدعوت له وأخذت ثلاثة آلاف دينار وجارية بجميع حلها
 وثيابها ورجلها وخادمها وثلاثة آلاف درهم نفقة الطريق وانصرفت الى
 أهلى فإمر ما كانت مكابدى للصبر وما أحلى ما كانت عاقبته فلما وصلت الى
 أهلى نمت تلك الليلة فيمينا أنا نائم وإذا بك نير المني قد دخل على فقمت اليه وقيلت
 وجهه وقلت له يا أخى جزاك الله عنى وعن أهلى خيرا فقال لى يا أبا محمد كيف
 رأيت ثمرة الصبر فى آخر الامر عليك فى أمورك كلها به فانه لا ينفق معى مسعى
 ولا يجيب لك أمل واعتبر قول الشاعر

ان الامور اذا استبدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما رتجا
 أنحافى بذى الصبر أن يحظى بحاجته * وممن قرع الابواب أن يلجا
 لا تأيسن وان طالت مطالته * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ثم انصرف فاستيقظ فلم تزل وصيته والايات تصب عني فالصبر لا يجتمه الامن
 رجا بالصبر حصول ما يتوقعه أو خاف ان لم يصبر من فوات نتائجه كما نقل
 أن رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جامدا يلغا ولا يتكلم ويصبر ولا يتأوه
 وقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له فى ذلك أما يؤلك هذا الضرب الشديد
 فقال بلى فقال لم لا تصيح فقال ان فى القوم الذين رفقوا على صديقالى يعتقد فى
 الشجاعة والجلادة وهو رقيقى بعينه فأخشى أن صحت أن يذهب ما وجهى عند
 يسو ظنه فى فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك

﴿ نفيسة في أضرار الجبن ﴾

ومما يعضد ذلك مما حكاه الامام القشيري رضي الله عنه في كتاب التخمير عن
عزرو بن عثمان الزاهد أنه قال كان في أصحابي رجل فقير طال به المرض مدة وهو
يصبر ولا يتسكاهم فدخلت عليه أعوده فقال لي يا سيدي معك من يقول شيئا
فقلت نعم ثم أشرت الى واحد من أصحابي حسن الصوت والانشاد فقلت له قل
فأنشد

مالي مرضت فلم يعيدني عائد * منك وعرض عبيدكم فأعود
وأشد من مرضي على صدودكم * فصدود من أهوى على شديد

فطرب الفتى ولم يزل يستعيد من المشد وأخذوا وجد فصاح ورفع طرفه الى
السماء وقال اللهم علمت صبري على ما قضيت وصدقني في صبري والا أن فني الصبر
وطالت المسدة وطلبت النفس الخروج مع شيخني وأصحابي الى موطن عبادتك
فأزل عني المرض وأعد لي عافيتي قال الشيخ فقام الفتى وخرج معنا الى السباحة
كأنه ما كان مريضا فقلت لأصحابي انظروا الى حسن عاقبة الصبر وحلاوة
ثمرته ومن لم يصبر في موطن الصبر لا بد أن يجد ندامة كما نقل عن أبي الحسن
العلوي الهمداني قال كنت تلميذا للشيخ جعفر بن نصير رضي الله عنه فقال لي
يوما يا أبا الحسن اني قد حصل عندي خاطر أريد أن أقعدني مراقبة قلبي ومحاسبة
نفسي ثلاثة أيام ولياليهن فتصبر معي قلت كرامة فتعد وقعدت معه يومين
فلما كان آخر النهار جاء ولدي وقال لي قد اشترينا طيرا سمينا وقد علمناه في
التمور وقسمته جوداية فتقوم تعبي الى البيت لاجل ذلك فقمتم معه فقال لي الشيخ
الى أين فقلت له ان ولدي قد طلبني لحالة عرضت ما يمكنني أن أصبر عنها ثم تركته
ولم أصبر معه وأتيت البيت وبث عند أهلي وقالي متعلق بما في التنور فلما كان
بكرة أخرج الطير من التنور فوضع بين يدي وباب الدار مفتوح فدخل كلب وساب
الطير وعدا فعدت الجارية خلفه فعدت بالجوداية فمدته من القدر فقامت بسرعة
لا تناول القدر قبل أن ينصب جميع ما فيها فاحترقت يدي ونذمت على ما فعلت
فعدت الى الشيخ أبي جعفر فلما رآني قال انظر عاقبة من لم يصبر كيف يساط عليه
كلب يؤذيه ونار تحرق يده وانها لا هون عليه من نار الاخرة وفي هذه الواقعة تنبيه
على كرامة هذا الشيخ الصالح وكفى بهاد ليل على تطويق الندم الى من لم يصبر

ولقد أحسن القائل

على قدر فضل المرة تأتي خطوبه * ويحكم منه الصبر فيما يصديه
فن قل فيما يتقيه اضطباره * لقل قل مما يرتجيه نصديه
﴿تذكرة نافعة * وتبصرة جامعة﴾

قيل ان رياضة النفس بنور العقل تورث الذنوب في رياض عاقبة الصبر فن تفوق من
شرا بها جوعته أناته في الدنيا علو القدر وفي الآخرة عرجو الاجر وقد جرت
أدوار الاقدار بما يستجمل عند حكم الخبرية حقيقة هذا الامر * كان يوسف
الصديق صلى الله عليه وعلى آباءه اس صبراً راقى الى معارج العلا ومدارج الآلاء
ووصل الى جل الممالك الفخرة وظلل الازائل بالآخرة في أشرف مرتقى حتى
قيل له لما استندت مراعى أمره واشتدت نواى أزره وامتدت في النواحي
والاقطار مؤيدات ذكره وارتدت الأكرة بالمساحى من الجهات الى بحارة ريف
مصره بم نلت المالك ودانت لك الامور وفلت لديك العظماء وخضعت لامرك
الفراعنة وأطاعتك من عصى على سواك ففعل ما معناه نلت ذلك بصبرى على
غيابة الحبيب وضيق السجين وفراق الالف والبعد عن الوطن
﴿هداية واضحة * وبداية صالحة﴾

الصبر وان أمرت مواردك فستعلو مصادره وان قصرت بوارده فستعلو أواخره
وكم من صار أدرك غايته مأمو له وبلغ بصبره نهاية سؤله ومن نظرسر قوله تعالى حيث
أمرني به صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر كما صبر أولى العزم من الرسل ولا تستجمل
وقف بصفاه بصبرته وضياها معرفته على ما فى الصبر من موفور الفضل الوافى أوافر
وما يحصل به من نور العقل الزاهى الزاهر ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نثرت رضى الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل
الا بالصبر ولم يرض الا أن كفى ما كفهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم
من الرسل وانى والله لا صبرن كما صبروا فالنبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر
أسفر وجهه عن ظفيرة ونصره وكذلك أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين
الذين هم أولوا العزم لما صبروا وظفروا وانتصروا * وقد اختلف أهل العلم فيهم على
أقوال كثيرة لا حاجة الى ذكرها كلها فافهمنا أحسنها ما قاله ابن عباس رضى الله
عنه وقاله قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقال مقاتل

رضي الله عنه هم ستة نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وأيوب صلى الله عليهم وبيان ما صبروا عليه حتى سماهم الله بسببه أولى العزم

﴿قصة عن صبر نوح﴾

﴿وأما نوح صلى الله عليه وسلم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقي في بيته يرون أنه قد مات ثم يخرج إلى قومه فيدعوهم إلى الله هكذا حتى إذا نُس من إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال لابنه يا بني هذا الشيخ انظر إليه واعرفه لا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكنتي من العصا فأخذها من أيده فضرب بها نوحا عليه السلام وشج به رأسه فسالت الدماء على وجهه فقال رب ترى ما يفعل بي عبادك فإن يكن لك فيهم حاجة فاهداهم ولا فصرني إلى أن تحكم فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من الخشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال اني على ما أشاء وقدير قال يا رب وأين الخشب قال أغرس الشجر فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعايتهم وكفوا عن ضربه إلا أنهم يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها فقال يا رب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله سبحانه وتعالى إليه جبريل يعلمه وأوحى إليه أن يحمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما تجوزت السفينة جاء أمر الله تعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الأمن آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الأرض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء فصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الأرض أربعين ذراعا واتقم الله سبحانه من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام بصبره وجعله الأب الثاني للبشر وفي تمام قصة كلام منبسط لاهل التفسير ليس هذا الكتاب موضع بسطه فهذه زبدة صبر نوح وانتصاره

﴿قصة عن صبر إبراهيم﴾

﴿وأما إبراهيم صلى الله عليه وسلم﴾ فإنه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من إراقته فأخذوه وحسوه بيديهم ثم بنوا حبرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا إلى سبعين ذراعا ونادى منادى ما لكم

احتضبوا لاسواق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرق فلم يتخلف أحد منهم
وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلانها را حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجدران
وسدوا أبواب ذلك الحيز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر لير بها
فيحترق من شدة حرها ثم بنوا بنياناً شامخاً وبنوا فوقه منجنيقاً ثم رفعوا ابراهيم صلى
الله عليه وسلم على رأس البنيان فرفع ابراهيم طرفه الى السماء ودعا الله تعالى
وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه
جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما إليك فلا فقال جبريل
فسل ربك فقال حسبي من سؤالي عليه بحالي فقال الله تعالى يا ناركوني برداً وسلاماً
على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل فأجلسه على الأرض وأخرج له عين
ماء عذب * قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم غير كافه وأقام في ذلك الموضع
سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله ثم أهلك غمر ودوقومه بأخس الاشياء
وانتقم منهم وظفر ابراهيم صلوات الله عليه بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة
العظيمة فلم يحزع منها وفوض أمره الى الله وتوكل عليه ووثق به ثم جاءت قصة ذبح
ولده وأمره الله تعالى به فقال بل أمره بالامثال وسارع الى ذبحه من غير اجمال
ولا امهال وقصته مشهورة وتفصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر
صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عاوضه عن
ذبح ولده وفداه واتخذ له خليلاً من بين خلقه واجتباها

﴿قصة عن صبر اسحاق﴾

﴿وأما اسحاق عليه السلام﴾ فانه لما صبر على بلية الذبح وتلخصها أن الله تعالى
لما ابتلى ابراهيم وأمره بذبح ولده قال لولده اسحاق اني أريد ان أقرب قرباناً فقم
فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال له يا أبت أين
قربانك قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر سجدني ان شاء
الله من الصابرين يا أبت اشد دبراً طي حتى لا اضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل
اليها رشاش دمي فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع في امر السكين على حلقى ليكون
أهون للموت علي واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني فأقبل ابراهيم صلى الله
عليه وسلم بقلبه ويسكى ويقول نعم العون أنت يا بني علي أمر الله تعالى * قال
محاهد لما أمر السكين ولم تقطع قال اطعن بها طعنا قال السدي جعل الله خلقه

كصيفة من نحاس لا يعمل فيه السكين شيئاً فلما ظهر منهما صدق القسليم نودي
هذان قد ابناك يا ابراهيم فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم ومعه كبش أملح فأخذه
وأطلق ولده وذبح الكبش فلاجرم حصل لاسحاق ما حصل لبركة هذا الصبر على
هذا البلاء المبين أن جعله الله تعالى نبياً وبشر ابراهيم بذلك فقال عز وجل
وبشرنا باسحاق نبيا من الصالحين

﴿قصة عن صبر يعقوب﴾

﴿وَأَمَّا يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ فإنه لما ابتلى بقدر ولده وذهب بصره واشتداد
حزنه قال فصبر جميل وكذا يوسف عليه السلام لما ابتلاه الله تعالى بالقائه في ظلمة
الجب وبصره كأيام العبد وفراقه لآبيه وأدخله السجن وجسده فيه بضع سنين
وأنه تلقى ذلك كله بصبر وقوله فلاجرم أورثهما صبرهما جمع شألهما واتساع
القدرة بالملك في الدنيا مع ملك النبوة في الآخرة

﴿قصة عن صبر أيوب﴾

﴿وَأَمَّا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ فإنه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وأمواله وتتابع
المرض والزمن والسقم حتى أفضى أمره إلى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ونذكر
شيئاً مختصراً من ذلك وهو أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان يظلم الناس
فحكاه في الظلم جماعة من الأنبياء وسكت عنه أيوب عليه السلام لأجل خيل
كانت لأيوب في ملكه فأوحى الله تعالى إلى أيوب تركت كلامه لأجل خيلك
لا طيلت بلاءك فقال إبليس لعنه الله يارب سلطني على أولاده وماله فسلطه فبث
إبليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم إلى دوابه ورعاته فأحرقوها جميعاً
فقدفوها في البحر وبعث بعضهم إلى زرعها وجنانها فأحرقوها وبعث بعضهم إلى
منازل أيوب وفيها أولاده وكافوا ثلث عشرة ولداً وخدمته وأهله فززلوها فهاشكوا
ثم جاء إبليس إلى أيوب وهو يصلي وتقل له في صورة قيم من غلماناه فقال يا أيوب
انت تصلي ودوابك ورعاتك قد هبت عليهم ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر
واخربت زروعك وأنهدمت منازلك على أولادك فهلك الجميع ما هذه الصلاة
فالتفت إليه وقال الحمد لله الذي رزقني ذلك كله ثم قبله منى وقام إلى صلاته فرجع
إبليس خائباً فقال يارب سلطني على جسده فسلطه فنفخ في إبهام رجله فانتفخت
ولا زال يسقط من شدة البلاء إلى أن بانث منه معاؤه وهو مع ذلك كله صابر

معتسب مفوض أمره إلى الله وكان الناس قد هجروه واستقذروه والقوه خارج
اليوم من نثر ريحه وكانت زوجته بنت افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام
قد سلمت فمترد إليه تفتقده فجاءها إبليس يوما في صورة شيخ ومعه سحلة وقال لها
ليدبح أيوب هذه السحلة باسمي وقد يرى فجاءته فأخبرته فقال لها إن شفى الله
لأجل ذلك مائة جلدة تأمرني أن أذبح لغير الله وطردها عنه فذهبت عنه فبقى
ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يواسيها
وقال الهى منى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه
البلى طول هذه المدة وهى على ما قبل ثمانية عشر سنة وقيل غير ذلك وأنه تلقى
جميع ذلك بالقبول وما شك إلى مخلوق ما نزل به عاذتعالى بالطافه عليه فقال عز وجل
فسكشفتنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه
من نعمه ما أنساه به بلى ونقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أقتناه في عيونه لثقله قمحه
وجمع له بين قتياء ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى ونذنبك ضيقا وضرب
به ولا تحنث أنا وجهنا صابرا نعم العبد أنه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب
وأسمى المواهب لما أمر الله تعالى به رساله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم
أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم ومسؤولهم ومنحهم من لدنه غاية مرادهم
ومأمولهم فسا السعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مدامهم

(إشارة مستعذبة المجاني * وعبارة مستغربة بالمعاني)

قيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق
يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعندنا هي الأمر تنزل الرحمة فالعزوف
من رزق صبرا واجرا والشق من ساق إليه القدر رخا ووزرا

(نادرة) ومما شنف السمع من حجج هذه الإشارة وانحرف النفع في نهج هذه العبارة
ما روى عن الحسن البصري رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد
نبش من قبر فقلت ماذا لك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث
سنين فى أضيق حال وأسوء عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابرا لا أتسكلم فلما
كان بالامس أخرج جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن
أن غدا يضرب عنق فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني
فقلت اللهم اشتد الضر ونفذ الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره

فأخذتني غشية وأنا بين النائم واليقظان إذ أتاني آت فعال لي قم وصلي ركعتين
وقل مثل ما أقول يا من لا يشغله شيء عن شيء يا من أحاط عليه بما دأراً وما أنت
عالم بحفريات غيوب الأمور ومخفى وساوس الصدور وأنت بالنظر الانبيل
وعملك محبط بالمنزل الأدنى تعاليت علواً كبيراً يا مغيث اغثنني وفك أسري
واكشف قشري فقد نفضت بصري فقامت وتوضأت في الحمال وصلبت وتلوت ما سمعته
منه ولم يحتمل عليّ منه كلمة واحدة فقام القول حتى سقط القيد من رجلي ونفارت
فاذا أبواب السجين قد فتحت فقامت وخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق
الرجن وأعقبني الله بصري فربما وجعل لي من ذلك الضيق خفراً ثم ودّعني
وانطلق يقصداً لحجاز

في خاتمة هذا الباب * في الفقر الموضوعة * والدرر المسموعة *

(منها) من صبر على ما يكره ولم يعزع كبت عدوه وسرّ صديقه (ومنها) من
صبر على عدوه إلى أن تلوح له الفرصة عليه أمكن نفسه من الانتقام واستأصل
شأفته وقطع دابته (ومنها) من استجمل في أمر يحاوله كان جديراً أن ناله
أن لا يدوم له فإن الخلل يلزم الجمل (ومنها) يجب على الملك أن لا يجعل في الانتقام
من سعى به إليه حتى يكشف عن أغراض السعاة وما جملهم على السعاية قريب عدو
يضع زوراً ويلقيه إلى من يوقعه في مسامع الملك ليسلطه على المكذوب عليه
(ومنها) الصبر والتثبت حسن وهو في الملوك أحسن والمرقة والاستجمل
في الانتقام قبيح وهو من الملوك أقيح لا سيما إذا كان في أمر لا يمكن تداركه (ومنها)
كم من صبر أفضى بصاحبه إلى جذل وسرور وكما استجمل أضرى بصاحبه على
هم وندامة وعنوان ذلك أن الصابر يتوقع خيراً والمستجمل يتوقع زلاً

في الباب الثالث * في صفة الشكر ومدحه * وذم الكفران وقبحه *
ما كان الشكر عظيم الموضع وافر الخطر وفي المسكنة موجباً للزيادة في النعمة
المذكورة أمر الله تعالى في كتابه العزيز بشكره وقرنه بذكره فقال عز من قائل
اذكروني أذكركم واتن كفرنم ان عذابي لشديد وقال الله تعالى ما يفعل الله
بمذابكم ان شكركم وأمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه لما قام في الصلاة حتى تورت قدماه قيل له ان الله
عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً *

والشكر المتعارف بين الناس هو اظهار النعمة والتحدث بها وبسط اللسان
بالحمد والثناء والتعظيم للنعيم والتشويه بذكره ورفع قدره وقد انعقد الاجماع على
وجوب الشكر للنعيم عقلا وشرا وان من انعم الله عليه واحسن اليه ولم يدع المنعم
ويشكره الحسن المجدير ان يحكم عليه باثمه ونحو سببته وان يسلب النعمة او ينقطع
عنه مذهبها ولقد انصف بعض بني امية وقد شغل بعض وال ملكهم وانقراض
سعادتهم وانقضاء دولتهم ما كان سبب هذا الحادث المجحف بكم والبلاء النازل
عليكم فقال قلة شكرنا لله تعالى على ما انعم به علينا واشتغالنا بالتنا عن النظر
في مصالحنا وتقويضنا أمورنا الى من لا دين له ولا امانة عنده وظلم توأنا رعايانا
وغفلة عناهم ففسدت علينا النيات واختلط علينا الجند اقله عطاياهم فاستطاعهم
أعداؤنا فأجروهم وأعانوهم علينا واستترت عنا الاخبار لثقل الانصار فآل
أمرنا الى ما آل ومما يعم نفعه ويعظم في هذا المقام وقعه وبروق لذوى الافئدة
المستقيمة سمعه ما قيل في حديث الحديث المعرب عن بعض عظماء أهل المغرب
حين غت نعمته واتسعت بسطته وانتدت مدته ونفذت في دولة خدمته كلمته

﴿غريبة﴾ فقال له يوما بعض من لهجوة في سؤاله ومعرفة بتقديم حاله واقلاله
ما الذي أوصاك الى التقرب من الملك والتقلب في نواله وافضاله حتى التحقك في
احسانه اليك وانعامه عليك بخواص أهله وآله فقال ما معناه اعلم انه لما أهل هذا
الصفيع في تلك السنة التي سمعت بها في عام القحط واضطرب الناس واشتدت اللارزة
وضاق الامر وكثر الجوع وقيل المسعد واستوى في الشدة المقل والمكثرون نفذت
ذخائر الاغنياء وسجبت المنية ذيل الهلاك على الضعفاء بقيت أنا وأهلي أياما
في قسوة الجوع والحاجة والقلة فدعت الضرورة الى أن كتبت الى الملك وربة
اطيفة وكان ذاهبا الى الفضل ورعاية لاهل العلم وبعثت بها اليه (وصورتها هذه)
لقد عرضت فافقت استعطت رداء الحياة عن منكب الحزينة وأنطق لسان التعفف
على خلاف العادة المسئلة وأخبرت أهل الصيانة الى العمل ذل الابتذال وقد وقع
في النفس أن في رافة الملك ما يكشف ضمرا ويسترق حرا ويستوجب على الابد
حمدا وشكرا

فامن بمسايفني ويخر دأئنا * حمدا يدوم على مدى الايام
فلما وقف على اوقعته منه بموقع فأرسل غلاما على يده بادفع الحاجة وسد الحاجة

فمكثت على يد الغلام كلما كثيرا منشورا وأعقبته بهذين البيتين
شكرت نوالك كل قافية * تختال بين المدح والغزل
فلقد ملأت بما مننت به * كف الرجا وناظر الامل

فلما وقف عليها أطربته وقال هذا الرجل أهل للاحسان اليه فانه اذا كان هذا
شكركه للقليل من برتنا فكيف يكون اذا أتخفناه بالنعما والمحمدا والمحمدا بخواصنا
فاستدعاني ونحسني بطاقتي برته وفعل بي ما هذا الذي رأيت به بعض أثره فبذلته
له ما في راسي وجهدي من مناصحة ووجد وشكر وخدمة ووجد بر من شكر أن يشمله
المزيد ومن رعى الاحسان أن يبلغ فوق ما يريد فان رب العزة جعلت قدرته وتعالى
عظمته مع استغناؤه عن العالمين ولا ينفع بكثرة شكرهم ولا ينقصه زيادة كفرهم
قد بذل المزيدين شكر وأعد العذاب الشديد لمن كفر فقال سبحانه وتعالى لئن
شكروتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد فساظنك بالانسان الذي
يسميه نشر الشكر والدعاء ويظهره ذكرا الحمد والثناء وينفره بخود ما جاد به من
النعما ويتأثر تأثر يظهر على بشرته بهذه الاشياء وكأن الشكر اذا انطق به
المنعم عليه من العبيد والاتباع والامائل والاشياع يقضى لهم زيادة الحب
وإدامة الاحسان على الاناء فكذلك اذا رأى السيد والمنعم بعض أصحابه وخدمته
وحاشيته وحشمه وقد أسفر فجر نفعه عن صبحه وأضاء نداء نفعه لتدحه جده على
حسن صنعه ومدحه بالقيام بما في جهده ووسعه فانه بهذا القول اليسير يسترق
رقاب الاحرار ويتخذ من مناصحتهم اخلاصا في الاعلان والاسرار حتى يهون
عليهم في تحصيل مراده ركوب الشدائد والاعطار ويسهل عندهم مكابدة
الصعاب لنيل ماله من المقاصد والاطوار

نادره) كانقل عن المهلب بن أبي صفرة لما كان في قتال الازارقة
وكان معه من أهل العراق جم غفير وخلق كثير فركب يوما ومعه بئوه
فقال لابنه يزيد يا بني تقدم الى هذه الطائفة من الازارقة فاصغني
أمرها فأخذ يزيد جماعة وتقدم فلما اتى الجمعان كان مع يزيد الحارث بن ربوع
من وجوه كندة فنسكى الحارث في الازارقة نكابة عظيمة وأبلى بلاء حسنا والمهلب
واقف ينظر الى صنعهم ويتعجب من جلات الحارث وفعلاته دون الماقيين فلما جن
الليل وحجز بين الفريقين نزل المهلب فدخل عليه الحارث فلما رآه المهلب زاد

أكرامه وقال مثلك يا حارث من يسدى إليه المعروف ويستندب لدفع الكربة
ولقد بيضت وجه قومك وصدعت بجمعة بشك وصدقت الخيلة فيك وأرضيت
ربك في دينه وأدبرك في نصرته قال الحارث فلما سمعت هذا القول والقلب قوى
عرضني على القتال وهان على الفناء نفسي وعشيري في غمرات الموت بين يديه فلما
أصبح ركبا بنه يزيد وأصحابه فجمعت عشيري وأخذت عليهم موافق الموت
أو الففر فلما اتقى الجمعان هيجت عشيري وحلت بهم فلا والله ما كان إلا هزيمة حتى
هزمناهم وأوقعنا السيف فيهم وغنمناهم والمهلب يتظر فلما أتينا بالغنمة قال لي
المهلب بك وعشيرتك يا حارث كسرهم يزيد فقلت لا أيها الملك بل بك كسرهم
يزيد فقال لي كيف وأنا واقف لم أتحرك فقلت له ذلك الشكر منك بالأمس لي
والكلام الذي هو عند ذوى الفطنة واللب أعلى قدرا من الملك هو الذي أوجب
ما رأيته من خوف الأمانة لأميت من أمثال هذه الوقائع جلا ولقد ريت عند
كل قضية منها من يتأملها مثلا ويكون من شواهد ما يدل على أن الشاكر
يشكره أكل معرفته وأحسن عملا وما أحسن قول القائل

أوليتني نعمًا ما سكت ببعضها * وفي فوائد مدحتي في شكرها
فلا تشكركم ما حيدت وإن أمت * فلتشكركم أعظمي في قبرها

(تذكرة وبصرة) كما أن شكري المنعم يستدر أخلاق الأزد ياد ويبحث على إمداده
بمعاودة الأسعاف والأرفاد فكذلك كفران المنعم يعرض للزوال والنفاذ ويلبس
جاحدها لباس سوء التهمة بين العباد وقد عسانعص بالازدياد من شكر وحل
الانتقام من كفر وفي قضية مككة حوسها الله تعالى وحال أهلها عبرة لمن استبصر
وموعظة لمن تذكر وتذكرة لمن تدبر فان الله تعالى لما أفاض على أهلها سوابغ
نعمه وجعلها بلدا آمنا وشرفه فوسمهم بمجرمه وحنهم من لطائف رفده فضلا ومننا
وأوسعهم غاية حرامهم غنى وأمنا فقال في كتابه العزيز أولم نجد كن لهم نجوما آمنا
يجي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ثم بعث من بينهم محمدا عليه السلام رسولا من
أنفسهم فدعاهم إلى الإيمان وتلا عليهم القرآن وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن
المنكر وحرضهم على صلة الرحم وحنهم على مكارم الأخلاق فكذبوه وكفروا بهمة
الله التي أنعمها عليهم فسلط عليهم أنواع الانتقام وضرب بهم المثل لذوى الأفيام
فقال سبحانه وتعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها

رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون وفي هذا تنبيه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ومما نزل من الحكم المطربة والسكاهات المأثورة عن ذوى القربى أن من قابل النعمة عليه بكفرانها وجازى المحسن بالإساءة فقد استفتح باب سحق العز برذى الانتقام

(حكاية بليغة عن كفران النعمة)

ولقد بلغنى أن الخليفة المنصور أمير المؤمنين لما أحسن إلى عبد الجبار وولاه أمة خراسان وناط بيده أزمة أمرها وفوض إليه حكم قلها وكثرها وأفاض عليه من نعمه ما شهدت به السنة تنظم السير ونثرها فزين له الشيطان سوء عمله فصده عن سبيل شكرها وأغراما بتابع هواه فأرداه في مهواة كفرها فكتب صاحب خبر المنصور إليه يخبره بما شاهد من بريق عبد الجبار ولحجه من صفحات وجهه وسجعه من فلمات لسانه فضاقي المنصور بذلك ذرعا وعظم لديه وقعا وأثار اضطرابه منه في وجه كيفية عمله نفعا وعلم أن الانتقام نازل عن كفر النعمة وإن كان أشد قوة وأكثر جمعا فاستحضر في الحال إليه من هو موثوق بدينه من الكبراء ومرموق بعين الامسابة عند اشتباه الآراء ومنزه عن مواقف التهم بمناصرة الأهواء ومطاع بنور البصيرة على معالجة معضل الادواء وقديما قبيل من استضاء بنور الادلاء في ظلمات الخطوب هدى إلى النظر بالمرغوب والمنجاة من المرهوب فلما أطلعهم الخليفة المنصور على طبع ما طوع به من كفران عبد الجبار لاحسانه وتغيره عما كان عليه من انقياده للطاعة وأذعانه وتنكركه على من عنده من أنصار المنصور وأعوانه استشارهم في كيفية استدراجه إلى الحضرة بمضبره وإتيانه قبيل أن يباهر بمخالفته وعصيانته فسامنهم الأمن استنزل من سماء فهمه صيب صوابه ونزل بيد فكره ورويته خبايا جعابه والخليفة مصغى إلى كلامهم لا يزيد على أن يسمع ويرى ويجمع نهاية أفهامهم ليختار أسدّها في اصابة مقتل ما قد عرى فلما اتلوا كائن الأفكار ونجوا من عهدة الامانة الواجبة على المستشار جادهم على نهجهم وأذن لهم في الانصراف وقد علق بقلبه مقال واحد منهم ويعرف بأبي أيوب الجوزي فانه استصوب رأيه بدقيق فكره واستعذب قوله وتحقيق مشورته فاستحضره وحده وقد حسنت فيه موارد عقيدته فلما حضر استعاد منه مقاله وسأله عما كان ذكره في ذلك الوقت وقاله فقال له يا أمير المؤمنين

بادر الالان بالكتاب الى عبد الجبار وأعلمه بأنك تريد غزو الروم وقد استدعيت
 الجنود من جهاتهم وأمره ليوجه اليك جند خراسان وفرسانها ووجوهها فاذا خرجوا
 منها وانفصلوا عنها سير من شئت الى عبد الجبار يحضره فلما يقدر على الامتناع
 وافعل به ما شئت ففعل المنصور ذلك وكتب الى عبد الجبار كتابا بتلك الصورة
 فأجاب عبد الجبار عن كتابه بأن الترك قد حاشت وهي محاصرة خراسان فان
 فرقت الجنود وتوجهت العساكر منها الى حضرة أمير المؤمنين ذهبت خراسان
 فلما وصل كتاب عبد الجبار بذلك استخضر المنصور أبا أيوب وألقى اليه كتاب عبد
 الجبار وقرأه وعلم ما قصده فقال يا أمير المؤمنين الا أن أمكنك الله تعالى منه
 اكتب الالان اليه ان خراسان عندي أهم من غيرها وحيث قد ذكرت عن الترك
 أنهم قد جاشوا لحفظ خراسان معين علينا وأنا موجه بالجنود اليك ليكونوا بخراسان
 عندك لتستعين بهم على حفظها ثم وجهت أمير المؤمنين الجند ويسيرها الى خراسان
 فان بدا من عبد الجبار خلاف أخذوه بعنقه فسكتب المنصور الكتاب وسيره فلما
 وصل كتاب المنصور الى عبد الجبار حار فكره فسكتب الى المنصور ان خراسان
 لم تكن قط أسوء حالة منها في هذا العام وان دخلها الجند هلك أهلها لضيق ما هم
 عليه من غلاء السعر فلما أتى المنصور كتاب عبد الجبار وقرأه دفعه الى أبي أيوب
 فقرأه وعلم مضمونه وقال يا أمير المؤمنين ان هذا رجل قد أبدى صفقة الخلف
 وتقمص بلباس كفران النعمة فناجزه ولا تؤخره فسير المنصور ولده محمد المهدي
 وأصحابه العساكر وقدم لحصار بته حازم بن خزيمه فتوجه محمد المهدي بالعساكر فنزل
 نيسابور وتوجه حازم بن خزيمه الى عبد الجبار وهو يومئذ بمرو والزود فباغ ذلك
 أهلها وعلموا كفران عبد الجبار لنعمة المنصور ومخالفته لهم فحاض منهم فهرب
 واختفى فطلبوه حتى ظنوا به وأسرروه وسلموه اليه فألبسه حاتم مدرعة صوف
 وأركبه على بعير وجعل وجهه الى ذنبه وسيره الى المنصور ومعه ولده وأصحابه فلما
 وصل هو ولده وأصحابه المساعدة الساعدون له على كفران النعمة وبجود الاحسان
 والمجاهرة بالخسافة والظفان صب المنصور عليهم أنواع العذاب والانتقام
 ثم في آخر الامر أمر بقطع يدي عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه واشبهار ذلك
 ليرتدع كل من قابل النعمة بالكفران وجازى بالاساءة على الاحسان

(وخاتمة) لهذا الباب في الحكم الحسن النازلة في جيد الزمان منزلة قلنا العقيان

(منها) اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا يزال النعمة إذا شكرت ولا بقاها إذا كفرت (ومنها) شكرك من أولئك ما يستقبل لك بمعته على أن يملك ما يستكثر في حق أمثالك (ومنها) من خطبة النعمة بالشكر شكرها بالادوام والناقل يرغب في الشكر ويبدل إمكانه في اقتنائه ويراه أفضل ما يقتنيه من ذخائره (ومنها) من رفع عن الناس بترك بره مؤونة شكره وأراستهم بأهملهم من تلاوة جوده فقد يمس من مكارم الانحلاق كما يس السكفار من أصحاب القبور (ومنها) النعم رزق يديمه الشكر والشكر موهبة يهدي إليها العقل والعقل فطنة يوقظها التوفيق والتوفيق عنايت ربانية منبها الله من شأه من خلقه من زال توفيقه رقد عقله ومن رقد عقله فقدت موهبته ومن فقدت موهبته قل شكره ومن قل شكره حرم رزقه

باب الرابع في المشورة ويكرها * ودم تركها ومجانبتها
من شرف المشاورة وعموم نفعها وعلو درجاتها وعظم وقعها ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بها مع استغناؤه عنها فقال عز من قائل وشاورهم في الامر وقال تعالى يمدح من وصفهم في كتابه العزيز بصفات حميدة لا يجوزها الا الموفقون والذين استجابوا لربه وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون فجعل أمرهم شورى بينهم وكفى ذلك في فضيلة المشورة ذائلا والى خروج فضلاسيلا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة لا يحاسبه أشروا على وشكل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزم فقال ان تسترشد وقال صلى الله عليه وسلم ما أحب من استشار ولا ندم من استشار وقال عليه السلام ما شقي عبد بمشورة ولا سعيد من استغنى برأيه وفي التوراة من لم يستشر في أمره يندم وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر استشارة لأحسابه من النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاور أصحابه في قصص كثيرة وقضايا متعددة (منها) لما أراد مصالحة عيينة بن حصن وأحمار بن عوف حين قصده الأحزاب يوم الخندق على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ويرجعان عنه بمن معهم من غطفان فقال صلى الله عليه وسلم حتى أشاور السعديين سعد بن معاذ وسعد بن عباد وسعد بن قارة فشاوهم فأشاروا أن لا يعطيهم شيئا فعمل بمشورتهم (ومنها) استشارته في أسارى بدو وأشار أبو بكر رضي الله عنه بأفداء وأشار عمر رضي الله

عنه بالقتل فعمل صلى الله عليه وسلم برأى أبي بكر (ومنها) لما نزل صلى الله عليه وسلم
ببدر بأدنى ماء هناك قال له الحباب بن المنذر يا رسول الله أرايت هذا المنزل منزل
أنزلك الله تعالى ليس لنا عنه مهتد ولا متأخر أم هو الرأى والحرب والمكيدة
فقال صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الحباب فان هذا
ليس بمنزل فانهم يا رسول الله بالناس حتى نأق أدنى منزل من القوم فنزل على
مائة ثم تغير ما وراءه من القلب والأتار وتعمل لك حوضا فمأواه ماء ثم تسأل القوم
فتشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى ونهض
صلى الله عليه وسلم ومن معه وسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه وعمل ما
أشار به الحباب بن المنذر * وقال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في
المشورة سبع خصال استنباط الصواب واكتساب الرأى والتحصن من
السقطه وحزم الملامه ونجاة من الندامة والفقه القلوب واتساع الاثر وقال
لقمان لابنه يا بني اجعل عقل غيرك لك فيما تدعوك الحاجة الى فعله فقال ابنه
كيف أجعل عقل غيري قال تشاوره في أمرك وقال اذا استخار الرجل ربه
واستشار صحبه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله في أمره ما يحب وقيل
للأحنف بن قيس بأى شئ يكثر صوابك ويقول خطأك فيما تأتبه من الامور
وقبائحهم من الوقائع قال بالمشورة لذى التجارب ومخض زبدة الراء

﴿تهذيب واضح * وتبينه لا يبع﴾

من واردات الحكم ومسندهما عن كبراساطين الحكمة وموردها وقد سئل
ما بال العاقل ذواللب مشورته على نفسه تقصر عن اصابة الصواب وادراك
المطلوب ومشورة غيره له تظفر بذلك فقال ان مشورة الانسان لنفسه ممزوجة
بالهوى ومشورة غيره له سالمة من ذلك ولا اصابة مع الهوى وقد عاقل سبعة لا ينبغي
لذى لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى
فان الجاهل يضل والعبد ويريد الهلاك والحسود يتقنى زوال النعمة والمراءى
واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع
المال فلا رأى له في غيره وذو الهوى أسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته ومما
يقطع بهجة هذا المقال وصدقة ويطلع أنوار تحفته من هطالع أفقه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الشح المطاع والهوى المتبع وكفى بكل واحد

منهما صار عن الحق المبين وواقفا في وجه السنن المستبين

(إشارة عز بزه * وعبارة جيزة)

لا يثني أهلية المشورة من صفاء فكره وضياع حسن وجودة فهم وقوة نفس وسبق
ضمير به وصحة حدس والاطلاع على عتقات الأمور وفارقة قول الزور فإذا حصلت
هذه المتزايا أطلعه الله بنور بصيرته على ما وراء الحجاب المستور فأصاب عند
مشورته أصدق فكره مواقع التدور وحصل بالعمل بما أشار به خروج من
الظلمات إلى النور وشفاء ما ساقى الصدور *

(حكاية عن فوائد المشورة)

وعما قرع المسامع وأطرب السامع من قضية الشعبي شاهد بأن المهدي يتور
الإشارة مصيب السواء السبيل وكيف يفضل من بين يديه من اتباع الشريعة وضياع
العقل أوضح دليل وتلخيص القضية بمسافر أغصاني قلب الاختصار وبلاغها
مستحقها من البيان مع محانية الأفراس والافتقار ما أورد معناه ذوو
الاستبصار من فضلاء الأمصار أن الشعبي رحمه الله لما قدم به على الحجاج في الواقعة
التي أئذنت فيها شبيعة علي بن طالب كرم الله وجهه وكل من مال إليهم حين
خروجوا عليه فظفر بهم فسلك وقتك وقتك وقتك واستباح المخطور وارتكب
من الشكال ما جاوز حد الانتقام وكان من يعتذر إليه في موافقتهم وليس منهم
يقبل عذره ويطلق سراحه قال الشعبي كان كاتب الحجاج صديقا لي فقال
يا شعبي اعتذر إليه عساك تنج من أذى فقد تقي نفسي بأن أعتلي أعذارا
يقبلها فإذا كان الليل طنت على أغوام لي على عتولهم اعتماد وفي رأيهم حسن
ظن فقلت لهم ما تشيرون فقد أبدأ في الحجاج في أول مجلسه فأنفقت أشارتهم
مع اختلاف عبارتهم على أن الصدق أولى ما فطنت به فاعتمده منه فلما أصبحت
ودخلت عليه سلمت عليه بالأمرة وقلت أصليح الله الأميران الاعتذار بخبر ما يعلم
الله أنه الحق لتبجح عندهم هودون مكانتك وأيم الله لا أقول في مقامى هذا إلا الحق
والصدق ولقد جهلنا وحرصنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة
ولقد نصرنا الله علينا وظفرك بنا فان سطوت فبذنبنا وان عفوت فبجلدك
والحجة لك علينا فحك الحجاج بعد تطو به وسكن بعد وثوبه وقال والله أنت
أحب إلينا قولاً لصدقك ممن يدخل علينا ويصفه بقطر من دماءنا ويعتذر ويقول

ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت يا عباس الامير اكتملت بعدك الشهر واستشربت الخوف وقطعت صالح الاعوان ولم أجذب بعدك خلفا فتمال صدقت فطبت نفسا واسطأ ملا فخرت من عنده وقد أمنت ببركة المشورة واستعمال الصديق وقد قيل ما عرض أحد عن قبول المشير الا واستغنى لباس النعم على التخصير وقد عاقل ما ضل من استخار ولازل من استشار

(مطلب في اضرار ترك المشورة)

وقد قيل ابن عباس رضي الله عنه قال لما قتل طلحة بن عبد الله رضي الله عنه وقد وقعت تلك الواقعة المشهورة خرج على رضي الله عنه راكبا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والكراهة تدين من وجهه فقال رحمه الله عبي العباس كأنما كان يطالع على الغيب من وراء ستر رقيق صدق والله ما نلت من هذا الامر شيئا الا بعد شر لا خير معه فقلت يا امير المؤمنين لو قبلت مشورته لاسترحمت فقال وكان امر الله قدرا مقدورا قال ابن عباس فسماني بعض أصحابه عن مشورة العباس فقلت قعد العباس وعلى رضي الله عنهم في أيام عثمان فقال لعلي يا ابن أخي كنت أشرت عليك بأشياء ولم تقبل مني غرايت في عاقبتهم ما كرهت وهما أنا الآن أشير عليك يا ابن أخي فان قبلت والا ناك ما تذكره كنت أشرت عليك لما أشد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله ان كان الامر فيما أعطاناه وان كان في غيرنا أوصي بنا فقلت ان منعناه لم يعطنا أحد بعده فحدثت تلك ثم ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أبو سفيان ابن حرب تلك الساعة فدعوناك فقلت اسع يدك نياي عليك فانا ان يايعناك لم يختلف عليك منافي وان يايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي وان يايعك قريش لم يختلف عليك عربي فقلت في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ولئن يفوت الامر فلم نلبث حتى سمعنا التكبير من السقيفة فقلت ما هذا يا عم فقلت مادعوناك اليه ثم اساطعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرت عامك أن لا تدخل معهم في الشورى فأنك ان اعترلتهم قدموك وان ساويتهم لم تقدموك فدخلت معهم فكان ما رأيت وهما أنا أقول لك الآن أرى هذا الرجل يعني عثمان رضي الله عنه يؤخذ في أمور السكاني بالعرب وقد سارت اليه حتى يخر كل يخر الجزور والله لئن كان ذلك وأنت حاضر بالمدينة ليرمينك الناس بدمه وان فعلوا لا تنال من هذا الامر شيئا الا بشر لا خير معه فهذا كان رأي العباس ومشورته ولكن حاجز القدر

منع من العمل بهذه المشورة ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقد كان عمر رضى الله عنه
يشاور في كثير من الوقائع حتى قال يوما لأصحابه أشيروا عليّ ودلوني على رجل
أستعمله على أمر قد دهممتي فتولوا ما عندكم فاني أريد رجلا إذا كان في القوم وليس
أميرهم كان كائنه وإذا كان أميرهم كان كائنه واحدا منهم فقالوا نرى لهذه الصفة
الريبع بن زياد الحارثي ففسر عليّ أمير المؤمنين به فاحضره وولاه فوفق في عمله
وقام فيه بما ربه عليّ رجاء أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فيه وأمله فشكر عمر رضى
الله عنه من أشار عليه بولاية الريبع وكان بحث على المشورة في الأمر الكبير
الرفيع والمخير والوضيع وقد قيل في ذلك من استشار فقد اعتصم من الرأي
بالمعقل المنيع ومن استتب فلا يأمن أن يحتل مراده ويضيع وعلى الجملة فقل
الفر يقين كالاعى والأهم والبصير والسميع وطالما أدرك المستشار بغته
فانقلب بقدح الفائزين ولولا الاستشارة لكان عن أدراك مأموله من العاجزين
(لطيفة في فوائد المشورة)

وقد ورد من مستحسنات ما يطرب عن بعض ساكني يثرب يعرف بالاسلمي قال
ركبني دين أثقل كاهلتي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه
فضاقت على الأرض ولم أهتم الى ما صنع فشاورت من اتق به من ذوي المودة
والرأى فأشار عليّ بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له عن عني بعد الشعة
وتيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على
ما ذكره لي الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي
ومحبت رفعة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت
عليه وقلت له أصلى الله الامير اني قطعت اليك الدهناء وضربت يا كاد الابل من
يثرب فانه أشار عليّ تذرو الحجي والرأى بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتتني
بوسيلة أوقربة او عسيرة فقلت لا ولكن رأيتك محاجتي اهلا فان قت بها فأنت
اهل لذلك وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم اياس من غدك فقال المهلب
محاجبه اذهب وادفع اليه ما في خزائنه مالنا الساعة فأخذ في معه فوجد في خزائنه
ثمانين الف درهم فدفعها اليّ فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحا وسرورا
واعادني اليه مسرعا فقال هل وصلت ما يقوم بدفع حاجتك فقلت نعم أيها الامير
وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جني مشورتك وتصديق ظن من

أشار عليك بتصدينا قال الاسني فلما سمعت كلامه وقد احزرت صلاته انشدته وانا
واقف بين يديه

شعر

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير السبل والجود
عمت عطاياك أهلي الارض قاطبة * فأنت والجود مخلوقان من عود
من استشار فيساب النجج منفتح * لديه في ميفاه غيب سر مستود
ثم عدت الى المدينة وقضيت ديني ووسعت على أهلي وجوزيت المشيرين على وعاظمت
الله تعالى في لا ترك الاشارة في جميع امري ما عشت * وكل من يديه دهمته حادثة
اظلم من الليل اذا تغشى فهدته الاشارة الى كشف كربته نهجا أوضح من النهار
اذ انجلي فأمن سربه وزال كربته اذا سمعته المشورة لا تخف انك انت الاعمى وقد
ورد من عجيبات القصص ومستغربات القصص ما يصف هذا القول بالصواب
ويكشف عن وجه تصديقه نقاب الارقياب ويقذف في نفس سامعه أن حدس
واصفه قد أصاب وان سمعها فهو نور باب علمه قد نزل بالحكمة وصواب
من استشار نجما من الناري

في غريبه كذانه قيل في مسطور السير ومنزور وقائع العبر ما معناه ان الخليفة المنصور
كان قد صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلفة لا يحتملها
حراسة الخلافة ولا يتجاوز عن سياسة الملك والابا لا تقبسه عنده ثم يابنه عن ابن عمه
عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على الكوفة ما أقدم عقيدته فيه وأوحشه منه
وحسرف وجهه اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل أمه
وترادف خوفه ومنزله وقد عاقل من جاءته الاساءة من جانب توقع الاسعاف منه كان
الله أشد ونكاية قرعته أعظم ومن خامر قلبه استشعار زوال ملكه وتوهم تطاع
النلوب الى دماره وهلكه كان جديرا به بمجانبة الرقاد ومخالفة السهاد وبجفاف جنبيه
عن المهاد والجمال فكركه وتخليه في اصلاح ماعرا أمره من الفساد فأدت فكرة المنصور
الى أمر دبره وفكر كتمه عن جميع حاشيته وسيره واستحضرا بن عمه عيسى بن موسى
وأجراه على عادة اكرامه وأخرج من كان بحضرته ثم قال له ما معناه يا ابن عمي
مطلعك على أمر لا أجدر بك من أهله ولا سواك مسعدا لي على جل ثقله قبل أنت
في موضع ظني بان وعامل على ما فيه بقضاء نجتك التي هي منوطة ببقاء ملكي
وقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عي
وعيك تبت الله قد فسدت بطائفة وأعتد ما في بعضه ما يبيع دمه وفي قتله صلاح

ملكاً فنهذ اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمراً ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعماسه اخوة عبد الله ليقيدوه به ويقتلوه قصاصاً فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمي وأفسدت في قتله رأيت من الرأي ان أشاور في قضيتي من له رأي عسى ان أصيب الصواب فيها فأحضرت يونس بن فروة الكاتب وصكان لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين سلم الي عمه وأمرني بقتله واخذناه أمره خارا يك فيه وماتشير على به فقتل لي يونس أيها الأمير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فاني أرى لك أن تدخله الى مكان داخل دارك وتسكن أمره عن كل من عندك وتتولى بنفسك جل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وأبواباً وتجعل بين كل من هو من بطائتك وبين المعرفة بهذه الحال حجاباً وأظهر لأمير المؤمنين انك أنفذت أمره وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنني به اذا تحقق انك فعلت ما أمرك به وقلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلت به أمره أنككر أمره لك وواخذك بقتله وقتلك به قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأدخلت عمي الى خزنة في داخل داري وأفردت له موضعا وتركت عنده ما يأكله ويشربه أياما وأغلقت عليه أبوابا وأقفالا وجعلت مفاتيحها معي وأظهرت لأمير المؤمنين أنني نفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه اني قتلت عمه عبد الله أنا وأعماسه يهنؤنه ويستوهبوه منه وأطمعهم في اجابتهم فجاء اليه وقد جاس والناس بين يديه على مراتبهم فسأله في عبد الله فقال نعم حتى ترضى باسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فأحضروه فقلعوا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي الى الحج عبد الله عمي وعمك ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي قال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال قد سألتني فيه عمومتك وقل رأيت الصفع عنه وقضاه حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فأتياه قال عيسى بن موسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله والمبادرة الى ذلك فقال المنصور كذبت ما أمرتك بذلك ولو اردت قتله لسلطته الي من هو بصدد ذلك ثم اظهر الغضب وقال له مومته قد اعترف واقر بقتل اخيك مدعيان الى أمرته بذلك وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه

الينا لنقتله ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذوني الى الرحبة واجتمع على
الناس فقام واحد من عجمي الى "وسل سيفه ليضربني فقلت له يا عم أفاعل انت
قال أي والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخي فقلت لهم لا تبعدوا رذوني الى امير
المؤمنين فردوني اليه فقلت له يا امير المؤمنين انما اردت قتلي بقتله والذي دبرته
على عصمى الله من فعله وهذا علك باقى حتى سوى وان أمرتني بدفعه اليهم سم دفعته
فأطرق المنصور وعلم ان ربح فمكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف
خسارا وقديما قيل من اتبع هواه وشرع فيما يهواه وقطع نظره عن عواقب
ما أتاه واقتنع برأيه عن مشاورة من سواه كان اخفاق مسعاه اقرب اليه مما امله
ورجاء فقال المنصور لعيسى اثنتا به فضى عيسى وأنى بعبد الله فلما رآه قال لهم ومته
اتركوه عندي وانصرفوا حتى ارى فيه رأيا قال عيسى فتركتهم وانصرفت
وانصرف اخوته فسلمت روجي وزالت كربتي وكان ذلك بسيرة المشورة ليونس
وقبول اشارته والعمل بمشورته ثم ان المنصور اسكن عبد الله في بيت أساسه قد بني
على الملح ثم أرسل الماسحوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فسات عبد الله ودفن في
مقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المسكينة ومن سهام مرامها البعيدة وقد وضع
من غضون هذه القضية وأرجائها ان ترك الخليفة استعانت به بأفوار الافكار وأراشها
قطع عنه مواد مراده وأضعف قوى قصده وأعضاده فلم تظفر نفسه المتألمة بشغائرها
ولا زال عنها ما ظمها من أدوائها بما اعتمده من طرق دوائها وان استسقاء عيسى ماء
المشورة واستنزاه من سحاب سمائها واستضاءته بنوره مشكاتها في دجى الحيرة
وظلمائها أروى صدها وأهدى اليه هداه فجرت الاقدار بسلامة نفسه وبقاءها
وقلبا رغبت في المشورة أحد وعمل بها الاغنى ولا زهد فيها وأعرض عن قبولها الا اندم

﴿حكاية عن فوائد المشورة﴾

* بلغني ان أمير المؤمنين محمد الامين لما قصد عبد الله بن طاهر بعساكر المأمون
وحصر ببغداد واستدعاه الى امر وضاق بين يديه المسالك الى النجاة قال من استشار
ذارئ ومعرفة وخالفه وقع فيما يكره وندم على التفريط فانه لما حصل عندي من
أخي حاله أحضرت الشيخ أبنا الحسن القطيفي وكان ذارئ ومعرفة بموارد المحوادث
ومصادرها فحدثني أخي المأمون وما الذي أعتمده حتى يقع في يدي وأطلعت على
حقيقة الحال واستشعرته في كيفية العمل في ذلك فقال لي ان استجبت لم تنتفع

بإي ولا فعمل وان غفلت وقيمت مشورتى وعملت بما أقوله تمسكت من أنيكل
 وبلغت ما تأمله وذلك انك تدعو بحاج خراسان اذا قدموا بغداد وتجلس لهم مجلسا
 عامًا وتقول لهم ان اني كذب الى محمدكم ويذ كر حسن طاعتكم وجيل انقيادكم
 وجيل مذاهبكم وتجزئهم خيرا ثم تقول لهم قد اطلقت عنكم الخراج سنة وأخوك في
 خراسان وهي بلاد رجال بلا مال وليس له في رد قولك حيلة رسيته من ذلك خلل
 عظيم ثم يفتض عليه أكثر أمره ثم تنقل في السنة المقبلة مثل ذلك وتستقط عنهم خراج
 سنتين فان لم يوت في السنة الثالثة بأنك في وثاق والا فاضرب عنق ان كنت حيا
 نفا الفقه وما قبلت مشورته وعملت الى خلع المأمون وعقدت الامر لابني عتي وقع
 ما وقع فن خالف المشير ندم على التقصير (قيل ما معناه) ان بعض صدور العراق
 كان له واوروية ومكانة من ذي الخلافة عالية وعلمه من ملابس النباهة حلة
 سنية وتحملة من الولاية مطنية وطية ففوقت اليه الايام من حوادثها سهم او أقامت
 له من الحاسدين القاصدين خصما فأبرم له حيل اختبأه ليسومه باختياره ظلمًا
 وهضمًا وكان قد علم ان التوفيق عهد بالاستشارة لكان قدسى ولم يجد له عزما
 فاعرض عن الاستشارة فيمأعراه استبكارا ولم يرض لنفسه أن يقلد في أمره
 مستشارا فأهواه تبه عن مهواة الخيرة عشوا ولم يجد له على دفع ما كاده به الحاسد
 القاصد انصارا قال فغشيت ظهور المرامي لاسهم الرامي وضائق عليه في المدافعة
 فسحبات المرامي فأغشيت اغفاهة فرأيت في مناعي انسانا واقفا أمامي وهو يقول لي
 عليك بشير الازدي فقلت وما قال الازدي فقال قوله

تمسك بأهداب المشورة واستعن * بحسزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوا في قوة لاقدام

فاستيقظت وقد حفظت البيتين فسألت عنهما من هما فأخبرت انهما اليه يجمعان
 الازدي كما قال لي ذلك القائل فعملت بهما وشاورت فيهما حدث لي واعتمدت العمل
 بالمشورة فاندفع عني ما كنت أتوقعه من الازدي المردى والتلف المتوقع فعاهدت
 الله تعالى بعدها أن لا أترك مشاورة أهل الرأي وذوى المعرفة في جميع ما يعرض
 لي ولمت ذلك فريحت واسترحت (قيل) لرجل من عبس ما أكثر صوابكم في
 مشاورة ما تأتونه ومجانبة ما تعرضون عنه قال نحن ألف رجل وفينا رجل واحد
 حازم ذو رأي ومعرفة فنحن نشاوره في الجليل والحقير ونعمل برأيه فسكاننا اذا

أصدرنا عن رأيه ومشورته في ألف حازم وجدير بألف حازم أن يصيبوا * وقد يسا
قبل (شعر)

إذا ما عرى خطيب ورمت وروده * فشاوور فكم نفع هده المشاورة
وأنفع من شاوور من كان ناصحا * شقيفا فابصر بعد من تشاورة
في خاتمة لهذا الباب في الحكم الموقولة والالفاظ المنقولة *

(منها) لا معين أقوى من المشورة ولا عون أنفع من العقل فالمشورة تقوى العزم وتفتح
الفتح وتوضح الحق وترشد إلى الاصابة وتبسط العذر وتخرج عن مواقف الندامة
والعقل يهدي صاحبه إلى اجتناء ثمرات المشورة ومنها من استشار ذوي الرأي والمعرفة
في فعل ما عناه فقبل المشورة منهم واقتدى بأرائهم فيما لم يعدل عنها وعن قويم نخبها
قل أن يحقق مسعاه ويفوت مطالبه فإن أعجزه القدر فهو معدود غير ملوم (ومنها)
من ترك المشورة وعدل عنها فلم يظفر بحاجته صار همدافا لسهام الملام ومضغ غدي
أفواه العاذلين (ومنها) من فضل المشورة أنها تكشف لك طباع الرجال فتطلب
اختيار رجل فشاورة في أمر من الأمور يظهر لك من رأيه وفكره وعسده وجوره
وخبره ومرد (ومنها) من أكثر الاستشارة لم يعد عند الاصابة مادحا وعند الخطأ
عاذرا

في الباب الخامس في الانصاف والعدل في الرعية والنظم والاحفاف في البرية *

قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية
وقيل الثمروع في مقصود هذا الباب وكشف الغطاء عن وجه المطالب
فيه لا بد من الاشارة الى معنى هذه الآية الجامعة لهذه الصفات الجميلة والخلال
الحميدة * فأقول نقل عن قتادة رضي الله عنه أنه قال ان الله تعالى أمر
عباده في هذه الآية بمكارم الاخلاق ومعاليها ونهاهم عن سفاسف الاخلاق
ومذامها وقال أيضا انه ليس من خالق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به
ويعظمونه إلا أمر الله تعالى به وليس من خالق سيئ كانوا يتعاورونه بينهم الانبي
الله عنه * بلغني ان الشعبي قال جاء شتر ومسروق فقال شتراما أن تحدث ما سمعت
من عبد الله بن مسعود فأصدقك وأما أن أحدث فتصدقني فتعال مسروق لابل
حدث فأصدقك قال سمعت عبد الله يقول ان اجمع آية في القرآن خير أو شر في
الخل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء

والمسكرو البني قال مسروق صدقت وقال ابن عباس رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء يده بككة جالسا اذ مر به عثمان بن مظعون فذكره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلا فبينما هو يتحدث اذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره الى السماء فظفر ساعة واخذ يفتح بصره حتى وضعه عن عينه في الارض فتخرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره فاخذ ينفض رأسه حتى كأنه يستنقذ ما يقول له ثم شخص رسول الله ببصره الى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى بالسماء فأقبل على عثمان بكلمته الاولى فقال عثمان يا محمد قد كنت أجالسك وآتيك فما رأيك تفعل فعلتك هذه قال وما رأيته فعلت قال رأيته قد شخص بصره الى السماء ثم وضعته عن يمينك فتخرفت اليه وتركتني فأخذت تنفض رأسك كأنك تستنقذ شيئا يقال لك قال أوفطنت الى ذلك قال عثمان نعم قال أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا وأنت جالس قال عثمان رسول الله أتاك قال نعم قال فما قال لك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون قال عثمان فذاك حين استقر الایمان في قلبي واذا حدثت محمد او قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على الوليد وكان كثيرا في قریش فقال له يا ابن أخي أعد علي فاعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان له الخلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاء امره وان أسفله لمورق وما هو بقول البشر والمراد بالعدل الانصاف فلا تفعل الا ما هو عدل ونصفة والمراد بالاحسان العفو عن الناس واسداء المعروف والمراد بابتداء ذي القربى صلة الرحم فلا تقطعها والمراد بالنهي عن الفحشاء ما قبح من الافعال والاقوال والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وبالبغى الظلم والعدوان وفي هذه الآية مقتنع في فضل العدل وعلاؤ درجة وكمال منقبته والبحث على اجتهد الانسان في التحلي بصفته وقال سبحانه وتعالى واذا قلتم فاعدلوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عدل السلطان يوما يعدل عند الله تعالى عبادة سبعين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم السلطان العادل وأبغضهم الى الله وأبعدهم السلطان الجائر وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والنبي نفس مجسيدة انه ليرفع للسلطان العادل الى

السماة مثل حمل جله الزعية وقال صلى الله عليه وسلم حديثه مقام في الارض خير من
 أن تطرأ ريعين صباحا وقال صلى الله عليه وسلم ان المقسطين في الدنيا على منابر
 من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا وروى أيضا أن
 المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يجدون في حكمهم
 وأهلهم وما ولوا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد ولاه الله
 تعالى أمر زعية فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلان من أمتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم ومبتدع غال
 يتعدى الحدود وقد قيل ان الملك يدوم مع العدل وان كان صاحبه كافرا ولا يدوم مع
 الظلم وان كان صاحبه مؤمنا وكان كسرى أو ثور وان سمي بالملك العادل ويكفيه
 في الشرف والفخر وعلو الذكر والندى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى
 بذلك حيث قال ولدت في زمن الملك العادل ولما قيل لكسرى بماذا استحق الملك
 هذه الصفة قال لا في جعلت العدل أكبرهمى وجاني عليه قول الحكيم الفاضل
 * لا ملك الا بالجد ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلا ولا بلاذ الا بالرعاء ولا رعاء
 الا بالعدل فلزمت العدل واعتمدت عليه فأمنت الرعاء وعمرت البلاد * وقد نقل
 عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في هذا المقام ما هو أفصح وضحا
 وأعظم وقعا وأتم نفعا وأبلغ أنواع البلاغة والفصاحة جها وهو قوله العالم حديقة
 سياجها الشريعة والأمر بعبادة سلطان يحجب لها الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك
 والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية
 والرعية سواد يستعبد لهم العدل والعدل أساس قوام العالم

﴿اعتبار واستبصار في العدل﴾

بلغنى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولي الخلافة كتب الى
 الحسن البصرى أن يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه اعلم
 يا أمير المؤمنين ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل
 حائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم وهفرع كل ملهوف
 والامام العادل يا أمير المؤمنين كل راى الشفيق الحازم الرفيق الذى يرتادها
 أطيب المراعى ويدودها عن عراة الهلكة ويحميها من السباع ويكفيها من أذى
 الحر والقر والامام العادل يا أمير المؤمنين كالاب الحنانى على ولده يسعى لهم

صغاراً ويعلمهم كباراً ويكسب لهم في حياته ويذكر لهم بعد وفاته والامام العادل
يا أمير المؤمنين كالام الشقيقة البرة الرقيقة تولد لها حلتة كرها ووضعته كرها وربته
طفلاً تسهر لسهرة وتسكن لسكونه ترضعه تارده وتقطعه أخرى تفرح لعافيته وتغتم
اشكائه والامام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده
والامام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر
الى الله ويرىهم وينقاد لله ويقودهم اليه ولا تسكن يا أمير المؤمنين في سائل كان الله
كعبداً ثم نه سيده واستخف غلامه وعباله فبدد المال وشرّد العيال فأفقر أهله
وأهلك ماله واعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أنزل المحمود ليزجر بها عن الخبائث
والفواحش فكيف اذا أتاهما من يليها وان الله تعالى أنزل التماسح حياة
لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم قال ناقل هذه المغالة فلما قدم كتاب الحسن
البصري على عمر بن عبد العزيز وقع منه موقع وغظه ومحل يقظه

ومن متداول الالسننة * على طول الازمنة *

قولهم عدل السلطان يقوم مقام نصب الزمان زعمت الفرس ان فيروز بن يزيد
بن بهرام جور كان ملكاً عادلاً واتفق ان الناس قعطوا في زمانه سنوات متوالية
حتى غارت الانهار والعيون وقحلت الاشجار والغياض وهلكت جملة من
الوحوش والطيور وصارت الدواب والانعام لا تنطق جملة لشدة القحط وقلة الثوت
فبسط من أحسانه ونشر من آثار عدله وكف عن جباية المحقوق واستخراج
الخراج والمستعقات وأخرج من ميوت الاموال ما فرقه وأمر باخراج ما في الاهراء
والمطامير من الغلال والطعام وترك الاستئثار به وسأوى في ذلك بين غنيهم
وفقيرهم وأخبر رعاياه انه متى بلغه ان انساناً مات جوعاً عاتب أهل تلك البقعة
ونسكل بهم فنبيل انه لم يمت في تلك الجماعة العظيمة الا رجل واحد من كورة
ازدشير فقام عدله في الزعامة مقام الخصب حتى جاء الخصب وعادت السعة ورعاياه
على ما يؤثرون وقد كان يوصي عماله فيقول سوسوا الناس بالمعدلة واجلوهم على
النصفه واحذروا ان تلبسونا جلودهم أو تطعمونا لحومهم أو تسقونا دماهم * قيل
ان قيصراً ملك الروم سیر رسولا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليشاهد أحواله ويكشف أفعاله ويسمع أقواله فلما وصل الرسول الى المدينة قال
لأهلها أين ملككم قالوا ليس لنا ملك وانما لنا أمير قد خرج الى ظاهرا المدينة

فخرج الرسول في طلبه فرآه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل وقد وضع
 درته كالحفدة له والعرق يسقط من جبينه فلما رآه الرسول على هذه الحالة وقع
 الخشوع في قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الأرض لا يقر لهم قرار من هيئته
 وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فميت ومالك يهجو فلا جرم لا يزال
 خائفاً ساهماً أشهد أن دينكم لدين الحق ولو لا أني رسول لأسلت وليكني سأعود
 بعد هذا وأسلم * وقد قيل من سعادة الملك محبته للعدل ومن علامة محبته للعدل
 مخالطة لاهل العلم ذوى الدين ورغبته في محادثتهم لينذكروا بمسايب عليه من
 العدل الذي هو سعادته في الآخرة ودوام ملكه في الدنيا وحسن سمته في العالم
 وصل القلوب إليه ويرى أن الالسن بالله عامله كما نقل عن أمير المؤمنين هارون
 الرشيد أنه أحب أن يرى شقيقه اليخني رضي الله عنه فلما دخل عليه قال له أنت
 شقيق الزاهد قال أنا شقيق وليت براهداً فقال أوصني قال عليك بالعدل فإنه أول
 ما يطلبك الله به واعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى أجلك في موضع أبي بكر
 الصديق وهو يطلب منك الصدق مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب
 الفاروق وهو يطلب منك أن تفرق بين الحق والباطل وأهلك محمد
 عثمان بن عفان وهو يطلب منك مثل قيسامه في الرعيمة وأعطاك موضع علي
 بن أبي طالب وهو يطلب منك العدل والعمل به كما يطلب منه فانظر لنفسك
 يا أمير المؤمنين قال الرشيد فانتفعت بكلامه ورسخ في نفسي منه ما نفعتني الله به
 وقد يحتمل أنه قيل ليزيد ملك الفرس ما الذي أوجب لكم انتظام الأمور
 ودوام السرور فقال ما معناه أنا استعملنا العدل والإنصاف فمرت بلادنا واستعملنا
 تأديب الخائن وتقرىب المشفق الأمين فمضى ملكنا واستعملنا الاحسان إلى رعايانا
 فلما قلوبهم واستعملنا الصدق فداننا لساموك الطوائف واستعملنا مكارم
 الاخلاق فاكتملنا حسن السمعة وبقاء الذكر ولم يختلف علينا من فسكره
 بخلافه لنا فاستقامت لذلك أمورنا وتم سرورنا ولقد دل على المعنى البسيط بهذا
 القول الوجيز ومن استعمل ذلك فقد أسعده بتوفيقه وسكن التوفيق عزيز

﴿اعتبار نافع وتذكير جامع﴾

قرع السامع ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما آل أمر الخلافة اليه بذل
 جهده في اقامة العدل واستعمال القسط ودحض الظلم ومعاملة العالم بالانصاف

فكتب اليه عدي بن ارطاة كتابا مختصرا مضمونه أما بعد فان قبلنا ناسا لا يؤدون
ما في جهنم من الخراج الا ان يسهم شيء من العذاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز
أما بعد فالجواب كل الجواب عن استئذانك اياي في عذاب البشر كما في جنة لك من
عذاب الله تعالى أو كأن رضائي ينجيك من سخط الله تعالى فاذا أتاك كافي
هَذَا فمن أعطاك ما قبله عفوا فاقبله ومن أنكر ما قبله فاستغفروا الله لأن
نلقى الله تعالى بخيانتهم أحبه الى من أن نلقى الله بعدا بهم

﴿لطيفة عن شراح الجور﴾

ونقلت الرواة الثقات والنقلة الاثبات ان مالك بن أنس امام دار الهجرة
رضي الله عنه قال بعث الى أبو جعفر المنصور والي ابن طاوس قد دخلنا
عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له وبين يديه انطاع قد بسطت
وجلاد زهم بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس فأومأ اليها بالجلوس وأطرق
عناطوبلا ثم التفت الى ابن طاوس فقال له حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل
أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله قال مالك فضممت شأبي مخافة
أن يلائي دمه ثم التفت اليه أبو جعفر فقال عظمي يا ابن طاوس قال نعم اما سمعت
الله يقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
وثمود الذين جاؤا اخضر بالواد الى قوله لبنا المرصاد قال مالك فضممت شأبي أيضا
مخافة أن يلائي دمه فأمسك المنصور ساعة ثم قال يا ابن طاوس ناواني الدواة
فأمسك ابن طاوس ولم يسأله اياها وهي في يده فقال ما يمنعك أن تتناولها قال
أخشى أن تكتب بهام عصية الله فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك المنصور قال
قوم اعني قال ابن طاوس ذلك ما كنت بنى قال مالك فصارلت أعرف لابن طاوس
بعدها فضله * وقد عاقل ما نسب الى سقراط الحكيم ينبوع فرح الانسان
وحفظ بدنه القلب المعتدل وينبوع فرح العالم وحققه السلطان العادل وينبوع
خزن الانسان القلب المختلف المزاج وينبوع خزن العالم وفساده السلطان الجائر

﴿نادرة﴾

روى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للاظالم يوما فلما
انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال لك حاجة قال نعم تدني اليك فاني مظلوم قد
أعوزني العدل والانصاف قال من ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فأذكر حاجتي

قال وما يحجبك وقد ترى مجامعي مندولا قال مجعني عنك هيتك وطول لسانك
وفصاحتك واطراد جنتك فقال فقيم ظلمتك قال في ضيقتي الغلالية أخذها وكيلك
غصباني بغير ثمن فاذا وجب عليها نراج أدية باسمي لتلايشت لك اسم في ملكها
فيطيل ما تكي فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدّي نراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم
فقال له محمد هذا قول يحتاج الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير
من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس
يحتاج معهم الى شيء آخر فامعني قولك بينة وشهود وأشياء أيش هذه الاشياء الا الى
والحصر والتمطرس وعدوك عن العدل فحكك محمد وقال قد صدقت والبراء
موكل بالمنطق واني لاري فيك مصطعنا ثم وقع له برؤيئيه وأنه يطلق له كرت حنطة
وكرت شعير ومائة دينار يستعين به على قيام ضيعته وصيرده من أصحابه وكان قبل أن
يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين
مظلوم لا يتصر وظالم لا ينصف فلما صار من أصحاب عبد الملك ورد عليه ضيعته
قال له ليله كيف الناس الآن قال بخير قد اعتمد معهم الانصاف ودفع عنهم
الاجحاف وردت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا الرجولهم ببقائك نيل
كل مرغوب

(قيل) ان يهوديا وقف لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان ابن
هرمز نائبك قد ظلمني فأصفتني منه وأدفعني خلاوة العدل فلم يقض حاجته ثم عاد
ووقف له مرة ثانية ثم عاد ووقف له مرة ثالثة فلم يلتفت اليه فقال اليهودي يا أمير
المؤمنين انا نجد في التوراة المنزلة على موسى كليم الله ان الامام لا يكون شريكاً في ظلم
أحد ولا جوره حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ولم يغيره شره في الظلم والجور فلما سمع
عبد الملك قوله فزع منه وانفذ في الحال الى هرمز وعزله وأخذ بحق اليهودي منه
ومن الوقائع المستحسنات ما رواه محمد بن صفوان الضبي قال كنت أقوم على رأس
سليمان بن عبد الملك فدخل عليه يوما رجل من حضر موت من عقلائهم فقال له سليمان
تكلم بحاجتك فقال من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الارادة
أوفى كلامه على السلامة واني أعوذ بالذي استخصني من أهلي حتى أرفدني عليك
أن ينطقني بغير الحق وأن يدل لسانى بما فيه سخط على وان اقصر الخطبة أبلغ
في افئسدة أولى الفهم من الاطالة والتشديد في البلاغة ألا وان من البلاغة يا أمير
المؤمنين ما يفهم وان قل واني مقتصر على الاقتصار بحجابك الكثير من الاكثار

أشخصني إليك والعبود ورعية ضائعة وإنك إن تجهل تدرك ما فات وإن تقصر تهلك وعيتك هناك ضياعاً فخذها إليك قصيرة موجزة فقال سليمان له نادع رجلاً من الخمرس فاجله على البريد وقل له إذا أتيت البلاد فلا تنزل منزلك حتى تنزله ومن كانت له ظلامة أخذت له بحقه ثم أمر لذلك الرجل بمال فأبى أن يقبله وقال في احتسابت سفرى هذا على الله يا أمير المؤمنين وأبى أن أكره أن أخسده عليه أجراً من غيره فقال له سليمان انطلق بارك الله فيك وكثر لنا من يوقظني لأقامة العدل من أمثالك فلما ولي الرجل خارجاً قال سليمان لأصحابه ما أعظم بركة الرحمن في كل شيء

(رواية عن عدل ابن طولون)

ولقد بلغني عن أحمد بن طولون قضية يؤثر في النفس الزكية سمعها ويحسن عند ذوى المعرفة والتوفيق وقها وصكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية تافداً ثمكم فيها مهيباً مخوفاً يقوم بسياسة الملك ويعلى كلمة العدل ويأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجبروت المفرط والقتل المبرف وكان يجلس للنظام ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة وجساعة من الفقهاء وأهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعي وكان ابن طولون اذا جلس للنظام يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى آخره ويكشف ظلامته ويخلصه بين يديه مقر باليه قال أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الفقيه اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدى سلامة فاحتجبت الى الدخول اليه والتظلم بما جرى لي وأنا ومحمد شاب الا أن العلم والمعرفة بالحاضر بن بسطنى على الكلام والتمسكن من الحجة فطالبت في أمر الضيعة فاحتج على جميع كثيرة وأجبت عنها بما زعمه الرجوع اليه ثم ناظرني مناظرة المحصوم بغیر انتصار ولا سطوة على وأنا أجيبه وأهل حجة الى أن وقف ولم يبق له حجة فأمسك عنى ساعة ثم قال لي الى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك وأحجة قد ظهرت لك ولكن أجلسنا ثلاثة أيام فان ظهرت له حجة والاسلمت الضيعة اليك فقامت منصرفاً فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجي للحاضرين ما أقبح ما شهدتكم على نفسي أقول لرجل من ريعتي ظهرت لك حجة أجلسنا ثلاثة أيام الى أن أطلب حجة وأبطل المحكم الذى قد أوجبته حجة من يمنعني اذا وجبت لي حجة أن أعظمه وأزعمه ياها هذا والله الغصب وأنتم رسل اليه بانى قد أزممت

بحته وأزالت الاعتراض عن الضيعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان الله لا يقدر على أن يؤخذ الحق لضعيفها من قوتها وتقدم بالكتاب
 له وعرف الطحاوي الحال من المحاضرين فذهب إلى الديوان وأخذ الكتاب
 بإزالة الاعتراض وتسليم الضيعة وصارت هذه تتلى من مناقب أجدين طولون
 وعمله بالعدل وإقامة ميزان القسط وكان من محبته للعدل وإقامته وتأنيده الحق
 وسلك طريقته يميل إلى كل من كان ذلك من صفته ويقرب إليه من علم
 التحقيق من خلقته حتى أنه في بعض الأيام أراد أن يحمل ما اجتمع من المسال إلى
 حضرة الخليفة فأحضر القاضي ومعه العدل بحيث يشهدون على القاضي
 فكتب الشهود خطوطهم وقد عاينوا المسال وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتي
 ألف دينار فلما بلغ الكتاب إلى سليم وهو بعض الشهود ألقاه إلى الخادم من
 يده وقال أيها الأمير لست أشهد حتى يوزن المسال بحضرتي فغاضه ذلك منه لتأخر
 الانفاذ ثم قال للوزانين زلوه فلما فرغوا من وزنه قالوا أشهد قال بقي لي النقد فدعا
 بالنقد فنقده وسليم جالس معهم حتى فرغ وعثت الأكياس وتسلمها حامليها
 فكتب شهادته وانصرف فقال ابن طولون مثل هذا ينبغي أن يعتمد عليه ويعل
 إليه فان من لا دين له لا أمانة له ومن لا أمانة فيه جدير بالاعتماد أن لا يولى شيئا من
 أمور المسلمين وكانت هذه الحالة سيدا التقرية لسليم واعتماده عليه وتقوى بعض
 أموره إليه

بجيمية عن عدل عمر بن الخطاب

ومما تضمنه أخبار الأخبار ما رواه أنس قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام
 العائذ بك فقال عمر لقد عدت بحبيب فاشأ بك قال سأقت على فرسي ابنا
 لعمر بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسطوه ويقول أنا ابن
 الأكرمين فبلغ ذلك عمر أباه فغشى أن آتيك فخبسني في السجن فأنقذت منه
 وهذا حين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص إذا أتاك كلابي هذا
 فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى يأتيك فقدم عمرو فشهد
 الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمر بن العاص وابنه إلى جانبه قام
 المصري فرمى إليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس ولقد ضرب به ونحن نشتهجى

أن يضربه فلم يزع حتى أحبنا ان يزع من كثرة ما ضرب به وعمر يقول اضرب ابن
الاكرم قال يا امير المؤمنين قد اسست واستفتيت قال ضعها على صلابة عمرو
فقال يا امير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني قال أسأله الله لو فعلت ما منعك أحد
حتى تكون أنت الذي تزع ثم قال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم
أمر أن يفعل يقتدرو يقول اني لم أشعر بهذا فقتل علي كل عاقل أن يكف يده عن
الظلم وأن يسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويرأى الله تعالى في السر والعلانية
ويعلم ان الله سبحانه وتعالى يباري على الخير والشر ويباقب الظالم

﴿حكاية عن عواقب الظلم الوخيمة﴾

وفيما نقل من الآثار الاسرائيلية في زمن موسى عليه السلام ان رجلا من ضعفاء بني
اسرائيل كانت له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقت منه أطفاله وزوجته
فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة فقوىح بها فأخذها ومضى الى السوق
ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلتته بعض البوائسة فرأى السمكة معه
فأخذها منه ففعله الصياد فرفع خشبة كانت في يده فضرب بها على رأس الصياد
ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غضبا بلائنا فدعا الصياد عليه فقال الهي
تدقتني ضعيفا وشدة قوتي يا عنيفا فخذني حتى منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى
الآخرة ثم ان الناصب انطلق بالسمكة الى زوجته وأمرها أن تشويها ففعلت
ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة ففعلت أصبعه
نكزة أطارت بها قاراه فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فقرأها فقال
دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسرى الى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الوجع
الشديد الى اليد وزاد الألم وارتعدت من خوفه فقرأه فقال له الطبيب ينبغي أن
تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الى الساعد ففعلها فانتقل الألم الى الساعد فما
زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الألم الى الذي يليه ففرجها ثم على وجهه
مستقيما الى ربه ليكشف عنه ما قد نزل به فرأى شجرة فقصدتها فأخذها النوم فنام
تحتها فقرأ في منامه قائلا يقول له يا مسكين اني كم تقطع أعضائك امض الى
خصمك الذي ظلمه وأرضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فقال ضربت الصياد
وأخذت السمكة منه غضبا وظلما وهي التي تسكرت يدي فصاحبها خصمي قد فعل
المدية وسأل عنه فوجدته فوق بين يديه والتمس منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيا

من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصبياد فسكن في الحال الله وبات على فراشه تلك الليلة وأقبح عن خطيئته ونام على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تداركه الله بلطفه ورجته فرد يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزني وبسلاي لولا أن ذلك الرجل أرحمني خصمه لعدت به مهما اعتدت به حسابه ﴿تذكرة وتبصرة﴾

من استمسك بحبل العدل ومال إليه سهل الله سبحانه يساوك سببه عليه وأوضح بدليل التوفيق والهداية مناهجه لديه وحصل من عباده يوم القيامة نوراً يسعى بين يديه وأكفاه عناية ربانية تسد في أحكامه وتبصره بجراحي العدل لأصايب سهامه حتى يبلغ به إلى أن يرى الوقائع في منامه ويؤمر بإقامة شريعة العدل والانصاف في أحلامه ثم ما أقرع الاستماع وكما اشتهر وذاع من قصة الخليفة المعتمد على الله أبي العباس أحمد بن المتوكل رضي الله عنه فإنه كان يحب الارتداء بحلباب الانصاف ويأخذ بنفسه بذكر شعار العدل في الجهات والأطراف فاطلع الله عنه على صفاء سريرته وصدق ميله إلى العدالة في ولايته فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فأمره بإقامة شريعة محمديته وحذره من تأخره فيها وعقلته

﴿غريبة عن عدل المعتمد على الله﴾

وهو ما نقله الثقات ورواه الثقات الأثبات عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون قال انصرف جلساء المعتمد على الله ليلة عنه فانصرفوا إلى حجرة مرسومة في الدار فلما انتصف الليل إذا أنا بالخدم يدقون باب حجري فارتفعت فقموا أحب أمير المؤمنين فقمتم فلما صرت بحضريته قال علي بصاحب الشرطة الساعة فلما حضر قال في جنبك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال قال نعم قال أحضره الساعة فحضر فقال له من أنت قال فلان ابن فلان الجمال قال منذ كم حست قال منذ كذا وكذا سنة قال في أي شيء قال مظلوم لأجرم لي قال فاشرح لي قصتك قال أنا رجل من أهل الجبل وكان يتيماً فلما فلان الأمير فخرجت إلى فتمطمت إليه فلم ينفع فخرجت أمشي خلف الجمال إلى قرية من حلوان فاستل الأكراد من الجمال جلا محملاً فضرمني وقيمتني وقال أنت سرقت الجبل وما عليه فقلت غلامك يعلمون أن الأكراد أخذوه قال ذلك بمواطأة منك ثم قيدني وطرحني في الحبس وأخذ الجمال

فقال لبعض الخدم امض الساعة الى فلان الامير فاقعد على دماغه ولا تبرح الى أن
ترجع الى هذا أوقعتها وقال للخدام ادفع الى هذا كذا وكذا ديناراً وكسوة جميلة
وأدخله الحمام وأطعمه ثم قال لصاحب الشرطة في حبسك فلان بن فلان الخذا قال
نعم قال هاتيه فأخضره فقال ما قصتك قال حبست ظمأً وقص عليه قصته طويلاً فقال
للخدام خذه وغير من حاله وادخل به الحمام وأطعمه وأكسبه وأعطه كذا وكذا ديناراً
ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي وفقني لهذا الفعل قال أحدين حمدون فقالت
وكيف تسكف أمير المؤمنين النظر في هذه الساعة بنفسه في مثل هذا الامر وانزعج
من نومه فقال لي ويحك رأيت الساعة رجلاً من صفته كذا وكذا فقال في حبسك
رجلان مظاومان يقال لأحدهما فلان بن فلان الجمال وللآخر فلان بن فلان الخذا
فأطمنعهما وأنصفهما من خصومهما وأحسن إليهما فانتبهت مذعوراً فلعلت
ابليس وصلت على النبي صلى الله عليه وسلم وتحوّلت الى الجانب الآخر وغت
فأستلقيت حتى رأيت الشخص بعينه فقال أمرك أن تطلق رجلا من مظاومين
في حبسك ولا تفعل وكاد يده الى ثقلي من أنت قال أنا محمد رسول الله وكأني قد
قبلت يده وقلت يا رسول الله ما عرفتك فقال قم فبعل في أمرهم الساعة فانتبهت
وفعلت ما رأيت وكان هذا ببركة حبه العدل وقيامه بأقامة الحق والحكم والفصل
وكذلك ابن أخيه المعتضد لما ولي من بعده بذل في العدل غاية جهده وقصدي
سألك هذا لانصاف أئمن قصده فأيده الله تعالى في كشف القضايا بأقامة الحق
فهي بأعناية من عنده فقد رسي في الأذهان مأسطوره الرواة في منقولاتهم ورواه
الثقات في مقولاتهم

وتأذره وهو ما أخبر به أبو محمد الحسين بن محمد الصلحي قال أخبرني أحد خدام
الخليفة المعتصم بالله المختصين به قال كنت حوا إلى سريره ذات يوم نصف النهار وقد
نام بعد أن أكل فانتبه منزعجاً وقال يا خدام فأسرعنا الجواب فقالوا يا سيدي أعيوني
والحقوا بالشط فأول ملاح ترويه منحدراً في سفينة فارغة فاقبضوا عليه رجواًني به
ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحاً في سميرية منحدراً وهي فارغة
فقبضنا عليه ووكنا بالميمرية وأصعدناه إليه فلما رآه الملاح كاد يتأف فصاح عليه
المعتصم صيحة عظيمة كادت روحه تذهب معها وقال أصدقني يا ملعون عن قضيتك
مع المرأة التي قتلتها اليوم والاضربت عنقك قال قبلتكم وقال نعم كنت اليوم في

الشرعة الغلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاترة وحلى كثير وجوهر
 فطمعت فيه واختلت عليها حتى سددت فها وغرقها وأخذت جميع ما كان عليها
 وطرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سبيلها إلى بيتي لئلا يفسوا الخبز على فعملت على
 الهرب والاختدار إلى واسط وصبرت إلى أن خلا الشيطان في هذه الساعة من الملاحين
 وأخذت في الاختدار فتعلق بي هؤلاء الخدم وجعلوا في فقالوا أين الجملي والسلب قال
 في صدر السفينة تحت البواري فقال المعتصم على به الساعة فوضوا وأحضره فقال
 خذوا الملاح الساعة وغرقوه ففعل به ذلك ثم أمر أن ينادى ببيع سداد كلها على امرأة
 خرجت إلى الشرعة الغلانية سحرا وعليها ثياب وحلى ففحص من يعرفها ويهبط
 صفة ما كان عليها وأخذته وقد تلفت المرأة فحضر في اليوم الثاني أهلها فاعطوا
 صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك إليهم بعد أن علم استحقاقهم قال فقالت يا مولاي
 أوحى إليك بهذه الحالة فقال رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب
 وهو ينادي يا أحمد خذ أول ملاح فخذوا الساعة فاقبض عليه وقرره عن المرأة التي
 قتلتها اليوم وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان لما شاهدتم

﴿حكاية عجيبه عن عدل الخليفة المعتصم بالله﴾

وله قصة مع بعض أترك الامراء شهد له برغبته في العدل والانصاف وانتقامه من
 ذوي الظلم والاعتساف وهو ما حدث له القاضي أبو الحسين محمد بن عيسى الواحد
 المشايخي أن شيخا من التجار كان له على بعض القواد مال جليل فظله به مدته وجذبه
 واستخف به قال وجلت على التظلم منه إلى المعتضد بالله لاني كنت استشفعت إليه
 وتظلمت إلى الوزير فأنفعتني فقال لي بعض اخواني أنا أدلك على من يأخذ لك المال ولا
 وتحتاج إلى ان تتظلم إلى المعتضد فقم معي فقمتم معهما فإني إلى رجل خياط في سوق
 الثلاثاء وهو جالس في مسجد يخط ويقرأ القرآن فقص عليه صاحبي قصتي فقام
 معنا فلما صار بباب الرجل وكنت قد تأخرت عنه وقلت لصديقي أنك قد عرضتنا
 ونفسك وهذا الشيخ إلى مكروه فقال لا تخف وامش على بركة الله تعالى قلت انه لم
 يفسدك في شفاعه احد من الكبراء ولا في كلام الوزراء فحك الرجل وقال لا عليك
 امش واسكت فلما رأونا غلبان الرجل تلقوا الشيخ فقبلوا يده والارض فنعهم فقلوا
 ما جاء به الشيخ فساء لهم عن صاحبهم فقلوا هو راكب فان كنت امرأة مربا فعمله
 نبادر اليه والا فادخل واجلس إلى حين ورودهم فدخل ودخلنا وجاء الرجل فلما رأى

الخياط أعظمه اعظاما تاما وقال لا أنزع ثيابي أو تأمرني بأمرك فخطبته في أمري
 فقال والله ما عندي الا خمسة آلاف درهم فسله أخذها وأعذرهن على ما يبقى
 له الى شهر واحد فقلت السمع والطاعة فأحضر الدراهم وأحضر خليا قيمته زائدة
 على الباقي فقبضت ذلك وأشهدت عليه الخياط وصديقي بأن الزهن على البقية الى
 شهر واحد فان جاوز الاجل فأنا وكيل في بيع المحلى لا يفاء الباقي فشهدا عليه بذلك
 ونرجا فلما بلغنا الى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت له أيها الشيخ ان الله
 قد رد على هذا المال ببركتك وأحب أن تأخذ منه ربحه أو ثمنه ويطيب قلبي فقال
 لي يا هذا ما أسرع ما كفتنا بالقبض انصرف بمالك ما احتاج الى شيء فقلت قد بقيت
 لي حاجة قال قل قلت تخبرني بسبب طاعة هذا الرجل لك معتمونه بأكثر الدولة قال
 يا هذا قد بلغت مرادك فلا تتطعن عن شغلي وما أعيدش منه فألححت عليه فقال
 اعلم اني رجل أؤذن وأؤم الناس من سنين كثيرة ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف
 غيرها فكنت من مدة قد صليت المغرب وخرجت أريد بيتي فاجترت بتركي كان في
 هذه الدار وأما الى دار تجاه المسجد وامرأة جميلة مجتازة فتعلق بها وهو سكران
 ليدخلها الى داره وهي تستغيث وليس أحد يغيثها ولا يمنعها منها وتقول في جملة
 كلامها ان زوجي حلف علي بالطلاق أن لا أبيت الا عنده فان عوقفتي هذا خرب
 بيتي مع ما ارتكبه من المعصية فحئت الى التركي ووقفت عنده وسألته تركها
 فضرب رأسي بدبوس كان في يده فشجني وأدخل المرأة داره فصرت الى منزلي
 وغسلت الدم وشددت الشجيرة وأسرتحت وخرجت أصلي العشاء فلما فرغت منها
 قلت لمن حضر قوموا معي الى عدو الله هذا التركي نهجم عليه ولا تبرح حتى تخرج
 المرأة فحنا به فخرج في عدة من غلمانة فأوقع بنا وقصدي من بين الجماعة وضربني
 ضربا شديدا كدت أتلغ معه فحملني الجيران الى منزلي كالتالف فحملني أهلي
 ونمت قليلا وأفقت قبل نصف الليل وما جئني النوم من شدة التألم والفكر في
 القضية وقلت هذا قد شرب الى الان ولا يعرف الاوقات فلو قت وأذنت سمع فطلق
 أنه قد طلع الفجر فأطلق المرأة ومضت الى بيتها في الليل فخرجت الى المسجد
 متحسلا وصعدت الى المنارة وأذنت وجلست أتطلع الى الطريق أرتقب خروج
 المرأة فان خرجت والأقت الصلاة ليشك في الصباح فيخرجها فلما مضت الساعة
 والمرأة عنده واذا بالشارع قد امتلأ رجلا وخيلا ومشاعل وهم يقولون من هذا

الذي قد أذن الساعة ففزعت وسكت ثم قلت أكلهم اعمل أستعين بهم على خروج المرأة فصحت من المنارة أنا أذنت فقموا وانزلوا وأجاب أمير المؤمنين فقلت جاء الفرج ونزلت فاذا بيدرجي وعدة من الغلمان معه فملائي وأدخلني على المعتض بالله فلما سار آ في ورأيت هيبته وارتعدت فلما سكن روعي قال ما جالك على أن تغر المسلمين بأذا لك في غير وقته فتخرج ذوو الحساسة في غير حينها ويسلك المرید للصوم في وقت أبيع له فيه الأكل وينقطع العسس على المحرس فقلت يؤمنني أمير المؤمنين لاصدقه قال أنت آمن فقصصت عليه قصتي وقصة التركي وأريته الآثار في فقال يا بدر على بالغلام التركي والمرأة الساعة فجاء بهما فسأل المرأة فأخبرته بمثل ما قلت فقال يا بدر يا در بها الساعة إلى زوجها مع ثمة يدخلها عليه ويشرح زوجها الفضة ويأمره عني بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعاني وجعل يخاطب الغلام التركي وأنا أسمع فقال له كم جراتك قال كذا وكذا قال كم صلتك قال كذا وكذا فقال كم لك من جارية قال كذا وكذا قال ما كان لك من صبر وأنت في هذه النعمة عن ارتكاب القبيح ومعاصي الله عز وجل وهيبة سلطاننا واعتماد الظلم والعدوان حتى استعملت ما استعملت ثم تجاوزت إلى التوب علي من أمرك بالمعروف قال فسقط في يد الغلام ولم يدرك ما يقول فقالوا هاتوا جوالقي ومداد الجبس وقبودا فقيدهوه وأدخلوه الجوالقي وأمر القراشيين أن يدقوه بالمداق وهو يصيح حتى مات فأمر به فغرق في الدجلة وتقدم إلى بدر بحمل ما في داره ثم قال أي شيء رأيت من أجناس المنكر فأذكره صغيرا كان أو كبيرا ولوعلى هذا وأما بيده إلى بدر وان جرى عليك شيء ولم يقبل منك فالعلامة بيننا الاذان في ذلك الوقت فدعوت له وانصرف فانتشر الخبر في الغلمان والاولياء والبلد فحاطبت احدا بعد ما جرى ذلك في انصاف أحد أو كف عن قبيح الاطاعة وكف خوفا من المعتضد وما احتجبت إلى الآن ان أؤذن في ذلك الوقت

﴿شفاء وموعظة وأشياء موقظة﴾

قد قيل من لم يصن نفسه عن اتباع هواها ولا يخوفها عقابته رداها ولا يصرف زمامها بيد تقواها ساقته إلى قرارة عطب لا نجاة لمن رآها وزينت له ارتكاب ما ينظم به هسه فكيف لا ينظم سواها فسيل من أيقظه الله من رقدته هواه وأفاض عليه من أنوار هداه أن يعتبر بعاقبة من أوثقه الظلم فأرداه ويعلم ان الظالم يؤخذ بنظمه

يوم ينظر المرء عما قدمت يده فأن أدلة الشرع وقضايا العقل متطابقة على أن مرتع
الظلم وخيم والحجج به سقيم والغنى منه عديم والمسلم فيه سليم والمساهم عليه ملهم
وقد ورد فيه من قوارع الآيات ومهيج الأخبار ما في بعضه أعظم باعث على الانزعاج
وأقوى صارف عن الظلم لذوى الاستبداد فإن الله سبحانه وتعالى قطع عن الظالمين
طريق الاعتذار وجعل جزاءهم أن لا يتوبوا عذاب دار البوار فقال عز من قائل يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم للعنة ولهم سوء الدار وقيل إن الظلم على شقاوة
متعاليه أوضح علامة ويسمى وجهه عاقبة يسمة الخسارة والندامة ويسلكه لنقم
النقم ويعمل به عن نهج السلامة وهو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المظلم ظلمات
يوم القيامة وكيف يفلح ظالم والدعاء عليه مستجاب أو يأمن وثبات البلاء وتأخير
عطبه شيء عجيب أو يطمع في النجاة وعليه بما اجتمع شاهد وكاتب وقد حدث
رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً وهو من أجل الصحابة حين بعثه إلى اليمن فقال
أتق دعوة المظلوم فإنه ليس بيننا وبين الله حجاب وقد ورد في الأحاديث النبوية التي
أخرجها الأمامان مسلم والبخاري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن الله يولي المظالم حتى إذا أخذه لم يكد يفقهه ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ
القرى وهي ظالمة إن أخذها لم يشدد

ومما نظم في عقد العبر وزين بذكره تيجان السير وجرى به قلم القضاء والقدر
مما نقله وهب بن منبه عن جبار من الجبابرة ممن غير وشر فقال ما من غناء إن جبار بني
قصر أشيد في أرضه وأعداه وجعله قيد القلوب ولناظر فسار آراءه إلا استهواه
بغيات مجوز من السائحات إلى ظهر القصر فعمت كوخا في مكان مباح تعبد الله
تعالى فيه فركب الجبار يوماً من الأيام وطاف بغناء القصر فرأى الكوخ فقال
ما هذا فتيل له امرأة ها هنا تأوى إليه وتسوح فأمر به فهدم ولم تكن المجوز
حاضرة فجاءت فرأته قد هدم فنالت من هدم هذا فتسألوها الملك ركب فرآه
فهدمه فرفعت طرفها إلى السماء وقالت يا رب أنا لم أكن هنا فأين كنت أنت
قال وهب بن منبه فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فأصبح عبرة
لناظرين

نادرة قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة
ومساحوته بطون الأوراق وأوضحة الرواة في الاتفاق من القضايا التي فيها معتبر

ومر دجوا بالاتفاق قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة على ما ذكره سليمان بن أبي
جعفر قال كنت واقفا على رأس المنصور ليلة وعنده جماعة فتذاكروا زوال ملك
بنى أمية فقال بعضهم يا أمير المؤمنين في جيشك عبد الله بن مروان بن محمد وقد كانت
له قضية بحجة مع ملك النوبة فأبعث اليه واسأله عنها فقال المنصور يا مسيب على به
فأخرج الرجل وهو مقيد بقيد ثقيل وغل ثقبيل ثقيل بين يديه وقال السلام عليك
يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له يا عبد الله رد السلام أمن ولم تسمع نفسي
لك بذلك بعد ذلك كن أقعد فجاءوا بسادة فشدت وقعد عليها فقال له بلغني أنه كان لك
قصة بحجة مع ملك النوبة فساها قال يا أمير المؤمنين والذي أكرمك بالخلافة
ما أقدر على النفس من ثقل الحديد ولقد صدق قدي من رشاش البول وصب الماء
عليه في أوقات الصلوات فقال المنصور يا مسيب أطلق عنه قمده ثم قال نعم يا أمير
المؤمنين لما قصد عبد الله بن علي عم أمير المؤمنين المينا كنت أنا المطلوب أكثر من
الجماعة لاني كنت ولي عهد أبي من بعده فدخلت إلى خزنة لنا فاستخرجت منها عشرة
آلاف دينار ثم دعوت عشرة من غلماني وجمعت كل واحد على دابة ودفعت إليه
ألف دينار وأوقرت خمسة أبعال مما يحتاجه وشددت على وسطي جوهر آله
قيمة مع شيء من الذهب ونحرت هاربا إلى بلاد النوبة فسمرت فيها ثلاثا فوقعت
إلى مدينة نواب فأمرت الغلمان فعدوا إليها فكسحوا منها ما كان قد نوا ثم
فرشوا بعض تلك الفرس ودعوت غلاما لي كنت أتق به وبعثته فقلت انطلق إلى
الملك وأقره عني السلام وخذني منه الأمان وابسح لي ميرة قال خضى وأبطأ عني
حتى أسأت الظن به ثم أقبل ومعه رجل آخر فلما دخل كبر ثم قعد بين يدي وقال لي
الملك يقرئك السلام ويقول لك من أنت وما جاء بك إلى بلادى أم محارب لي أم
راغب لي أم مستجير فقامت ترد على الملك السلام وتقول له أما محارب لك فعسا الله
وأما راغب في دينك فما كنت لأبغى بدني بدلا وأما مستجير بك فنعم قال فذهب
ثم رجع إلى وقال إن الملك يقرأ عليك السلام ويقول لك أنا صائر إليك غدا فلا
تحدثني في نفسك حدثنا ولا تتحدثني من ميرة فأنهاتنيك وما تحتاج إليه فأقبلت
الميرة فأمرت غلماني بفرشون ذلك الفرس كله وأمرت بفرش نصب له ولي بمشله
وأقبلت من غدا رقب محبته فيمينا أنا كذلك إذا قبل غلماني يحضرون وقالوا إن
الملك قد أقبل فقامت بين شرفتين من شرف القصر أنظر إليه فإذا برجل قد لبس

بردين اترز باحدهما واردي الا نخرط راجل واذا عشرة منهم الخراب ثلاثة
 يقدمونه وسبعة خلفوا اذا الرجل الموجه الى جنبه فاستصبرت امره وسولت لي
 نفسي قتله فلما قرب من الدار اذا أنا بسواد عظيم فقلت ما هذا السواد قيل الخيل
 فوافي يا أمير المؤمنين زها عشرة آلاف عسان فسكران موافاة الخيل الى الدار
 وقت دحوله فأخذت بها فدخل الى وقال لترجسانه أين الرجل فلما نظر الى وثبت
 فيه فاعظم ذلك وأخذ يدي فتبها ووجعها على صدره وجعل يدفع البساط برجله
 فسوش البساط فظننت ان ذلك شيء يعجلونه أن يمشوا على مثله حتى انتهى الى
 الفرش فقلت لترجسانه سبحان الله لم لا يقعد على الموضع الذي وطئ له فقال قل
 له اني ملك وحق الملك أن يكون متواضعا لله سبحانه وتعالى اذ فيه الله ثم أقبل
 ينكت في الأرض طويلا يصعقه ثم رفع رأسه فقال لي كيف سلبتم نعمتيكم وزال
 عنكم هذا الملك وأخذ منكم وأنتم أقرب الى نبيكم من الناس جميعا فقلت جاء من
 هو أقرب الى نبينا قرابة منا فسلبتنا وطردها وقتلنا فخرجت اليك مستنجرا بالله
 تعالى ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت فعل
 ذلك عبيدوا تباع وأعاجم دخلوا في ملكك فيرأينا قال فلم كنتم تتركون على
 دوابكم بحرا كب الذهب والفضة والديابج وقد حرمت عليكم فقلت فعل ذلك عبيدوا تباع
 قال لم كنتم اذا خرجتم الى صيدكم تقسمتم على القرى وكفتم أهلها ما لا طاقة لهم
 به بالضرب المبرج ثم لا تمنعكم ذلك حتى تشربوا في زرعهم فتفسدوها في طلب
 دراج قيمته نصف درهم أو عصفور قيمته لاشي والفساد محرمت عليكم في دينكم قلت
 فعل ذلك عبيدوا تباع قال لا ولكنكم استحلتم ما حرمت الله عليكم وفعلتم ما نهاكم
 الله عنه وأحببتم الفلم وكرهتم العدل فسلبك الله العز واليسم الذل والله فيكم نقمة لم
 تأت غايتها بعدوا في أخوف أن تنزل النقمة بك اذ كنت من الظلمة فتشملني معك
 فان النقمة اذا نزلت عمت والبلية اذا حلت شملت فانخرج بعد ثلاث من أرضي فاني
 ان وجدتلك فقتلتك وقتلت من معك وأخذت جميع ما معك ثم وثب وخرج فسكنت
 ثلاثا ثم خرجت الى مصر فأخذني واليسك فبعث في اليك وها أنا الا أن بين يديك
 والموت أحب الى من الحياة فهم المنصور باطلاقه فقال له اسماعيل بن علي
 في عنقي بيعة له قال فماذا ترى قال يترك في دار من دورنا ويجري عليه ما يليق به
 ففعل به ذلك

﴿خاتمة هذا الباب﴾ في المحكم الواردة والالفاظ المحاكاة بحصول الفائدة
(منها) العدل يزيد في الملك فيرجح السر ويذهب الخوف ويرضى الرب ويهزم ما أخربه
المجور (ومنها) اذا جاز الملك في رعاياه كثر اجاف الناس بزوال ملكه واحبوا
ظهور أعدائه عليه (ومنها) أعظم أسباب العدل أن لا يغفل الملك على التطلع الى
أحوال أعوانه مع رعاياه وقضايا نوابه في أطراف بلاده (ومنها) زمان الجائر من
الملوك أقصر من زمان العادل لأن الجائر مفسد والعادل مصلح وفساد الشيء أسرع
من إصلاحه (ومنها) لا يزال الجائر متهماً لا في جوره الى أن يتخطى أركان العماره من
مباني الشريعة فاذا قصدها قرب دماره وشاؤفت الزوال مدته

﴿الباب السادس في الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف﴾

من أوضح الدلائل السالمة من الاعتراض المحاسبة أبواب المنع والاعتراض
المحاكمة لدى العظماء ان الاتفاق والائتلاف من أكل الاغراض ماورد
في الكتاب العزيز في آيات متصلة بالاحكام مختلفة الالفاظ متفقة الاحكام
متعددة في مواضع من التنزيل المتقابلة بلسان الخاص والعام كقوله تعالى في
القرآن الكريم والذكر الحكيم مخاطب النبي المصطفى من الدرجة الهاشمية
المستخرجة في الشرف من الصميم المرسل داعياً الى الدين القويم وهادياً الى
الصراط المستقيم هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت
ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقوله
عز وعلا وأطيعوا الله وأطيعوا رسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وكقوله تبارك
وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله اخواناً والمراد بحبل الله تعالى المذكور في الآية
المعصية به والقرآن الكريم وهو اختيار جماعة من أئمة التفسير واستدلوا عليه
بما روي الجارث قال دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في
الاختلاف فأتيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى
الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف قال وقد فعلوا فما قلت نعم
فقال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انهم استكون فتنة فقلت
يا رسول الله فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعثكم وحكم
ما بينكم هو الفصل الذي ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى

الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين وهو الذكرا الحكيم وهو الصراط
المستقيم وهو الذي لا ترينه الا هو ولا تلبس به الا لسننة ولا يشبع منه العلماء
ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم يثب الجحيم اذ سمعته حتى
قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشدا فآمنوا به ولن نؤمن بغيره احدى من قال
به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم
ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى رضى لكم ثلاثا وكره
لكم ثلاثا رضى لكم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا واسمعوا وأطيعوا لمن ولاء الله تعالى أمركم وكره لكم قيل وقال
واضاعة المال وكثرة السؤال فقد وضع بذلك ان الحبل المعتصم به هو القرآن
الكريم والتمسك به يوجب الاتفاق والاتلاف ويصد عن الشقاق والاختلاف
وذكريصة ابن جابر قال لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى
دمشق نزل بباب الحامية وقام خطيبا وقال للناس لقد قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم كفاحي فيكم وقال من سرته محبوبه الجنة فليزمن الجماعة وهذا صريح في
التمسك بعروة الموافقة والتجنب لمعرة المخالفة وقديما قيل ما من قوم وان قل عددهم
وضعف مددهم فارتضوا رحيق أفلا يرق الاتفاق وأشر بواقي قلوبهم بحسبة
الاتلاف وقابلوا بعددهم القليل قوما كثيرين قد نشأ بينهم الخلاف وعندهم التنازع
الأظهرهم الله تعالى مع قوتهم ومكانهم منهم وان كانوا أكثر عددا وأشد قوة ومددا

حكاية عن اضرار الخلاف وفوائد الاتفاق

وفي قصة الخليفة الراشد بالله أبي جعفر المنصور بن المسترشد لما قتل وهو في معسكر
السلطان مسعود وأراد الراشد وقوع له بالخلافة وهو ببغداد أن يأخذ بثرايه
ويقصد السلطان مسعود وأخذ في جمع العساكر وحشد الجيوش فأرسل الحاشرين
واستدعى الناصرين واستحضر القادرين وسير فأحضر زندي بن آق سنة ثمان
الشام وداود بن محمد من اذربيجان وبورله من بلاد فارس فأنت اليه العساكر
واجتمعت الجيوش عليه وتكامل له ما يزيد على ثلاثين ألف فارس بين يديه فلما
عرف السلطان مسعود ذلك ولم يكن عنده الا سبعة آلاف فارس فسير السلطان في
الباطن أشخاصا يثق بعرفتهم ويعتمد على حسن توصلهم فدخلوا بين عساكر الراشد
ومقدميهم وقد حووا بينهم زنادا الخلف فوري وأوقد بينهم نار التنازع فذهب اسراقها

وسرى وشخذوا أسياف الاختلاف والتباين حتى قطع عرى الائتلاف وبرى فلما
أحسن السلطان مسعود بتبليج صبح سعيه المسفر من أساريه وتأرجح ربا إصابة صنعه
بنفحات ارتياح تديره وتبرج مخذرات رايه الصائب في حلى الملابس الموشاة بتجديره
أماط عن محيازمه من بدل نقابه وناط بصائب عزمه نهج صوابه واستعذب من
نيل مراده وطلايه من مشاق أوصابه مستكروه صابه واستعجب في انصاره وأعوانه
اتفاق أصحابه فأركبهم وقد ضرب الليل سراق ظلماته بجمته إذ أطنا به ورتبهم ترتيب
من قضت له التجربة من الاستقفاظ بتسكميل نصابه وعرفته الوقائع والتجروب
كيفية ترتيب اطلابه وساق وقد جعت قلوب جنده في سالك المسارعة المتسوق نظامها
والتابعة المتفق بسدال اللفة التثامها والطاعة المفوقة لاهبها الاغراض سهامها
والضراعة اليه في ابتداوهم الى نفوس أعدائه فقد استجلبهم جامها فأجاب بسرعة
داعي البدار وأصاب بمبادرة مواقع الاقدار وصاب بذلك بحباب صوابه المندرار
واستجاب له كمين الانتصار وضمن الاستظهار وساق مخذسا سوقا حثينا واتخذ من
اتحاد كلمة جنده واتفاقهم بعد توفيق الله سبحانه معينا ومغيثا فقد قرب من ذلك
الجمع الجهم والعسكر الذي طم وعتم اضطربوا اضطراب أهواج اليم وأشرى
الخوف ولكن لم ينزل عليهم أمة من الغم فأكثروا الخلاف وأظهروا الانصراف
واستبصروا الانصراف فولى زكي ابن آق سنقر طابا طريق الشام مسرعا في
ذهابه واقفى داود بن مجدرا بك طريق اذربيجان راكضا فرقه خيله وسبق ركابه
واتبعهم ما بوزله السكاسن السلامة الى بلاد فارس في زمرة وأصحابه ولم يبق عند
الخليفة الراشد سوى ثلاثة آلاف من خواص حضرته وخدم سدة فبق بعد هؤلاء
المتفرقين أشتاتا المتفرقين بيد الخفاقة رفاتا المعدادين في حبال خوفهم لاختلافهم
أمواتا الشاربين من الملام لفشلهم مع كثرتهم ماء أجاجا لأماء فراتا ويات تلك الليلة
راكما طابا حيرة اعترته لتفرق الانصار طابا وطاة قدرة يتخذ بها اضرام هذه النار
فلم يجد له أحرز من مجانية المقام والاستقرار ولا أسلم من الاقتداء لتنازعهم بعمى
صلى الله عليه وسلم فيما أعده عند الخفاقة من الخروج والفرار فلم يبد سوى ليليلة
واحدة بعد الجمع المفرق والجند الممزق ثم رحل متوجها الى الموصل فركب متن
طريقها فدخل السلطان مسعود بغداد واستحوذ على البلاد وأجرى الناس على
السنن المعتاد وتدخل الى اشد نفسه من الخلافة خلاع سالك طريقه وشدد اليه تعويقه

وأخرج أبا عبد الله محمد بن المستظهر بالله أمير المؤمنين وبأبيه بالخلافة وجعل
الناس لبيته وشده وسطه بنطاق اخلاص عبودية وقام بين يديه بفرص طاعته
وواجب خدمته ولازم نصرته وهو المقتضى لأمير المؤمنين والد الامام المستنجد
بالله أمير المؤمنين والد الامام المستضيء بأمير المؤمنين والد الامام الناصر
لدين الله أمير المؤمنين والد الامام الظاهر بأمير المؤمنين والد الامام
المستنصر بالله أمير المؤمنين والد الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين وآل أمر الراشد
الى قضا بالاصحى شرحها في مضمير مقصود هذا الكتاب ولا حاجة الى استيفائها
واستقصائها مخافة الاطالة والاطناب كان آخرها انه قتل بباب أصفهان بعد ثقله
في يد الاقدار في أطوار الزمان وفي ظهور سبعة آلاف متفقين على ثلاثين ألفا مختلفين
أقوى دليل على أن الاتفاق ناصر لا يخذل والاختلاف خاذل لا ينصر وان طالب
الموافقة أبدا لا يعذل وطالب المخالفة أبدا لا يعتذر

﴿زيادة ايضاح وبيان وفائدة ملح حسان﴾

مما يشنف الاسماع من جواهر القول المرغوب ومحاسن منشور الفضل
المرهوب أن نور التألف ينسخ ظلمة العداوة من القلوب ويكون سترامن هجوم
المحادثات وسدا في وجه الخطوب وقد عايشنا نار العداوة في القبائل والفضائل
فأحرقت وانفسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم ففرقت واستلت فيهم سيوف الاحن
والبعضاء ففترت ومزقت وأسليت عليهم سمول الشكناه فلما عتبروها بالتقابل
والتقاتل فتألفت فهبت عليها رياح التألف فأطغأت ضرامها وصرفت غرامها
وشقت سقامها ونفت عنها ملامها وآلامها فتبدلوا بالاساءة احسانا وبالمخالفة امانا
وبالمنافرة اذعانا وبالنقصه رجائنا فعادوا بعد التباين صنوانا وأصبحوا بنعمة الله
اخوانا ومن ارتاب في صواب هذه المقالة ورغب في اجتماعنا هذه الحالة وأحب
أن يسمع شرح حقيقتها بلسان الدلالة فلينظر في سير السلف الغابرين ويعتبر
أحوال الغائبين والمحاضرين وما آل الواردين والصادرين يجد في وقائعهم أنجع
سبيل وأتبع دليل لا سيما في أظهر الوقائع شتارا وكبرها اعتبارا وأعظمها اعتوا
واقفارا وأقدمها تنازعارنا وأدومها علوا واستبكارا حتى بلغ الشيطان بهم
ومنهم أغراضا وأوطارا وأنار باثارة الفتن والاحن بينهم أحقادا وأوتارا وأوقد
من شواظ رجاء حرمهم المدارة عليهم نارا الى أن نظمهم الاتفاق في سلك التساعد

والتعاقد اعلنا واسرارا فأصارهم ذلك التآلف لله ورسوله أعوانا وأنصارا وهي
قضية الاوس والخزرج

قصة الاوس والخزرج

(والمخلص كنهها) بخلف اسنادها وشرح ما أتبعه الائتلاف من صلاحها بعد
ما أطلع به الاختلاف من فسادها أن هاتين القبيلتين قبيلة الاوس والخزرج كانت
سوق الحرب بينهما جامعة لا تشاب بكسادها وتروق الصوارم فيها لامعة لا تحجب
بأغادها ودمائها في لوامع الاسنة تحمر العصائب على رؤس صعادها ووحوش
الدو وطيور الجوارح تتبعها الاعتقادها انها كفلاء أقوات الاعتقادها تناول ذلك من
جثث أجسادها ودام هذا التقابل والتقاتل بينهما مائة وعشرين سنة حتى صار
أثر في وجه الدهر وخبرنا الى يوم الحشر ولم يسمع بقوم بينهم ما كان بين هؤلاء من
الضغن والوتر حتى أزال الله عنهم ذلك ونسخ تلك الاحقاد وذلك العناد منهم وكان
سبب تألفهم وارتفاع عدواوتهم ان سويد بن الصامت قدم مكة حرسها الله تعالى
وكان رجلا شريفا في قومه شاعرا جادا يسميه قومه الكامل لاجل ذلك وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أول ما بعث وأمر بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى سمع بسويد
فتصدى له ودعاه الى الله سبحانه والاسلام فقال له سويد فاعل الذي معك مثل الذي
معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معك قال حكمة لقمان فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن
والذي معي أفضل من هذا كلام أنزل الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الله عز وجل والاسلام فلم يبعد عنه وقال
ان هذا القول حسن ثم أنصرف عنه و قدم سويد المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج
في حربهم يوم بعاث وكان رجال من قومه يقولون انا انراه قتل مسلما ثم قدم أنس
بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ الى مكة يلتمسون الخلف
من قريش على قوم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أناهم
فجلس اليهم فقال هل لكم في خير مما جئتم له فقالوا وما ذاك قال انا رسول الله الى
العباد أدعوهم ان لا يشركوا به شيئا وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا
عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حسنا أي قوم والله هذا خير مما
جئتم له فأخذ أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ فقال

دعائهم فلقبهم بغير هذا فسميت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
 وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعثت بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن
 معاذ أن هلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في الموسم كل من لقيه من
 قبائل العرب يعرض عليه نفسه ويدعوه الى الله سبحانه فيدينها هو عند العقبة في الموسم
 اذ لقي رهطاً من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم
 قالوا نعم فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن
 وكان من صنع الله تعالى أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكان
 هؤلاء أهل أوثان وشرك فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نيامبعونا الا ان قد
 أطل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتلة عاد وادم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أولئك النفرو دعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي
 توعدكم به يهود فلا يسميكم اليه فأجابوه وصدة قوه وأسلموا وقالوا اننا تركنا قومنا ولا
 قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم وعسى أن يجمع بينهم بك وسنقدم عليهم
 ويدعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا فلما قدموا المدينة
 ذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم
 يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام
 المقبل وفي الموسم من الانصار اثنا عشر رجلاً عشرة من الخزرج أسعد بن زرارة
 وعوف ومعاذ بن عفراء ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة بن الصامت
 ويزيد بن خارية وعبادة بن عامر وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر ورجلان من الاوس
 أبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة
 وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة النساء أن
 لا يشركوا بالله شيئاً ولا ينزوا الى آخر الآية المعروفة ببيعة النساء في سورة الممتحنة
 ثم قال لهم ان وفيتكم فلمكن الجنة وان غشيتكم شيئاً من ذلك فأخذتم بيده في الدنيا فهو
 كفارة له وان ستر عليكم فأمركم الى الله ان شاء عندكم وان شاء غفر لكم وذلك قبل
 أن يغرض عليه الجهاد فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مصعب بن عمير بن هاشم وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان
 مصعب يسمى في المدينة المقرئ وكان أول مقرئ بالمدينة وكان نزلته على أسعد

ابن زرار بن مسعود المذكور أو لا فقال سعد بن معاذ لا سيد بن حضير انطلق الى
هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفا عنا فارجوهم فان أسعد بن خالتي
ولو لا ذلك لدفنتك وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى
هذيل الأشهل وكلاهما مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربة ثم أقبل الى أسعد
ومصعب وهما جالسان في حائط فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومك قد جاءك
فاصدق الله فيه قال مصعب أن يجلس أكله قال فوقف عليه فامتنع ثم أقبل ما جاء
بكما الى نسفها نضعفاهنا اعترلا أن كانت لكما بأنفسكما حاجة قال له مصعب أو
تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت
ثم ركع حربة وجلس اليهما فكلما مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قال والله
لقد عرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في امرنا فوقف عليه فقال ما أحسن هذا
وأجله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا لا تغتسل وتطهر ثم يركع
وتشهد بشهادة الحق ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلان أتبعكما لم
يختلف عنكما أحدا من قومه وسأرسله اليكما الآن فقام أسيد بن حضير ثم أخذ حربة
وأنصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقلبا قال أحلف
بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى
قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما وجدت بهما بأسا وقد نهيتهما فقلنا
نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك
أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغاضبا مبادرا فأخذ الحربة منه
وقال والله ما أراك أغويت شيئا فجاءهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما
أراد أن يسمع منهما فوقف عليهم فامتنعتهما ثم قال لا سعد بن زرارة أبأمامة لولا ما بيني
وبينك من القرابة ما رمت هذا منى تنفسانا في ديارنا بمانكره وقد قال أسعد
لمصعب جاءك والله سيد قومك أن يتبعك لم يخالفك منهم أحد فقال له مصعب أو تعد
فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك قال سعد أنصفت
ثم ركع حربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قال لا فعرفنا والله في وجهه
الاسلام قبل أن يتكلم في امرنا فوقف عليه ثم قال كيف تصنعون إذا أسلمتم ودخلتم
في هذا الدين قالوا لا تغتسل وتطهر ثم يركع ركعتين قال
فقام فاغتسل وطهر ثم يركع ركعتين ثم أقبل حربة وأقبل

عائدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا انقسم بالله لقد رجع
 سعد اليكم بنسب الوصي الذي ذهب به من عندكم فلما رآه عرف عليهم قال يا بني عبد
 الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وفضلنا رأينا وأتينا عسلا ففقال فان
 كلام رجالكم ونسائكم على عوام حتى يؤمنوا بالله ورسوله قال فما أعمى في دار من
 دور بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلما ورجع مصعبا وأسعد بن
 زرارة الى منزل سعد فأقاما يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور
 الانصار الا وفيها رجال مسلمون فخلا فريسيرا فأنشروا ثم أسلموا ثم ان مصعبا رجع الى
 مكة ومعه سبعون رجلا مع حاج من قومه من أهل الشرك حتى قدموا مكة
 فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العتبة من أوسط أيام التشريق وهي بيعة
 العتبة الثالثة قال كعب بن مالك وكان شهيدا ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة
 التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهنا عبد الله بن عمرو بن حوام بن جابر
 أخبرنا وكاننا كنتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا وكلنا يا جابر نراك سيدا
 من ساداتنا وشريفا من أشرفنا واننا نريد نبيك عما أنت فيه ان تسكون غدا خطيبا
 للنازود دعونا الى الاسلام فأسلم وأخبرنا به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد
 معنا العتبة وكان نعيمنا من الذقيا فبينا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى
 ثلث الليل خرجنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا لنا مستخفين تسلي القطا حتى
 اذا اجتمعنا في الشعب نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس
 ابن عبد المطلب معه وهو يومئذ على دين قومه غير انه أحب ان يحضر مع ابن أخيه
 ويتوثق له فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر
 الخزرج وكانت العرب انما تسمى هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها
 ان محمد انا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا من هو علي مثل رأينا وهو في عزم قومه
 ومنعه في بلدنا انه قد أتى الا لا نقطاع اليكم واللعوق بكم فان كنتم ترون انكم
 وافون له بعبادته وقومه اليه وما نعوذ من خالفه فأنتم وما نعلم من ذلك وان كنتم
 ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فنالنا ان فدعوه فانه في عز ومنعة قال
 فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله ونحو ذلك لم يلبثوا ونفك ما شئت قال فتكلم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام
 ثم قال يا أيها بكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معمر

يده وقال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فخرج أهل الحبيب ونحن أهل الحاجة ورثناها كآلها عن حكامها قال
 فاعترضوا القول والبراء بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيمان فقال
 يا رسول الله ان بيننا وبين الناس جبالا يعني اليهود ونحن قاطعوها فهل عسيت
 ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترسلنا على قومك ونذعننا فتنهم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ثم قال اللهم اللهم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم
 وأسألم من سألتم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا من بينكم اثني عشر
 نقيبا تسعة من المخزرج وثلاثة من الأوس كفلاء على قومهم بساقيهم كفالة الحواريين
 لعيسى بن مريم فأخرجنا اثني عشر نقيبا وقال العباس بن عباد الانصاري
 يا عشرين المخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب
 الأبييض والأسود فان كنتم ترون انكم اذا نسكت أموالكم مصيبة قوا شرافكم قتل
 أسلمتموه فمن الآن فهو والله نحرى في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له
 بما دعوه اليه على نسكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير في الدنيا
 والآخرة قالوا فافانأخذنه على مصيبة الأموال وقتل الأولاد والأشراف فقالوا بذلك
 يا رسول الله ان نحن وديننا قال الجنة قال ابسط يدك فيبسط يده فبايعوه وأول من
 ضرب علي يده البراء بن معرور ثم تباع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأفند صوت ما سمعته قط يا أهل الجبابرة هل
 لكم في مذمم والعبادة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذا عدو الله ساء ما رأى منكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمع أي عدو
 الله والله لا فرغني لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى رجالكم فقال
 سعد بن عباد والذي بعثك بالحق نبيا لئن شئت لتميلن فدا على أهل مني بأسيا فبنا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تؤمر بذلك ولكن ارفضوا الى رجالكم قال
 فارجعنا الى مضايعنا فمضينا عليها حتى اذا أصبحنا غدت علينا أجلة قريش فجاؤنا
 فقالوا يا معشر المخزرج بلاننا انكم جئتم اني صاحبنا هذا تستخرجوه من بين أظهرنا
 وتبايعوه على حربنا والله ما من حي من العرب أبغض اليانا أن يشب الحرب
 بيننا وبينهم منكم قال فانبعث هناك من مشركي قومنا ليقول لهم بالله ما هذا من
 شيء وما علمنا وصدقوا فانهم لم يعلموا وبعضنا ينظر الى بعض ثم انصرف الانصار

الى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموا اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا
فاذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا وجارا ومنزلا وبلدات آمنون به فأمرهم
بالهجرة الى المدينة والحقوا باخوانهم من الانصار فأخذوا في الهجرة الى
المدينة وتبعوا اليها وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يفتظرون يؤذن له
في الهجرة الى أن أذن الله تعالى له فقدم المدينة وأقام بمكة مع الله تعالى اهل المدينة
أوسها وخرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم ورفع من بينهم
العداوة والبغضاء ونسخ من صدورهم الاحن والشحناء فذلك قوله جل وعلا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء معا فاجتمعوا بالانصار اذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وفي هذه القصة مقنع وبلاغ عن الاطالة
بذكر غيرهما من وقائع العالم وحوادث الايام

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

ما قيل في الاتفاق من الحكم وما ورد فيه من جواهر الحكم (منها) اتفاق
الايدي سلاح عتيق ودعون حاضر وقوة تصول بها النفوس على المخالف لها (ومنها)
عليكم بالاتفاق والتعاقد فان العز والانتصار مع الاتحاد والاجتماع واجتنبوا
الخلافا والتباين فان الذل والخذلان في التنازع والافتراق (ومنها) كم من قوم
عزوا باتفاقهم فلم يطمع فيهم فلما اختلفوا سلبوا وعزهم وهى ركنهم وكل حذهم
وذاقوا وبال امرهم

﴿الباب السابع في مدح الوفاء وذم الغدر﴾

ان ارجح دليل يمسك الانسان به لمبتغاه وأوضح سبيل يهدي سالكه الى باوع مناه
كتاب الله الذي من تمسك به هتاه ومن استدل به أرشده هتاه وقد دل بمنطوقه
أن الوفاء يجب على كل عاقل أن يراعه ويحرم عليه أن ينقض عهده وينقض عراه
فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل وعلا وبعهد الله أوفوا
وقال تقيّدس اسمه الذين يوفون بعهده الله ولا ينقضون الميثاق وقال علا وتقدّس اسمه
وأوفوا بعهده الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى
وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا فهذه الآيات مع اختلاف محالها وتعدد
أسباب انزالها متفقة على وجوب الوفاء بالعهود والتمسك بمجالها والتجنب مهمما

امكن من نقضها وابطالها ولو لم يكن في الوفاء فضيلة الا أن المتصفح به يستدق
 زمرة الصادقين وينزه نفسه عن التحمل بسمة المنافقين فان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما سئل عن صفات المنافق قال اذا طأه غدر فالوفاء من شيم النفوس
 الشريفة والافلاق السكرية والخلال الحميدة يعظم صاحبها في العيون وتصدق
 فيه غطرات الظنون ويحل بين الناس في رتبة أهل السكروامة ويحصل أن يعرف
 مواقف الندامة وأن ينصحه لواء الغدر يوم القيامة ومن فطر بعين الاعتبار
 وأبصر بنور الاستبصار وأصاخ سمعاً إلى ما ورد من الاخبار عن السلف
 الاخبار وجد ملائس المحامد والثناء مفاضة على من سلك سبيل الوفاء ورأى
 ذكرهم محلل في الاحياء بعد ذكرهم مطايا الفناء والعفاء

نادرة في الوفاء

وقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما قرع أبواب المسامع وتحقق
 به كل سامع أن الوفاء في اكتساب المكارم من أنفع الوسائل وأنجس الذرائع كتقصه
 الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد
 جعل له يومين يوم يؤس من ضاذه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه
 وأغناه وكان هذا الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره وأبلاه القدر
 من قرب عسره وبمديسه بما أنساه جيل صبره وأغراه بشكوى ضره هذا إلى
 اطفال وعيال صبيهم من القله ستم وجباهم عليها من أثر الطوى أقبح ومم
 وقدودهم كالقسي من الضعف وماله في شبعه سهم ولا في ما يستدبه الاجوفان
 قسم ولا قسم فأوحته الحاجة إلى زيادة قواره وأخرجته الفاقة من محل استقراره
 فخرج يرتاد نجعة لصغاره ويحاول معادب ودرج شعبة يخمد بها من المجموع شعله
 ناره فيبذلها في اضطراب تطوافه واعترا بمرتبس الانتجاع ومصطافه وقد فتح له
 من القوت ما هو حامله في جرابه على أكافه اذا وقع القدر في شرك النهمان في يوم
 اهلا كه من رآه واتلافه فلما بصره الطائي علم أنه مقتول وإن دمه لم يطول فقال
 حي الله الملك ان لي صبية صغاراً وأهلاً جاعاً وقد أرقى ماء وجهي في طلب هذه
 الباغية المحسرة لهم واعلم أن سوء المحظ أقدمني على الملك في هذا اليوم العبوس
 وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفاثف من الطوى ولن يتفاوت
 الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل اليهم

هذا القوت وأوصى بهم أهل المروة من الحمى "التي لها كواضيا عا وعلى عهد الله
اني اذا أوصيت بهم أرجع الى الملك مساء وأسلم نفسي بين يديه لنفاد أمره فلما سمع
النعمان صورة مقالته وفهم حقيقة حاله ورأى تلفقه من ضياع أطفاله رقى له فقال لا
آذن لك الا أن يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وشريك بن عدي بن
شرجيل يديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك وقال له

يا شريك ابن عدي * مامن الموت انهما
بل لا طفل ضعاف * عديموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * واقترار وسقام
يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلي * بضمان والتمزام
ولك الله بأني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلى الله الملك على ضمانه فخر الطائي مسرعا والنعمان
يقول لشريك أن صدرا النهار قد دوى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل
حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك جاء وقتك فتأهب للقتل فقال
شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فان لم يكن فأمر الملك بمثل
فبينما هم كذلك واذا الطائي قد أقبل يشتم في عدوه مسرعا فقدم وقال خشيت
أن ينقضى النهار قبل وصولي فعدوت ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك
فأعرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منك كما أنت يا طائي فما
تركت لاحد في الوفاء مما يقوم فيه ولا ذكرا يفخر به وأما أنت يا شريك فما
تركت لكريم سماحة يذكرك بها في السكراء فلا أكون أنا الأثم الثلاثة الأواني
قد رفعت يوم يؤسى عن الناس وتقصت يوم عادت كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك
وقال الطائي

ولقد دعيتي للخلاف عشيرتي * فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ في الوفاء خليفة * وفعال كل مهذب مفضل

فقال له النعمان ما جالك على الوفاء وفيه تف نفسك قال ديني فن لا دين له لا وفاء له
فأحسن اليه النعمان ووصله وأعادته الى أهله (وتدبيره) في لذي الوفاء بغرضه ويكفي
عمله به في القيام بغيره ويشفي فؤاده باستعماله من يتأيا مرضه قيل في قلائد

الحامد المنطوية في أجياد الاجواد وفراثد الفواثد الموسومة بانتقاد النقاد أن صفة الارتداء برداء الوفاء واقية باقية على الابد وحسنة مستحسنة الآماد بلا فناء ولا نفاد وطريقة هادية الى ادراك كل مرام ونيل كل مراد وجنة مجنة من الاتصاف بأحد القبيحين اما بدناءة الهمة واما فساد الاعتقاد وسجية تسهيل الى صاحبها قلوب العباد بالوداد وتستطيع له أرباب الفصاحة واللسن بالاجساد وقد تبلى فجر الاسناد الى السلف فأسفر وتأرجح زهر النقل الى الخلف فعطر بورود ما قدره القلم ووسطر وتحقيق ما شرح من ذلك وذكر ما خط وزير

غريبة وما جزاء الاحسان الامثلة

أن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس المأمون ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس خذ هذا اليك واستوثق منه واحفظه ولا يفك وبكر به الى واحد رعليه كل الحذر قال العباس فدعوت جماعة جلوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي اوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فلما تركوه في مجلس لي في داري أخذت أسأله عن قصته وحالته ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فن أنت من أهلها قال لا تريد أن تسألني فقلت له أتعرف فلانا فقال ومن أين تعرف ذلك الرجل قلت كانت لي معه قصة قال ما أنا من يعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فغضب أهلها وخرجوا علينا حتى أن الولى تدنى في زنبيل من قصر حجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في الجملة فاني في بعض الدروب اذا أنا ببأس يعدون خلفي فصار لي أعدو قد أمهم وفهم ففرت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغناك الله فقال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقلت امرأته ادخل الجملة فدخلتها وثبت الرجل على باب الدار فاشعرت الابه وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فمقتسوا الدار حتى لم يبق سوى الجملة وامرأته فيها فاعتالوا ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرخف في الجملة خائف فقلت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك

شهرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا ثم عازال
يعاشرفي احسن مباشرة واجلها يطعمني معه وافردني مكانا من داره ولم يجره وجرني
الى شئ وما تغير عن تقدمي فقلت عنده في اتم عيشة اربعة اشهر لا اظهر
الى ان يحسبني الفتنة وعبدات ووال شرعا واثرها فقلت له تأذن لي في
الخروج حتى اتعرف بعلماني فلبى اوقف منهم على خبر اولهم على اشرافه على
المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت علماني فلم ازلهم اشراف رجعت اليه
واعلمته الخبر وهو مع ذلك لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكلمة
فتسألني علام تعزم فقلت قد عزمت على الشخصوس الى بغداد فان القافلة
وهي ثلاثة ايام تخرج وقد تفضلت هذه المدة ذلك على عهد الله اني لا انسى
ذلك هذه البدعة ولا اكنالك بها هو المستطعت واسألك ان تتم فعلك بان
تعطيني ما انفقته الى بغداد والى الله الى ان اصل الى موضعي فقال يصنع الله خيرا
ثم قال الغلام له اسودا نعل الفرس الفلاني وتقدم الى من في داره باعداد سفرة
فقلت في نفسي ما أشك أنه يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فوقعوا يومهم
ذلك الى غدي كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال يا فلان
قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تفرد عنها فقلت في نفسي ما أعطاني وما وثق
بي ثم قلت فاذا هو امراته يحملان لي خفين جديدين ورائات معمولة وآلات السفر ثم
جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا يحمل عليه صندوقين
وقوقهما مفرش ودفع الى نسخة ما في الصندوقين وفيها خمسة آلاف درهم ووقم
الى الفرس الذي أنعله بسرجه وبجسامه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك
وبسوق خيلك وأقبل هو وامراته يعتذران من التقصير في أمرى وركب معي من
يشبهني وانصرفتا الى بغداد وأنا أتوقع خبره لآتي بيهدني له في محارزته ومكافاته
وتواصلت خدمة باب أمير المؤمنين وأسفاره فلم أتفرغ لكثر التنقل مع أمير
المؤمنين من مكان الى مكان فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد
أمكنتك الله تعالى من الوفاء له ومحارزته على فعله ومكافاته بصنعه بلا كلفة عليك
ولامؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وإنما الضم الذي أنا فيه غير
عليك ما عرفت معني ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب وما يتعرف به الى حتى أثبت
معرفة فماتت لكت أن قت وقتت رأسه وقتت له فبال الذي أصارك الى ما أرى

فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت الي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت وضربت الي أن أشرفت على الموت وقبضت وبعث بي الي أمير المؤمنين وأمرني عنده غليظ وهو قاتل لا محالة وقد أخرجت من أهلي بلا وصية وقد تبعتني من غلمان من ينصرف الي أهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتي الي أن تبعث تحضره لي حتى أوصيه بما أريده وأتقدم اليه بما يكون وصية مني لاهلي فان فعلت ذلك فقد جاوزت حدك كما فاء وقت يوفائك بعهدك فقال العباس يصنع الله خيرا ثم أحضر حدا في الليل وأمره فقل قبوده وأزال ما كان عليه من أنواع الانكال وأدخله الي الحمام وألبسه من ثيابه ما يحتاج اليه ثم سير وأحضر غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والغمل الفلاني والبقلة الفلانية حتى عد عشرة ثم من الصناديق عشرة والكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف درهم وكيسافيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة بين يديه خذوه وأعبر الي حد الأنبار فقلت له ان أمر عظيم وذنب عند أمير المؤمنين غليظ وان أنت احتجبت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلب كل من في بابيه فأرد وأقتل فقال لي اخرج بنفسك ودعني أدير أمري فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجبت الي حضوري حضرت فتال لصاحب امره ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا فان اناسلت في غداة غد أعلمه وان أنا قتلت كنت قد وقفته بنفسك كما وقاني بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله ما قيمته درهم وتجهدي في اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصبرني في مكان أثق به وتفزع العباس لنفسه فاغتسل وتحنط وتكفن قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طاي يقولون أمير المؤمنين يقول لك هات الرجل معك وقم قال فأتيت الدار واذا أمير المؤمنين جالس وعليه ثيابه امام فراشه فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال أعطى الله عهدا لئن ذكرت أنه هرب لأضرب عنقه فقلت يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم أنت اعلم وما تفعله في أمري قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أني أريد أن أفي له واكافئه على ما فعل معي وأعبر به الي جهة الأنبار وقلت أنا وسيدى أمير

المؤمنين بين امرين اما ان يصح عنى فاكرن قد وفيت وكافيت ووقينه بنفسى كما
وقانى بنفسى وما ان يقتضى فقد خنطت وها كفى فلما سمع المأمون الحديث قال
ويلك لاجزاء الله عن نفسك خير انه فعل بك ما فعل من غير معرفته وكافته بعد
المعرفة والعهد بهذا لا غير الا عرفتني خبره فكان كافته عندك ولا تقصر في وفائك
له فقلت يا امير المؤمنين انه هاهنا قد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجج
الى حضوره حضر فقال المأمون هذه مئة اعظم من الاولى اذهب الا ان اليه حتى
تصيب نفسه وتسكن روعه وتعيبه الى شقى اتولى مكافاته فصرت اليه وقلت له
ليزل خوفك ان امير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يعمد على
السراى والضراء سواء ثم قام وصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي امير
المؤمنين اقبل عليه وادناه من مجلسه وحديثه حتى حضر الغذاء فكل كل معه وطلع عليه
وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة افراس بسر وجها وبجها
وعشرة ابقال بالانعام وعشرة بدر وعشرة نخوت وعشرة مماليك بدوا بهم وكتب الى
العامل بدمشق بالوصية به واطلق خواجه و امره بمكاتبة بالاحوال بدمشق فصارت
كتبه تصل الى المأمون وكذا وصلت خريطة البريد فيها كتابه يقول لى يا عباس
هذا كتاب صديقتك

في نادرة تنزيه بيان وقصر بربرهان

كان الخليفة المأمون المتقدم ذكره قد تولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر
والشام واطلق حاكمه فدخل على المأمون يوما بعض اخوته فقال يا امير
المؤمنين ان عبد الله بن طاهر عميل الى ولداني طالب وهو مع العساويين
وكذا كان ابو قبلة فحصل عند المأمون من كلام اخيه شئ من جهة عبد الله بن
طاهر فتشوش فذكره وضاق صدره فامره فامره فامره فامره فامره فامره فامره
الغراء ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال تقضى الى مصر وتغالب جماعة من
الكبراء في السر وتستأبهم الى القاسم بن محمد بن طباطبا العاوى وتذكر مناقبه ثم بعد
ذلك تجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر فادعه الى
القاسم بن محمد العاوى واكشف باطنه واجتنب عن دفن نيتة واتقنى بما سمع ففعل
ذلك الرجل ما امر به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من اهلها ثم كتب ورقة
اطيعة الى عبد الله بن طاهر ودفعها اليه وقت ركوبه فلما انصرف الناس خرج

الحاجب اليه فأدخله عليه وهو قاعد وسجد فقال له قد فهمت ما قصدته فهات
ما عندك قال ولي الأمان وثقة الله تعالى قال نعم لك ذلك فأظهر ما أراد ووجدنا
القاسم بن محمد فقال له عبد الله انصفني قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم
لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فمجيء الى وانافى هذه الحال التي تراها الى
خاتم في الشرق وخاتم في الغرب وما بينهما امرى مطاع وقولي مقبول ثم انى التفت عن
يمنى وشمالى فأجد نعمة هذا الرجل غامرة لي قد ختم بها رقبتي فتدعوني الى الكفر
بهذه النعمة وتقول لي اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتني الى الجنة عيانا لما غدرت
ولما كنت بعبته وترك الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف
الاعلى نفسك فارحل من هذا البلد فلما أيس الرجل وكشف باطنه وسمع كلامه
جاء الى المأمون فأخبره صورة الحال فسر ذلك وادف احسانه اليه وضاعف انعامه
عليه وفي هذه القضية بيان شاف ويزهان كاف في أن الوفاء يحسن السمعة ويؤمن
الصرعة

في غريبة تأكيداً بضح وتعليقاً بفتح

مما بعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل السكرم ويحث على الوفاء
بالعهد والذم مارواه حزة بن الحسين الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح
المنطقي كما جلوسا عند كافر الانثي يدي وهو يومئذ صاحب مصر
والشام وله من البسطة والمكة ونفاذ الامر وعلا القدر وشهرة الذكرا يتجاوز
الوصف والمحصر ففطرت المسائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما
انتهى من نوم طلب جماعة منا وقال امضوا الى عقبة التجارين واسألوها عن شيخ منكم
أعور كن يقعد هناك فان كان حيا فأحضروه وان كان توفي اسألوها عن أولاده
واكشفوا أمره قال فضينا الى هناك وسألنا عنه وكشفنا فوجدناه قد مات وترك بنتين
احدهما من زوجة والآخرى عاتق فعندنا الى كافر وأخبرناه بذلك فسير في الحال
واشتري لكل واحدة منهما دارا وأعطى لكل واحدة منهما ثيابا وكسوة وذهب
كثيرا وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأشهر أنهما من المملكتين
بدراية أمرهما فانه فعل ذلك وبالغ فيه فحكى وقال أنعمون سبب هذا فلا نعلم
فقال اعلموا أني مروت يوما والدماء المجهنم أنا في ملك ابن عباس الكاتب بمسالة
رئة فوقت عليه فنظر الى واستجاسني وقال أنته تصير الى رجل جليل وتبلغ معه

مبلغا كبيرا وتنازل خيرا كثيرا وطلب مني شيئا فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرجى بهما وقال أنشرك به هذه البشارة وتعطيتني درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تلك هذا البلد وأكرمته فأذكرني إذا ما صرت إلى ما وعدتك به ولا تنسى فبذلت له ذلك وقلت نعم فقال عاهدني أنك تأتي لي ولا يشغلك الملك عن افتقادي فعاهدته ولم يأخذ الدرهمين ثم أتني شغلت عنه بما تجد لي من الأمور والأحوال وصرت إلى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم وغت رأيتني في المنام قد دخل على "وقال أين الوفاء بعهدك وإتمام وعده لا تغدر في غد وملك غاسية فظنت وفعت ما رأيت فتمت هذه القضية بمنصر وأشتهر إحسانه إلى بنات المنجم وفاء لوالدهما فقصصا عن الدعاء لله والشاء عليه

﴿تنبية واستبصار وتذكير واعتبار﴾

الوفاء للكريم شعار ولصاحبه في مقام الافتخار شهارة والعذر لمن اعتمده عار وشعار ونقص العهد عاقبة نار وبوار ومما أسفرت عنه وجوه الأوراق وأخبرت به الثقات في الأفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضربت به الأمثال في الوفاء بالاتفاق ﴿جوهر حديث السموأل ابن عادي﴾

ولخص معنى ان امرئ القيس الكندي لما أراد المضي إلى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا تساوى جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس سير ملك كندة يطلب الدروع والسلاح المودع من السموأل فتمال السموأل لا يدفعه إلا إلى مستحقه وأبى أن يدفع إليه منه شيئا فعاوده فأبى وقال لا أغدر بدمي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب على "فتصدده ذلك الملك من كندة بمسكرة فدخل السموأل حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر ذلك الملك به فأخذه أسيرا فلما جد في الحصار وطاف حول الحصن صاح بالسموأل فلما أشرف عليه من أعلا الحصن قال له إن ولدك قد أسرتك وها هو معي فان سلمت إلى الدروع والسلاح الذي لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت السك ولدك وإن امتنعت وأصررت على أبائك ذبحت ولدك هذا فاجترأ منه مما شئت فقال السموأل ما كنت لا أخفر ذممي وأبطل وفائي فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو يتظلم لما عجز عن الحصن ورجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر بحافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم إليهم

الدروع والسلاح ورأى حقا ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه
فصارت الامثال بالوفاء تضرب بالسهم وأل واذ امدح أهل الذمام بين الانام ذكر
السهم أول في الاول (وقد قيل) رب قادر لم يظفر فيما غدر فيه بدله الخادروضاقت
عليه من موارد الهلكة فسيجات المصادر وطرقه غسنوه طوق نخرى فهو على فسكه
غير قادر وأوقعه خطه ضعف وورطة خفف فساله من قوة ولا ناصر ويشهد اجمعة
هذه الاسباب ويعلم بها عند أولى الالباب وينتج منها قولي عن محذور الاختلاف
والاضطراب المبتدب من هذا الباب

هو غريبة قضية تعلية بن حاطب الانصاري

وتلخيص معناها ان تعلية هذا كان من انصار النبي صلى الله عليه وسلم
فبأن يوما فقال يا رسول الله ادع لي أن يرزقني الله مالا فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحك يا نعمة قليل تؤذي شكره خسر من كثير لا تطيقه
ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي
بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبيا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول
الله ادع الله لي أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل
ذي حق حقه وعاهد الله على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارفق
تعلية مالا قال فاتخذ تعلية غنما فتمت كما ينبغي الدود فضاقت عليه المدينة فتسحق عنها
ونزل وادى من أوديتها وهي تهي كما ينبغي الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الظهر والعصر ولا يصلي باقي الصلوات الا في غنمه فحسب كثرت وفتحت حتى
بعدت عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت أيضا حتى كان لا يشهد الجمعة
ولا جماعة فساكن اذا كان يوم الجمعة خرج يلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل تعلية فقالوا يا رسول الله اتخذ
غنما لا يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح تعلية فأنزل الله آية
الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من رجلا من بني سليم ورجلا من
بني جهينة وكتب لهما اسباب الصدقة كيف يأخذانها وقال لهما مرا بتعلية بن
حاطب ورجل آخر من بني سليم فخذوا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا تبعا تبعا فسالاه
الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الاخرية ما هذا الا

أخت الجزية انطلقت حتى تفرغتم عودا الى قانطرا وسمع بها السلي فنظر الى خيسار
 أسنان ابنة فعزها للصدقة ثم استقبلها بها فلما رأياها قال ما هذا قال خذاه فان
 نفسي به طيبة ففرأى على الناس وأخذ الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فسال أروني
 كما بكما فقرأه ثم قال ما هذه الجزية ما هذه الأخت الجزية اذهبما حتى أرى رأيي
 قال فأقبل فلما رأاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتكلمما قال يا رب
 ثعلبة فأنزل الله عز وجل قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتاهن من فضله لنصدقن
 ولنكونن من الصالحين فلما آتاهن من فضله بخلوأيه وتولوا وهم معرضون فأعقبهم
 نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن
 الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله
 عز وجل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن
 يقبل منه صدقة فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فاجعل ثعلبة يمشي
 التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمك قد أمرتك
 فلم تطعني فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقة رجع الى منزله
 وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى الى أبي بكر رضي الله
 عنه حين استخاف فقال قد علمت منزلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي
 من الانصار فاقبل مني صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم لما ولي
 عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها وقبض عمر ولم يقبلها ثم ولي عثمان
 رضي الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقة فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولا أبو بكر ولا عمر فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان فهذا تلخيص
 قضيتيه بقصصها وشرح زبدها بنصها فانظر الى سوء عاقبة غدرة كيف أذاقه وبال
 أمره ووسمه بسمه عارقت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يحز به يوم فاقته وفقره فأى
 خزي أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأى سوء أقيح من غدرة يسوق الى النفاق وأى
 عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مكارم الاخلاق

﴿افادة تهذيب وزيادة تعريب﴾

كم أغلى الوفاء رتبة من اعتلق بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق

الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدي المقبوضة عنها بالا احسان اليه فانه
بلغ من وافدات المجالس ونادرات المجالس وواردات المؤانس ونادرات
العرائس وسافرات العوايس

﴿لطيفة عن وفاء الجميل﴾

﴿ان الخليفة﴾ المنصور كان متعلما الى الاعاطة بأمر الناس عموما والى معرفة
أحوال بني أمية خصوصا فبلغه أن من مشايخ أهل الشام شيخا معروفا وكان بطانة
لهشام بن عبد الملك ابن مروان فأرسل اليه المنصور وأحضره بين يديه وسأله عن تدبير
هشام في حربه مع الخوارج فوصف له الشيخ ما دبر وقال فعل رحمه الله كذا وكذا
ودبر كذا وكذا فقال له المنصور قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي
فقال الرجل وهو مولد بريء الخروج ان نعمة عدوك لقلادة في عنق لا ينزعها
الا غاسل فلما سمعه المنصور قال ردوه فلما رجع قال يا أمير المؤمنين ان أكثر الناس
لؤما من لم يجعل دعاه لمن أحسن اليه وثناؤه عليه وجسده المعروفه عنده وفاء له
ولو أمكنتي القدر وأقدرني القضاء على الوفاء لهشام بأكثر من ذلك لو جسدني أمير
المؤمنين وافياله به فقال له المنصور ارجع يا شيخ الى مقام حديثك أشهدك أنك
نبيض حر وولد رشدة ثم أقبل المنصور على حديثه الى أن فرغ فدعا المنصور
بمال وكسوة وقال خذ هذا صلة منك فأخذ ذلك وقال والله يا أمير المؤمنين مالي
من حاجة ولقد مدت عني من كنت في ذكره فساأحوجني الى وقوفي على باب أحد
بعده ولولا جلالة أمير المؤمنين ولزوم طاعته وإيثاري أمره لمالبت نعمة أحد
بعده فقال المنصور لله أنت ولم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم ذكر الخلد
ومجد باقيا يوفائك لمن أحسن اليك ثم أوصى المنصور برعاية أموره وقضاء حوائجه
وصار يذكره في خلواته ويستحسن ما صدر منه

﴿نادرة عن عدم نسيان احسان البرامكة﴾

﴿ومما أجتته بطون الدفاتر﴾ واستحسنه عيون البصائر ونقلته الأصاغر عن
الأكابر وتداولته الألسن من الأوائل والآخر وعد من جواهر الجواهر وصوادر
المصادر ونوادير النوادر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين
ليلة وقدمت من الليل ثلثة فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على
بن محمد والآخر خديشارا الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فان أصحاب الأخبار

قد أكرهوا في أن شيخا يحضر ليلا إلى آثار أما كن البرامكة وينشد شعرا
ويذكرهم ذكرا جيلًا ويندبهم ويكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى
ودينار حتى تروا هذه الخربات فاستروا خاف جندار من هذه الخربا إذا رأيتم الشيخ
قد جاءه وبكى ونذب وأشد شديدا فأتوني به قال فأخفتهم ما ومضينا حتى وردنا الخربات
واذا نحن بسلام قد أتى ومعه بساط وكسي حديد وإذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة
وصانف فجلس بيكي ويتحجب ويقول

ولما رأيته السيف جال جعفر * ونادى مناد للثيف في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت أنه * قصارى الفتي يوما مفارقة الدنيا
أجفرا إن تملك فرب عطية * كشفت ونعمي قد وصلت بها نهي

مع أبيات ردها وأطالها قال فتراينا له ما فرغ وقبضناه فخرج وفزع وقال من
أنتم قال فقلت له أنا من خواص أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما تر يدون مني
قال فاعلمه ما مر به أمير المؤمنين من أخذته إلى مجلسه فتمال دبري أوص وصية فاني
لا آمن العطب ثم تقدم إلى بعض الدكاكين واستغنى ودفع خاتمه وأخذ ورقة
وكتب فيها وصية وسلمها إلى غلامه ثم سربنا به فلما دخل إلى المجلس ومثل بين يدي
أمير المؤمنين فبره وقال له من أنت وبماذا استوجب منك البرامكة أن تفعل في
خرباب دورهم ما تفعله قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين البرامكة
عندي أياد خضرة أفتأذن لي أن أسدلك حالي معهم قال قل أنا يا أمير المؤمنين
المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك فزال عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما وكتبتي
الديون واحتجبت إلى بيسج مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج إلى
البرامكة فخرجت من دمشق وعبيتي وولائيون امرأة وصديقا وصديقة وليس معنا
ما يباع ولا يترهن حتى دخلنا إلى بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد
فدعوت بمويزات لي كنت قد أعددتها لاستمئع بها الناس فلبسنا وخرجت وتركهم
جياعا لا شيء عندهم ودعوت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فإذا أنا بمسجد
مزين وفيه ما نرى رجل شيخ بأحسن زينة وزينة وعلى الباب خادمان فطعمت
في القوم ووليت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني
لأنهم لم تكن صناعتني وإذا بخادم قد أقبل فقلت الخادم من قد خلوا وأزجوا القوم
فقاموا وأنامهم فأدخلونا دار يحيى بن خالد فإذا يحيى جالس على دكة له وسطا

بستان فسلمناه وهو بعد ثمانمائة وواحد ارب بين يدي يحيى عشرة من ولده واذا غلام امرد
حين عذر خذاه قبل من بعض المقاصير بين يديه خدام مقرطون في وسط كل
خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم حجرة من ذهب
في كل حجرة قطعة من عود كهيشة الفهر قد قرن به مثله من العنبر السلطاني
فوضعه بين يدي الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم
وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوج وشهدت أولئك
الجماعة وأقبلوا علينا بالشار يشادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين
ملء كمي ونظرت واذا نحن في الدكة ما بين المشايخ ويحيى وولده والغلام مائة واثنا
عشر رجلا فخرج مائة خادم واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية فضة عليها ألف
دينار شامية فوضع بين يدي كل رجل مناصيفية فرأيت القاضي والمشايخ
يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول
حتى بقيت بين يدي يحيى لا أحسر على أخذ الصينية فغزني الخادم فحمرت
وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقت فجعلت التفت
الى ورائي مخافة ان أمنع من الذهب بها فيبينا أنا كذلك في سخن الدار ويحيى
يلحظني فقال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بسكب الدنانير والصينية
وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال من الرجل فقصصت عليه قصتي
فقال للخادم أحضر موسى فأتي به فقال يا بني هذا الرجل غريب فخذ اليك
واحفظه بنفسك ونعمتك فقبض موسى على يدي وأخذني الى دار من دور
فأكرمني وعاشرني يومى وليتي أكلا وشربا فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال
ان الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين
فأقبضه اليك وأكرمه وقفل فلما كان من الغد تسلى أخوه أجدتم أزل في أيدي
القوم يتداولوني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصيبياني أنى الاموات هم أم
في الاحياء فلما كان في اليوم العاشر دفعت الى يدي الفضل فعطف عليّ وزاد
في الكرامة فلما كان في اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم
فقالوا قم فانرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلمت الدنانير والصينية
وقد هلك شيائي وأخرج الى عيالي على هذه الحالة ان الله واناله راجعون
فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخدام الستر الاخر قال

إلى مهسار أيت قد بقي من عوانجك فمتقدم إلى به فأناعاً أمور يتضاء جميع ما نأمر
 به فليأمر السائر وأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا استقبلتني منها راحة النذر
 والعود ونفحات المسك وإذا بصياني يتقبلون في الحريز والدياباج وإذا قد حصل
 إلى ألف ألف درهم مبدوة وعشرة آلاف دينار وقبالتين بضعتين وتلك الضمنية
 التي خرجت معي فيها الدنانير والبنادق فبقيت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في
 دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطفتوني
 فلما جاءت القوم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد لما نزل قصدني عمرو بن
 مسعدة وأزمني في هاتين الضميتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تعامل
 على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكركم حسن صنعهم
 إلى وفاء لهم على احسانهم فقال المأمون على يعمرو بن مسعدة فلما ألقى به قال
 له يا عمرو وأتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال
 كم أزمته في ضميته قال كذا وكذا فقال رد عايشه كل ما استأديته منه في مدته
 وأجر واضيعته تكونان له ولعقبه من بعده فعلا فحبيب الرجل ويكاؤه فلما طال
 قال له المأمون أحسنه إليك فلم تبكي فقال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع
 البرامكة أرايت يا أمير المؤمنين لو لم آت خراباتهم فابذكهم وأندبهم حتى اتصل
 خبري بأمير المؤمنين ففعل ما فعل من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين قال إبراهيم
 ابن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دعت عيناها وظاهر عليه حزنه على القوم وقال
 هذا لعمري من صنائع البرامكة فعليهم فابذكهم فاشكروا لهم فأوقف ولا احسانهم
 فاذكروا لجعل نائمة هذا الباب من القضاء بأجلها اختاما وأخرجها كلاما وأحزها
 مراما وأحسها نظاما وأبينها حكما وأحكاما وهي قضية جئت لأمرين وفاء وغدرا
 وعرفا ونكرا وخيرا وشرا وفعلا وضرا وإطلاقا وجرا واشتات على حال شخصين
 وفي أحدهما بهمة ففاز ونجسا وحاز من مقترحات مناهما أمل ورجا واستشقى
 من نسيم الأسعاف مستغما لشر وأرجا وساعفه التوفيق فعمل أن من يثق بالله يجعل
 له فرجا وغرضا لا تخاف غري به غدرة من أعوان العطب هجمها وأخاضه
 من أضر التلغ والهلاك مجحا ولم يجد له من جزاء غدرة إلى النجاة فرجا

(لطيفة في ان الوفا يعمي من المعاطب)

وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطالعا على أحمد بن طولون عارفا

بأموره عالميا وروده وصورة فتمسك له معناه ان أحمد كان يرى من بطرح على
الطرقات ويقيم لهم الكوافل ويدر عليهم النفقات رغبة في الثواب وتقربا إلى
الله تعالى بهذه الأسباب فوجد عند سقايته عند المفاطر طعنا فالتقطه
ورباه وسماه باسمه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء
ووقفة وأحسنهم راء ومصورة فصار يرعاه ويكفله وهو يعرف بأحمد اليتيم فلما
حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيوش خشارويه به فأخذته إليه
فبعد موت ابن طولون أحضره الأمير أبو الجيوش وقال له أنت عندي بمكانة أركانك
بهاول كن طائفي أن أخذ العهد على كل من أصرفه في شيء من أموري أنه لا يخونني
فعاذته ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستمرا على المهام
حكما على جميع الحاشية الخاص والعام والأمير أبو الجيوش بن أحمد بن طولون
يحسن إليه كلما رأى خدمته متصفية بالنصح ومسانده متبعة بالنصح فركن إليه
وأعتمد في أسباب بيوتيه عليه فقال له يوما يا أحمد امض إلى الحجرة القلانية في المجلس
بجانب مجلس سبعة جوهر فشيء بها فبقي أحمد فلما دخل الحجرة وجد جار به من
مغنيات الأمير وحظاياه مع حدث من الفرائسين عن هو الأمير بجمل قريب فلما
رأياه خرج الفتي فبسات الجارية إلى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته إلى قضاء
وطره فتمسك لها معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن إلى وأخذ العهد على ثم
تركها وأخذ السبعة وانصرف إلى الأمير وسلم إليه السبعة وبقيت الجارية شديدة
الخوف من أحمد لثلايد كرها للامير فبقيت أياما ولم تجد من الأمير ما تسكره من
أقبله ولا ظهر لها ما توهمته في أحمد من تسرع في مقالها وانها طاله فاتفق أن
الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطائاه واشتغل بها عن سواها
وأعرض لشغلها عن كل من عنده حتى كاد لا يدرك جارية غيرها ولا يراها وكان
أول ما شعرت به تلك الجارية الجائرة الخائنة الفاسدة العائرة العائبة العاهرة
الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالمجسدة المجسدة المسعدة المسيدة
المواودة المودودة الخادمة المحمودودة الوصيفة الموصوفة الأليفة المألوفة المرافقة
المشوفة العارفة المعروفة وصرفت لبعثتها سنانها وآدابها وجهه عن ملاعبة
أترابها وشغلته بعبثه بوضاها عن ارتشاف ضرب أضرابها فبهر حظاياه
مناصيره واقتصر عليها في طويل تنعمه بوقته وكانت تلك الأولة تحسبها متأخرة

على تأميره مطرحة حكم أمره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه
عنها ونسبت ذلك الى اطلاع أحمد اليتم اياه على ما كان منها فدخلت على الامير
وقدارتت من الكاكة بيجلاب مكرها وركبت وجهها في صورة زن اقتادها
بزام فكرها وأجهشت بالبكاء بين يديه لانتقام كيدها ونكرها وقالت ان
أحمد اليتم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وهم في الحال بقتله
ثم عاوده ما كمن عقله فتأني في فعله واستحضر خادما يعمد عليه وقال له اذا أرسلت
اليك انسانا ومعه طبقي ذهب وقلت لك على لسانه املا هذا الطبق مسكا فاقبل ذلك
الانسان واعمل رأسه في الطبق واحضره معطى ثم ان الامير ابا الجيش جالس لشربه
وحضر عنده ندماء الخواص من شربه وأحمد اليتم واقف بين يديه آمنا في شربه
جاريا على عادته في اجتماعي قربه لم يخطر بخاطره ولا انقلاب في قلبه شيء مما نسب
اليه وقد فبه فلما مثل الامير وأخذ منه ما كان يتناول له قال له يا أحمد خذ هذا
الطبق وادخل به الى فلان الخادم وقل له يلا مسكا فأخذ أحمد اليتم ومضى
واجترأ في ضيقه بالمغنين وباقي الندما والخواص فقاموا اليه وسألوه الجالوس معهم
ساعة فقال أنا ماض في حاجة الامير امرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا أرسل من
ينوب عنك في احضارها وأخذها وأدخلها الى الامير فأدركه فورا اي الفنى الفراش
الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك
الامير املا مسكا فاضى ذلك الفراش الى الخادم وذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه
وغسله وجعله في الطبق وغطاه وأقبل به فناول له لأحمد اليتم وليس عنده علم من
باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره مع
الندماء وعوده مع المغنين وسؤالهم له الجالوس معهم وما كان من انقاذ الطبق
والرسالة مع الفراش وانه لا علم له غير ما ذكره قال أفنتعرف لهذا الفراش ذنبا
يستوجب به ما قد جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبته من
خيانتك وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يصدئه بما
شاهده وما جرى له وحديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لأحضار السجدة
فدعا الامير تلك الجارية واستقررها فأقربت بهجة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره
بقتلها ففعل وأوردت مكانه عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احتسانه اليه
وجعل أزمه جميع ما يتعاق به يديه ولم يجعل لأحد من عظماء تلك الدولة حكما

يتسلط به عليه فانتقل الى آثر الوفاء كيف تضمن من المعاطيب وتنجي من قبضة
التنافس بسد انقضائه القواضب ويقضي بصاحبه الى ارتقاء غواريب المراتب
ويقضي على مرير داه بسعيه الخائب وأمله السكاذب وترى شيطان حيله
ومقتل نفسه في انتقام الله تعالى بشهاب قديره الثاقب وسهم قضائه الصائب
فهذا الغلام لساق فولاد بهمه وهو بشر وليس في الحقيقة بسيد وأطلع الله
جل وعلا على صدق نيته وصحة قصده دفع عنه هذه القبله الشنيعة بلطف من
عنده فكيف اذا كان العبد مع خالفه ورازقه وافي في طاعته بصدق باذلاله
واجب عبادته واجتناب معصيته مستطاع جهده فأن الله تعالى وتقدس يفيض
عليه من أنافه واهب بره ورفده وينجيه من رافته ما يتجمل به انجاؤه وعده ويقم
له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا يحصى له من بعده

هو خاتمة لهذا الباب في الحكم المشورة في الوفاء والالفاظ المذكورة بين انخوان
الصفاء (منها) الوفاء من كرم السجاء والندم من أوم الطباع فمن عرف بالوفاء خصته
القلوب بصدق الوداد وكنته الالسن مطارف الاحساد ومن عرف بالغير عومل
بالمقتدر والابعاد واتسم بأقبح المعاصات بين العباد (ومنها) من اتخذ الوفاء شعارا
أسسه عقوبة القادرين ومن ارتدى برداء الغدر أبقى له سوءه كفي الأتومين ومن
عامل الناس بالوفاء قولاً وفعلًا فقد استخدم السنة الشاكرين (ومنها) من غدر
في عهده وأخلف في وعده ونقض عرى عقده ففقد قضي على نفسه بخسة
أروسته وسوء عقيدته وقلة مروته وترك له بين الناس ذكرا قبيحا وسيرة سيئة
وزهد الناس فيه ونفوت القلوب عنه

باب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة

ما كانت التيقظة في الامور والمسارة الى اسواق قصباتها والمسايرة الى نيل المقاصد
بانتهاز فرصها قبل فواتها ومحاسبة أسباب الغفلة والحرص عن آفات من
أكل مزاج النفس المؤيدة وأحسن صفاتها أمر الله سبحانه وتعالى عباده في
السور المتزلة بحكم آياتها فقال جل وعلا ناره وسارعوا وناره وسابقوا تسبيها
على ان ينظروا النفس وعبادتها الى مصالحها من حسناتها ونفطها وقواستها عن
واجب ذلك من ثقاتها وسبلاتها فمن سمى نفسه الى جسيم رتبة الاعمال وترامت
هسته الى استخدام بعض الايام وسود الليالي وأحب انتظام الامور اليه في

سلك مطلوب به الدائم ومرغوبه المتوالي تسربل بمسلبس اليقظة المثبثة عن استعمال قواضي القواضب وعوامل العوالي ليكشف له بها ما وارد الخطل والخلل ومقاصد أهل الزيف والزائل ويعلم المفسد من المصلح في القول والعمل فتتوون لديه عظام الامور وتغظم مهايتها في الصدور ويتحاشى الناس أن يعاملوه بشئ من المحذور والمحذور ومتى آثر على تعب التيقظ راحة الالهمال وركن الى دعة التواني الداعية الى الاغفال وسكن في مساكن الغافلين عما يؤل اليه حال المغترين بالجمال في الاستقبال كان جديرا بالتفاض مبرم ما ركن اليه واعراض الناس عنه بعد اقبالهم عليه ويؤل أمره الى ندامة بعض منها على يديه ويكفي في نقصة الغفلة وذم المتصف بها ان الخسارة لازمة له فيما غفل عنه بسببها فان كان في أمره ملك أو دينسا خسر خسارة لا يجد على دفعها مبعنا وان كان في حال الآخرة فقد خسر والله خسر انما دنا وقد أنقذ الله عز وجل حكمته في ذلك وأبرمه وقصه في كتابه العزيز الذي أنزل وأحكمه فقال عز من قائل في حق من سبق قضاءه فهم يدمارهم وجرى القلم في القسوم بيوارهم أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ثم صرح بخساراتهم معللة بغفلتهم فقال تعالى أولئك هم الغافلون لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون وكما أن الخسارة من لوازم الغفلة فكذا الرجح من لوازم اليقظة ومن هذا قال أبو سعيد الحسن البصري التواني رأس خسران الدنيا والآخرة وقال عبد الله بن المقفع حفظت من الحكمة ما هو ضياع يهتدي المتسلك به نهج النجاة ان أعانت به العناية الالهية بالتوفيق انتهر الفرصة فانها خلسة وتب عند رأس الامر ولا تثب عند آخره وإياك والبجز فانه أوضع مركب واحذر التواني فانه يجلب أنواعا من البلاء

(وقد قيل) من افترع مطية اليقظة في جلباب العزم ووضعها واذرع جنة الحزم التي مانقاها عنه ذو دراية ولا خلعها وأحز قصبات السبق في انتهاز الفرص عند إمكانها فجمعها وزجج عن المسارعة الى ارتياد المراد مواد الغفلة وقطعها كان جديرا بأن يحجب بمقترحات الاماني مجنوبة له برامها وتجيبي اليه ثمرات المطالب مستخرجة من اكمامها وتدل لديه صغاب الدول وجوامع أيامها وتحمل له عقائل العقائل فيما كها بعد استعظامها هذا كسرى عظيم الفرس خص ببقاء الذكر واشتهار السمعة وانتشار الصيت واستقامة الحال وحراسة الملك وحفظ الرعايا وحماية

البلاد وانقياد الناس له وميل القلوب بحبها اليه ومخافة الاعداء منه كل ذلك
يسره الله تعالى بما الهمة اياه من كمال التيقظ الذي لم يسبقه أحد بمثله ولم يلقه
غيره بما يقرب منه حتى نقل انه كان أشد الناس تظلماً الى غفارا الامور وأعظم
خلق الله تعالى تفحصاً وبصيرة عن أسرار الصدور وكان يثبت العيون على الرعايا
والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا
فيعلم المفسد فيقالبه بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول مامعنه متى
غفل الملك عن معرف ذلك فليس له من الملك لاسمه وسقطت من القلوب هيئته
ولا يامن دخول خال عليه في ملكه فانبسط أيدي حاشيته وغاشيته باتباع
هواها وتسلطت عمال أعماله على اقطاع أمواله وافنائهم وصارت رعاياه ذفوضي
لا رتبها لهم في غلوائهم افلا جرم علم كسرى أن سلوكه سبيل اليقظة يسدى الى
الصالح فصالح ملكه باتباعه وانتهج وجهه وفهم ان اقتراب التواني والغفلة ينتج الفساد
فساد على العالم باجتنايه مخافة ائتماره وهكذا كل من اقتفى في اليقظة طريقة واثرة
وارتقى في نهج معراجيه يامن دلي نظام ملكه من اختلاله وعلى خال حاله من اعوجاجه

﴿تيفظ ازديشير وعمر بن الخطاب﴾

وعما أدرى كنهه أبصار البصائر وأهدته السنة الاوائل الى اسماع
الواخر وحلت به بطون الدفاتر من نطف مياه الحاسر أنه لم يكن في ملوك
الام ومقدميها من ملائقوب رعاياه فرقا ووجلا وبسط في ايام ابائه لسكل محق
يؤمله أملا وضبط أقسام دولته بيقظته حتى أمن من جنده فشلا وفي ملكه خلا
وفتح من المعازل ما صار الحال يضرب للاستقبال به مثلا وسلط عيون رواده على
عمال البلاد وأجلاد أجناده ليعلم أيهم أحسن عملا ﴿مثل ازديشير﴾ ابن بابك
ابن ساسان من ملوك الاعاجم قبل الاسلام ومثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أما ازديشير بن بابك فانه مدة ملكه وأيام دولته وهي أربع عشرة سنة وعشرة أشهر
أظهر من آثار يقظته ما هو مذكور في سيرته ومشهور بين الاعاجم مفصلا ومجمل
﴿وأما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب﴾ رضي الله عنه فانه بذل جهده في تسديد
الامور وسد الثغور وسباسة الجمهور واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التي فيها
شغاف في الصدور حتى قيل ان علمه كان بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات
معه على مهاده فلم يكن له في قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار ولا ناحية من
النواحي واللاعامل ولا أمير الاوله عين عليه لا يفارقه فكانت أخبار الجهات

كلما عنده كل صباح ومساء حتى ان الدامل سكان يتوهم في اقرب الخلق اليه
واختصهم به انه عين عليه فساس سياسة ارضه وشر والتطلع الى حقائق الاخبار
وسيرته في تفاصيل هذا الباب حتى كان يطوف في كثير من البيات الى سكك المدينة
ليقف على قضايا الرعايا فان تجد حالة لا تصل اليه فيؤخذ به بالتمصير فيها
بحكاية عن فقد عمر من الخطاب لاجوال ونعته

وافقد قال انس بن مالك رضي الله عنه خرج امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في ليلة من الليالي في الظلمة يطوف لاقتتاد احوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر
مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنأ منه فسمع منه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا
منه وقال له من الرجل فتسال من أهل البادية فدمت الى امير المؤمنين أصيب من
فضله قال فها هذا الانين قال امرأة تتخفن قد أخذها الطلق قال فهل عندها
أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فتسال لامرأته أم كلثوم بنت
علي بن ابي طالب رضي الله عنه هل لك في اجر قد ساقه الله اليك فتالت وما هو قال
امرأة تتخفن ليس عندها أحد قالت ان شئت قال عدلي بما يصلح المرأة من المحرق
والدهن وجيشني بقدر وشعم وجبوب فجاءت فحمل القدر ومشت خلفه حتى
أقرب البيت فتسال ادخل الى المرأة وجاء حتى فعد الى الرجل فقالت هات لي نار افعل
بجمل عمر رضي الله عنه ينفخ النار ويضرمها تحت القدر حتى أنجها وولدت
المرأة نفسا أم كلثوم رضي الله عنها يا امير المؤمنين بشر صاحبك بسلام فلما سمع
الرجل بامر المؤمنين كأنه ارتاع لذلك وقال يا امير المؤمنين وأجملته منك أهكذا
ستفعل بنفسك فتال يا أخا العرب من ولي شيئا من أمور المسلمين ينبغي أن يتطلع على
صغير أمرهم وكبيره فانه مسؤول عنه ومتى غفل عنهم خسر النساء والآخرة ثم قام
عمر وأخذ القدر من النار وجعلها الى باب البيت فأخذتها أم كلثوم وأطعت
المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقالت للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي
في البرمة وفي غداثه المينا فلما أصبح جاء بجهزه بما أغناه وانصرف وكان من شدة
حرصه على تعرف الاعوال واقامة فسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح
الامة يس بنفسه ويأمر أمور العمة سرا في كثير من الليالي

﴿الطيفة أخرى عنه﴾

حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا

فوقته على الباب فجلس فرأى عبدا أسود قد أمانه فيه مزر وهو يشرب ومعه
جماعة فهم بالدخول فلم يقدر من الباب فندسور على السطح فنزل اليهم من المدرجة
ومعه الدرة فطسار أود قاموا وافتتحوا الباب وانهم زمو فأمسك الاسود فقال له يا أمير
المؤمنين اني قد أخطأت فاقبل توبتي فقال أريد أن أضربك على خطائك فقال
يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فأنت أيضا قد أخطأت في ثلاثة أشياء أولها
قال الله تعالى ولا تجسسوا وأنت تجسسست وقال تعالى واثقوا البيوت من أبوابها
وأنت أتينت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
أهلها وأنت دخلت ومنسملت فهب هذه لهذه وأنا تأثب إلى الله تعالى أني لأعود
فتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله عنه وقائع كثيرة تمثل هذه تشهد على حرصه
على معرفته بالامور

﴿تطلع معاوية لاحوال رعيته﴾

وكان معاوية بن أبي سفيان قد أخذ نفسه بالاطلاع الى استعمال بواطن
الامور والرايا وسلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه
في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى انه فعل عنه ان رجلا كلفه
في حاجة وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فقبس
زيادة وقال له أنت تعرف الى وأنا أعرف منك بنفسك والله اني لا أعرفك وأعرف اباك
وأنتك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذا البرد الذي عليك وهو فلان وقد
أعارك ايا فبهت الرجل وأرعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم
عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك أحد بعدهم ذلك الى أن ولي المنصور فنصب
العيون وأقام المتطالعين ورصد الخبزين وبث في البلاد الزواحي من يكشف حقائق
الامور والرايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى في أيام خلافته
بأقوام لا يرد شرارهم ولا ترد شرارهم ولا تنقل شفارهم ولا تنقل أنصارهم ولولا أن
الله تعالى أعانه ليقطع لانه جمع جفن سدادها ولا تقطع عزائم امدادها ولا ثبتت له
في الخلافة قدم ولا رفع له مع بعض قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون
فعرف من انطوى على خلافه فعاجله باللافه وأطلع على عزائم المعاندين فقطط
رؤس عنادهم بأسيافه وصار بكل يقظته يتلقى المخدور بدفعه دون رفعه
ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ودانت لخلافته الصعاب
وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الأسباب فن آتار يقظته وفعلته مارواه

(غير يتعن يتنظ المنصور)

يؤيدك ابن حبيب قال دخلت يوما على المنصور للسلام عليه فأمرني بيده إلى
فعلتم أفوض في يدي شيئا طيبا فقبضته بيدي وخرجت وأنا ملتة فاذا ورقة لطيفة
مطوية ففشرتها واذا فيها إذا قرأت كافي هذا ودخل الناس غدا فادخل معهم
وامتلب متى ادنا في سفرك إلى ضياعك بالري وقل قد اختلت أحوالها ولي حاجة
إلى إصلاحها قال يؤيدك قد دخلت مع الناس وقلت يا أميرا ومين ضياعي بالري قد
اختلت أحوالها أوفدت أمورها ولي حاجة إلى مطالعتها فتسال لاكرامة لك في ذلك
ولا ادنا فخرجت ثم دخلت اليوم الثاني وعادته فقال ذلك الجواب وأخطأ القول
فقلت يا أمير المؤمنين انما أريد إصلاحها لا تقوى بها على خدمتك فمسال مبارك
إذا شئت فاذهب فقلت يا أمير المؤمنين ولي حاجة قال قل قلت أحتاج إلى خلوة
فمنض القوم الجالوس وخرج الوقوف وبقى الريح وحده فقلت أخاني قال ومن
الريح قالت نعم قال فمنض الريح فلما لم يبق أحدهم لك سواء قال يا يؤيدك ان
جسدت بمالك ونفسك كنت في موضع ظني بك قلت يا أمير المؤمنين هل أنا ومالي
الامن نعمتلك فاذك حقت دعي ورددت على مالي وأثرني بجمتك فأنا واقف مع
أمرك قال يا يؤيدك قد حدثت في نفسي ان مرارا قد تزم على خلعي وترك طاعتي
وليس لي من يكشف باطن أمره غيرك لما بينكم كما من الألف فاذا صرت إليه إلى الري
فأظهر الواقعة في التفتن في حتى تعرف ما عنده فأكتب إلى به ولا تسكتب على
يد يريد ولا مع رسول ولا تركن إلى من لا عهد لك عليه ولا يفوتني خبرك في كل يوم
وقد نصبت لك فلانا القطان في دار القطن بالري في الدكان الفلانية فهو يوصل
كتبك على أيدي من ربتهم عنده قال يؤيدك فضيت حتى دخلت إلى قد دخلت
على مرار فقال أذلت وخطبت قلت نعم والحمد لله ثم أقبلت عليه وأوانسه بالواقعة
في المنصور وأظهار المرور بالخلاص منه حتى أظهر ما كان المنصور قد ظنه به
فككتبت إلى المنصور بذلك فلما وصلت إلى ما أردت من معرفة ما عنده خرجت إلى
ضياعي ثم رجعت إليه بعد أيام فقال فيجسالك الله من الغابر فقلت نعم وأرجو
أن لا تقع عينه على أباد أو كنت أعرض به في يدي مما عنده ثم قال هل لك إلى منتره
طيب قلت نعم فخرجت أنا وهو تسار حتى وصلنا إلى موضع مشرف بيئت له عليه
قبلة فأخذني فمرا إلى ما هناك ثم قال يا يؤيدك ان ترى القاجر يظن اني أعطيته طاعة
أبدا ما عشت أشهد على اني قد دخلته كما خدعت خفي هذا من رجلي قال يؤيدك

فرجعت الى منزلي وأنا في كل يوم أكتب بخسبره وكنت قد أعددت عشرة أنفس
من الفرسان الاجلاء تسعة من بني يربوع وواحد من بني أسد وواطأتهم على ان
تطش به وكنت الى المنصور بذلك ثم ان مراوا حصل له حاجة الى شرب دواء
في ذلك اليوم فسبق اليه ذلك الرجل الاسدي وقال له خذ حذرك من يديك
فقد عزم على قتلك قال يديك قد نلت عاباً فغرفت الشمر في وجهه والمنحكر
في نظره فقال فيه يا يديك مع اكرامك تريد ان تقتلني قال يديك فضا حكت ثم
قامت باع من مكر الخبيث انه دس اليك هذا الاسدي يغريك في لما فته فقد عملت
حياته فيك ثم ان بطنه حركه فتمسك بالخلع وقال لا تبرح فلما وليت وخرجت
سرعاً فقال لي الحاجب اسرعت قلت نعم في حاجة الامر ثم ركبت فرسي
فرايت البر يوعيين فأخذتهم وانصرفنا ولم أر الاسدي فعملت انه صاحب
السعاية في اليه فلما خرج لم يجدني فوجه خيلاً في طلبي فقال اليهم البر يوعيون
قد وقعوهم وأسرعت الى المعصية ان فكنت عنده وكنت كتاباً ظاهر الى المنصور
فسير حازم بن خزيمة يجنود فأخذوا مرا

﴿نادية عن تيقظ المنصور﴾

ومما نظمته يقطعه في عقدها وشهداها بمضامعها وعلاجهما ما نقله عقبة بن
سالم الازدي قال دخلت مع الجنيد على المنصور فلما خرج الجنيد دني وقال من أنت
نقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفصة
فقال اني أرى لك هيئة ونجاسة وأريدك لأمراً به معنى فان كفتني رفته ففقال
اني لا أرجو أن يصدق ظن أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضري يوم كذا
وكذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحداً وقال ان بني عمنا
هؤلاء قد أبوا الا كيداً والكواغمة لاله وإلهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم
ويرسلون اليهم بصداقات أموالهم والطفاد بلادهم فخرج بكنتي والطفاد من
عندي وعين حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وتقدم
عليه مئة مئة أو الكنت عن السنة تلك القرية والالطفاد والعين من عندهم اليه
فيجيبك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر له وعاد به وقل قد سرفني سرّاً وسيروا
معي الطافا وعنا كل اجهك وأنكر فاصبر له وعاد به واكشف باطن أمره قال
عقبة فأخذت كتبه والعين والالطفاد وتوجهت الى جهة المجاز حتى قدمت على
عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فلقنيته بالكتب

فأتى كرمها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء التوم قال عقبه فلم أنصرف وعاودته
 وذكرت له اسم القربة وأسماؤه أو ثلث وإن معنى منهم ألقاها وعينا فأنا نسي بي وأخذ
 الكتاب وما كان معي قال عقبه فتركت ذلك اليوم ثم سألتها الجواب فقال أما كتاب
 فلا أكتب إلى أحد ولكن أنت كاتبي إليهم فأقرهم السلام وخبرهم أن ابني محمد
 وإبراهيم خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبه فشخصت من عنده وسرت حتى
 قدمت على المنصور فأخبرته الخبر وبأسماء كان ينتظرها منه فقال لي المنصور اني
 أريد الحج فإذا صرت بمكان كذا وكذا فلتلقاني بنو الحسن وفيهم بنو عبد الله فاني
 أعظمه وأرفعه وأحضر الطعام فإذا فرغت من أكله ونظرت إليك فامتلئ بين يديه
 وقف قدماه فإنه سيصرف وجهه عنك فدرحتي تنفذ وراءه وأغمر ظهره بأبهام
 رجله حتى يملأ عينه منك ثم أنصرف عنه وياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج
 المنصور يريد الحج حتى إذا قرب البلاد تنفاه بنو حسن فأجلس عبد الله إلى جانبه
 وحادثه وطأ الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على
 عبد الله بن حسن وقال يا أبا محمد قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق لا تبغيني
 بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فأننا على ذلك يا أمير المؤمنين قال فلحظني المنصور فقامت
 حتى وقفت بين يدي عبد الله بن حسن فأعرض عني قدرت من خلفه وغمرت ظهره
 بأبهامي فرفع رأسه وملا عينه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال ألقني
 يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله إن لم أقتلك وأمر بحبسه
 وجعل يطلب ولديه محمد وإبراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب
 عذابه دعاني المنصور يوما وإذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأشياء العذاب
 وهو يقول أيا ويلك أصدقني فوالله ما أريد إلا الالفة ولئن صدقتني لأصان
 رجلي ولا تأبعن البر اليه وإذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن
 علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي تقول لا أعرف مكانه فأمر بعتدائها فبلى بلغ
 العذاب وأغشى عليها قال كفوا عنها فلما رأى أن نسمها كادت تتلف قال مادواها
 مثلها فقالوا له شمس الطيبه وصب الماء البارد على وجهها وتسق السويق ففعلوا بها
 ذلك وما لج المنصور بعضه بيده فلما أفاقا وحدها عاودا المسألة عنه فقالت لا أعلم
 فلما رأى أصرارها على الجحود قال لها تعرفين فلانة المجامة فلما سمعت ذلك منه
 تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمي

ابتهاجها إلى ورزقي بحري عليها في كل شهر وكسوة ثيابها وصيفة هان عندي
 سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتخدمكم وتعرف أحوالكم وأخباركم
 ثم قال لها أنعرفين فلانا البقال قالت نعم هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي
 ومشاربي ودنانيري عنده أمرته أن يتنازع بها ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني
 ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحواري ففعل
 لها ما تصنع به فقالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بساحية
 البقيع وهو يدخل الليلة ورودنا هذا لتخدمه النساء ما يحب اليه عند دخول
 أزواجه من الخيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور أرعدت خوفا
 وأذنت له بالحديث وعذته كلما أراد وكان المنصور يشتهي صلاح حال محمد بن
 عبد الله بن الحسن ويؤدله أن لا يشر فتنه ولا يخرج عن طاعته فأبى الاقدار الا ان
 محمد اجمع خلقا وقصد المدينة ودخل السوق وقصد السجين وكسره وأخرج من
 فيه من المسجونين وأخرج عن الطاعة وسب المنصور ودعا إلى خلعه فلما أمرع
 انحر إلى المنصور كتب كتابا إليه يلاطفه فيه ويعد به بكل ما فيه صلاح حاله ويخبره
 من الفتنه وسفلت اللهاء فأعاد عليه الجواب مجاها بالاشفاق ومتظاهرا بأداء
 الخلاف لنفسه فعاوده بكتاب آخر يخبره ويخوفه فلم يزد الا شدة فبهز المنصور اليه
 ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله
 عنهم ووجهه معه جيشا فمضى اليه وحارب به وقتله وجل رأسه إلى المنصور وأخرج ابراهيم
 بالبصرة ومعه جمعه فتصد دار الامارة وقتل وقتل واستولى على بيت المال وأخذ
 منه ألفي درهم ودعا إلى نفسه فبهز اليه المنصور عسكرا وعازال يعزل فسكرت
 ويستعمل بقطته ويستحضر قطته حتى قتل ابراهيم وأحضر رأسه اليه قال عبد الله
 ابن راشد دخلت على المنصور في أيام خروج ابراهيم بن عبد الله بالبصرة لاسلم عليه
 وأنا أظن انه لا يقدر يرث السلام لتابع الفتوق والخروق عليه وكثرة الأعداء
 القاصدين ناله من الخلافه وان بالكوفة مائة ألف سيف كاهمة ينتظرون به
 صحيفة واحدة فيشربون عليه فلما دخلت عليه رأيت أسدا مشرا قد قام إلى ما نزل به
 من النواذب يعرفها عرك الأديم ويقتها فت الهشيم ونهض بها ولم تقعد به نفسه
 فيها وسطا عليها يوف يقضه وعزمه وكان يقتل في تلك الايام هذا البيت
 تفرقت الظباء على حراش * فلا يدري حراش ما يصيد

﴿تهذيب واعتبار وتقرير واستبصار﴾

قبل من استعمل مؤنة البقطة فاطر جهار وأهملها واستقبل راحة الغفلة فاستعملها
واستعملها وكل أبصار التحفظ والتحرز بمرد العصى فعملها استفتح عليه من
أبواب النصب والعطب مقفله واستطلع من نجوم النخوس في البروج الثوابت
أفلها وقد توقع الغفلة صاحبها في خطة خسف لا يندمل جرحه ويقطع عليه مما
يحاوله سبل سعيه فلا يؤمل نجده فيتعذر ويتوانى عن أحكام أمره فيجلب به حمرة
فيهقوته ربحه

﴿تجمية عن التواني﴾

وفي قضية أبي جعفر محمد المنتصر بن المتوكل على الله ما فيه تبصرة معتبرة وقد كرهنا ذكر
فانه لما واطأ جماعة من مقدمي الدولة على قتل أبيه المتوكل ودخلوا عليه في مجلسه
وقتلوه وبايعوا المنتصر بالخلافة وأجلسوه لم يلبثوا إلا ما يسيرة وصار يستترسل
في مجلسه غافلا ويحمل ما يوجب التيقظ والتحفظ قائلًا وفاعلا ويصدر منه
في حق أولئك القتالين أبناء حركات منطوية على انحصار قتلهم ويقول لهم أنتم
قتلتم أبي متجاهرا بانكار فعلهم فلما تكرر منه ذلك مرارا وأظهره في أقواله
وأفعاله جهارا وأهمل التيقظ والاحتراز وأعلن أسرارنا وأغفل انتهاز
الفرص تأنيسا لا استبصارا ولم يضع على حركاتهم وسكناتهم من يطالعها أخبارا
أنار عندهم بالتعهد الصادر عنه داعية أعمالهم الحثية في سرعة الخلاص منه
فاجتمعوا وادهم من أعيان دولته واتفقوا على المسارعة إلى اهلاكه ومبادرته وان
يسبقوه قبل أن يسبق اليهم سيوف نهم فاستحضروا طبيبهم جبريل بن بختيشوع
وتوا عليه من أمرهم سورة قصته ولما ألغوا عليه من ذلك قولًا غيلا وأفضوا إليه
بسرهم ليوضح لهم إلى نجع سعيهم سبيلا وبذلوا من المال ما أحضروه لديه قدرا
جليلا ومبلغا جزيلا فاجتلب اشهر عطاءهم وأجاب نداءهم واستصعب
دأهم واستصوب آراءهم وحاو المال الذي بذلوه والتزم انجاز ما أمروه
وافترقوا واثقين من جبريل بسرعة سعيه فيجاسأله متحققين لما علموه من اغفال
المنتصر التيقظ والتحفظ وعقلوه انهم قد نخلصوا من شركيده وضرأئيده فقتلوه
فلم يلبث المنتصر إلا ما حتى أحضر جبريل إليه فصدده ففصده بموضع قد سمى فسات
من ليلته فانظر إلى عاقبة الاغفال ووبالها وما يجلبه ترك التحفظ والاستيقاظ

من استعالة الاحوال واختلالها ولم يبق المنتصر بعد آية الايام قليلة فاقصته
الاقدار لتوانيه بشباك حبالها وأشراك احتيالها
﴿ايقظ واعاظ﴾

هذا جبريل بن جحشوع المسود وجه أمانته المفسدة عيدة ديارته الخبايا من اثمته
على مهجته الشائن أبناء جنسه يومه خيائته القاتل من لم يقصد أذاه الخاتل
من كسائه من وارف نعمته وجداء وسقاء عن طارف خلافته وغذاء لما كفر
نعمه مولاه وأقدم على ارتكاب ما حرم الله أبست العدالة الربانية الامتثالته على
ما أتاه ومجازاته على سوء ما قدمته يداه فعاجله الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة
بعقوبته وسواء من غيراه مال بمنل سيئته وذلك انه بعد أيام ثارت به حرارة أحويته
الى فصد ونقص دم فأحضر تلميذاه ليفصده وأخرج دست المباحض الذي له وقد
نختم الله على قلبه وفهمه لانه أذقضائه فيه وحكمه فأخرج ذلك المباحض المسموم
الذي فصد به المنتصر معتقدا انه غيره ودفعه الى تلميذه ففصده به ذات من ساعته
فسبحان الحكم العدل الذي لا جور في حكمه وامضائه ولا ظم في قدره وقضائه
ونزل هذه الواقعة قبل اياك وتقريب من استبد به الشره وملسك الطمع واقتاده
الحرص واستحوذ عليه الشح فان هذه الخلال ما جعلها الامن فارق الدين وفقد
الامانة وعدم المروءة وتحلى بسوء العقيدة وذلك بسعته على اجابة من بذل له محبة
وعمل له من المال مطلوبه الى كل ما يحاوله منه ولو كان كفر بالله تعالى أو سفك
دم أنبيائه فيجب على ذي الالبالة العظيمة والولاية الحكمة على الخليفة أن يفتت بر كل
مقرب ليحيط بخبره ويكون على بصيرة من أمره

﴿تفهيم اهتداء وتعليم اقتداء﴾

قد يشرق نور اليقظة من مطالع التوفيق ويتألق ضياء الفطنة فيهدى الى سواء
الطريق فيسلكه اليقظ الفطن فيغنيه عن الافتقار الى رفيق في الطريق
ويحرمه عن أن تهوى به ربح الغفلة والتواني في مكان سخيق ولهذا يقال
من جرى بجواد اليقظة في حلبات الاعمال أحرز نصبات الآمال ومن اهتدى الى
جواد الفطنة من معامات الاحوال أمن قواطع الضلال ومصارع الاغتيال
فكم من فسكرة تناولت يد يقظتها مرامها وطاوت بعزم فطنتها من الافلاك أوج
كيوانها وبهرامها فأدر كفاية سؤلها وبلغت نهاية مأمولها وسحبت على

آثار احتيالها لتجبرها على ذلك فتم حرامها وكل ووصلت مرادها وحصل
ودام لها ما حاولته وتبذل

(ولطيفة عن احتيال الحجاج)

كما نقلت السيرة السلف الى أسباع الخلف من قصة الحجاج بن عكاظ السلي في
حسن تظفمه واحتياله وكان يقطنه في توصله الى قنصل ماله وتكفيصها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأمر من بصفقة وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن عكاظ
السلي وكان أول ما قدم أسلم تلك الأيام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة
مالا عند صاحبي أم شبيهة ولي مال متفرق في تجار مكة فاذن لي يا رسول الله في العود
الى مكة عني أسبق خبر اسلامي اليهم فاني أخاف ان علموا بسلامي أن يذهب جميع
مالي بمكة فاذن لي لعلي أخلصه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اني أحتاج أن أقول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت في حل قال أبو
العباس أحمد بن إبراهيم أحد رواة هذا الخبر ان هذا كلام حسن يقال للاحتيال
والتوصل الى الحق لانه من باب الفساد قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى اثنية
ثنية البيضاء وجدت بهار جالسا من قريش يتكلمون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر وكان قد عرفوا ان خيبر قرية الحجاز ريفاء ممتدة
ورجالا فهم يتجسسون الاخبار فلما أبصروني قالوا هذا العمر الله عنده الخبر أخبرنا
يا حجاج فتد بلغنا ان القاطع يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت
ايه بلغني انه قد سار اليها وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون
انه يا حجاج قال فقلت هزم هزميتم تسعوا غلها فوطوا أسير محمد أسرا وقالوا لا تقتله
حتى نبعث به الى مكة فيقتلوه بين أظهرهم من كان اصابت من رجالهم قال فقساموا
وصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تقتلوه ان يقدم به عليكم فقتل بين
أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي على غرما في بمكة فاني أريد أن أقدم خيبر
فأصيب من نفل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى هناك فقاموا معي فجمعوا
مالي كأحب جمع سمعت به قال وحدثت صاحبي فقلت مالي لعلي الحق خيبر فأصيب
من فرض البيع قبل أن يسبقني التجار فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما
جاءه عني أقبل حتى وقف الى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا
الخبر الذي حدث به قال قلت وهل عندك حفظ لما أضعه عندك قال نعم قلت فاستأجر

عني حتى القاك على خلاء فاني في جميع مالي كاتري فانصرف عني حتى أفرغ قال
حتى اذا فرغت من جميع كل شيء كان لي عكة وأجعت على الخروج لغيت العباس
فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطالب واكنتم علي ثلاثا ثم قل
ما شئت قال افعل فقلت والله اني تركت ابن أخيك عروسا على بيت ملسكهم يعني
صفية ولقد استع خير وانتهى ما فيها وصاوت له ولاعهابه قال ما تقول يا حجاج قلت
اي والله فاكنتم عني ولقد أسلمت وما حدث الامم الا أخذ مالي فرقامن ان اغاب
عليه فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال حتى اذا كان اليوم
الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة وطاف بها
فلما رآوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجادل المصيبة قال كلا والذي حقه ثم به لقد
اقتنع محمد خير وترك عروسا على امة ملسكهم راحر زأموالهم وما فيها فأصعبت له
ولاعهابه قالوا امن جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم
مسلم وأخذ ماله وأطلق ليستلحق بمحمد وأصحابه ليكون معهم قالوا انزلت عند الله
أما والله لو علمنا المكان لناوله شأن قال ولم ينشئوا ان جاءهم الخبر بذلك فتوصل
بينة فتمه واحتياله الى مخلصه وتخلص ماله

﴿وطانة تجديديان وتأكديديان﴾

لما جعت الاغراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحندق وقصدوا المدينة
وتظاهروا وهم في جمع كبير وجمع غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني
النضير وبنو قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المسلمين واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله اذ جاءكم
من فوقكم ومن أسفل منكم واذا زاعجت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنون هنالك اتى المؤمنون وزلزلوا زلا شديدا فجاء نعيم بن
مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فرفني بما شئت فمسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما أنت فرجل واحد فذل عناما استطعت فان الحرب خدعة ففرج نعيم بن
مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديع الهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم
وذي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتم فقال لهم ان قريشا
وغطفان ليسوا كانوا البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساءكم لا تقدر ان على

ان تحوّلوا منه الى غيره وان قريشا و غطفان قد جاؤا بحرب محمد واصحابه وقد
 ظاهر قومه عليهم عليه و اولادهم و أموالهم و نساؤهم و أولادهم بغيره و ايسوا مثلكم
 فان هم رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لم تحوّلوا بلادهم و خالوا بينكم و بين الرجل
 بآيديكم و لا طاقة لكم به فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكون
 بأيديكم نقة لكم على أن تقاتلوا محمد حتى يسأخروه قالوا أشريت بالرأي ثم أتى
 قريشا فقال لابي سفيان بن حرب و كان قائد المشركين من قريش و لمن معه من كبراء
 قريش قد عرفتم و دى لكم و فراق محمد و انه قد بلغني أمر قد رأيته على حقائق
 أبلغكموه فخصاكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على
 ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد و قد أرسلوا اليه انما قد ندمنا على نقض العهد الذي
 بيننا و بينك فهل يرضيك أن تأخذنا من القبيلى من قريش و غطفان رجلا من
 أشرفهم فنسلهم اليك فتضرب رقابهم ثم تكون معك على ما يقي حتى نستأصلهم
 فأرسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود يلقسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعن
 منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان قال يا معشر غطفان انكم أصلي
 و عسيري و أحب الناس اليّ و لا أراكم تتهموني قالوا صدقت ما أنت عندنا بجهنم
 قال فاكتموا على ما أقول لكم قالوا نفعل ثم قال لهم ما قال لقريش و حذرهم مثلما
 حذرهم فلما كان ليلة السبت و كان من صنع الله تعالى رسوله أرسل أبو سفيان
 و رؤس غطفان الى بني قريظة فقالوا لهم اننا لنسألكم مقام قد هلك الخيف و الحافر
 فأعدوا القتال حتى تسأخروا و نفرغ ما بيننا و بينه فأرسلوا اليهم في جوابهم ان
 اليوم يوم السبت و هو يوم لا نعمل فيه شيئا و استماع ذلك بالذين تسألكم معكم محمد
 حتى تعطونا رهنا من رجالكم تكون بأيدينا نقة لنا حتى تسأخروا فانا نخشى ان
 ضرمت الحرب و اشتد عليكم القتال أن تشعروا الى بلادكم و تتركونا و الرجل
 في بلدنا و لا مفاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش
 و غطفان و الله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لمحق فأرسلوا الى بني قريظة اننا
 لا ندفع اليكم و الله رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فأخرجوا فقاتلوا
 فقال بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل هذا الكلام الذي ذكره نعيم لمحق ما يريد
 القوم الا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشعروا الى بلادهم
 و خالوا بينكم و بين الرجل في بلادكم فأرسلوا الى قريش اننا لا نقاتل معكم حتى تعطونا

رهنافأبو عليهم وخذل الله بينهم وأرسل الله عليهم الریح فتفرقوا وارتحلوا وكان
هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه القطة وهديا له إلى القطة التي
عمن نفعها وحسن وقعها

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ من الجواهر المشوية وفوائد الحكم المأثورة (منها) من أيقظ
نفسه وألبسها لباس التحفظ أيسر عدو ومن كيدته أن وقطع عنه أطعماع المساكين
به (ومنها) القطة حارس لا ينام وحافظ لا يسام وما كرامته في أن تدفع بها أرباب
فما استيقظ له من الاختلال والضياح وان يحار فيه عليه (ومنها) ما استظهره عبود
المرعاه بأعظم من توان دأته حميد في هو غفلة مستقرقيا ناس بها واستقبال اعياء
التحرز والتحفظ واهمال الفرص في أوقات انتهازها (ومنها) من احتجب عن وفود
القطة اذن في ورود النعم ومن استعذب راحة الغفلة تجرع مرارة الندم ومن
استفرش شدة التواني فسيتبطن مشقة الالم ومن استصوب مصاحبة الاهمال
فسوف يرث به الندم

﴿الباب التاسع في العفو واصطناع المعروف﴾

العفو عن أرباب الهفوات والتجاوز بأقوال العثرات والحلم عن معتري الزلات
والصفح عن ذوي الهيئات وامتناع الاحسان وفعل الخيرات واصطناع المعروف
لا سيما إلى أهل الدرايات كل ذلك معبود من بحسن الحسنة ومكارم الاخلاق
التي هي صفة الصفات وقد نطق بذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات
وصبرحت به السنة النبوية على السنة الرواة الثقات قال الله عز وجل وان تعفوا
أقرب للتقوى وقال تعالى والبكاظين الغبط والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين وقال تعالى وليعفوا وليصْفحوا لا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور
رحيم وقال تعالى فبما رحمة من الله لست لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا
من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وقال تقديس اسمه مخاطب
نبيه خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى واذا ما عجزت
هم يغفرون ونقل أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأيت قسورا مشرفة على الجنة قلت يا جبريل لمن هذه قال لكائنات من الغبط
والعافين عن الناس وقال أبو هريرة رضي الله عنه يمدح رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما قال اذ خرجت حتى بدت ثياباه فغسل لي في ذلك ثم تحك يان رسول الله قال

ورجلان من أمي جنباً بين يدي ربي فقال أحدهما يا رب خذني مظلمتي من ابي فقال
 الله تعالى اعطاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء فقال يا رب فليحمل
 من أوزاري ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان ذلك اليوم
 ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم اوزارهم ثم قال قال الله تعالى
 للطالب عقه ارفع بصرك الى الجنة فرفع راسه فرأى ما اعجبه من الخير والنعمة
 فقال لمن هذا يا رب فقال لمن اعطاني ثمنه قال ومن ذلك قيمته يا رب قال انت قال
 بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه قال فليبيده وادخل
 به الى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله واعلموا ذات بينكم
 وقال تعالى فن عفي واصح فأجره على الله ونقل ايضا ابو هريرة ان ابا بكر الصديق
 رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقام رجل فوقع في
 أبي بكر رضي الله عنه وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسّم ثم رد عليه أبو
 بكر رضي الله عنه بعض الذي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام فلحقه
 أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله شتمني وانت تتبسّم ثم رددت عليه بعض
 الذي قال فغضبت وقفت فقال صلى الله عليه وسلم حين كنت سائلاً ما كان لك برد
 عليه فلما تسكّنت وقع الشيطان ولم اكن لاقعدني مقعد فيه الشيطان يا ابا بكر
 ثلاثة حق انه ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا عزه الله ونصره وليس عبد يفتح
 باب مسألة يريد كثرة الا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية او صلة الا زاده
 الله بها كثرة وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما سمعتني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فاولا عني بالله لظننت
 انه يوصيني بترك الحدود وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة
 نادى مناد الا يقم من كان له اجر على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وروى عنه
 صلى الله عليه وسلم انه قال افضل العباد ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
 وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم أتى جبريل عليه السلام بكارم الاخلاق
 في الدنيا والاخرة فلما ما هي يا رسول الله قال قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف
 وأعرض عن الجاهلین * ودخل معن بن زائدة على معاوية فقال له يا معن كيف
 حبك لعلي بن أبي طالب فقال أحبه على وجوه كثيرة على حلمه اذا غضب وعلى
 صدقه اذا قال وعلى وفائه اذا وعد وعلى عفوه اذا قدر وان رضي لا يخرج رضاه الى

الباطل وان غضب لا يخرج غضبه عن الحق واذا قدر ان يتناول ما ليس له وكان معاوية يقول اني لا اتق ان يكون في الارض رجل لا يسعه علي وذنب لا يسعه عفوى وماجة لا يسعها جودى

﴿ بداية وعداية ﴾

في جواهر الانوار وخبايا الاخبار ما شئت اجمع ذوى الاستبصار و رزاق الى ارتقاء منازل اهل الفخار فانه يقال من اقتدى بهلوم الحكمة في اقتناء الخلائق الرعية واهتدى بنجوم العظماء في اقتفاء الطرائق المضيئة كان خليفة ان يوصف بالنفس الزكية والسنة الاخرى وجدير ان يعرف بالسيرة النيرة والهمة العالية كما نقل عن المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الاتفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج معه ابراهيم بن المهدي عليه وياهم العباسيون بالخلافة ببغداد ودخلوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما باعده الخبر قصد العراق فلما دخل بغداد اختفى ابراهيم بن المهدي وهاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم ير المأمون متعلبا لابراهيم حتى اخذته مستقبلا مع نسوة فجلس ثم احضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال له المأمون لاسم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثت نفسك بما تقطع دونه الا وهام فقال له ابراهيم مهلا يا امير المؤمنين فان ربي الثار يحكم في القصاص والنفوس اقرب للنفوس ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعلى السياسة ومن تناوله الاغترار بما مثله من اسباب الرجا امن عادية الدهر على نفسه وهيمته به الايام على التلف وقد جعلك الله فوق كل ذنب كما جعل كل ذنب دونك فان اخذت فيعتقك وان عفوت فبعتك والفضل اولى بك يا امير المؤمنين ثم قال

ذنبى اليس لك عظيم * وانت اعظم منه
نفسك بحقوقك أولا * فاصفح بعفوك عنه
ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنته

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم القدرة تذهب بالحفيظة والندم توبته وينهم ما عفو الله وهو اعظم مما يحاول واكثر مما يؤمل ولقد حسب اني الهفوس حتى خفت ان لا اوجر عليه لا تريب عايتك وردأمواله جميعها اليه فقال فيه غنا طبا

رددت مالي ولم تمن علي به * وقبل ردك مالي قد حقت دمي
فان جددت مالي اوليت من كرم * اني لباللوم اولى منك بالكرم
تأ كيديسان وتجديبرهان

من قابل المكروه بالعفو والزلة بالحلم والاساءة بالاحسان والسيئة بالغفران فقد
أوطأ أخص قدمه قة أوج السيادة وأعطى نفسه بشرها بأن لها الحسنى وزيادة
وكان في أول جريدة الاعتبار إذا عد أهل السعادة وقد صدع لسان النقل فأسمع
وفرع فن الرواية تأنيع وطلع نجم الاستاد فطلع وتابع طريق الاخبار فالتقط
فان معاوية * لما ولي الخلافة وتفق حلب اخلافها وتفق نصب انصارها
ومرق سرب اخلافها وفرق عصب اسرافها وانتظمت لديه الامور وامتلأت منه
الصدور وأذن لأمه الجمهور وساعفه في مراده القدر المقدر استخضر لديه
خواص أصحابه المنتظمين في سلك مساعدته على محابه وذاكرهم وقائع أيام صفين
ومن كان يتولى كبر الكرمه ففهم من المعروفين وانهم كوا في القول الصحيح والمريض
وسلكوا شعبة في اليفاع والمضيض وآل حديثهم بعد التصريح والتعريض الى
من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة
تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة
بأصحاب على مسيعة اياهم كلاما كالصوارم لوسمعه الجبان لقاتل والمدير لا قبل
والمسلم محارب والفارس كروا المتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية تأيكم يحفظ كلامها
فقالوا كلنا نخف خطه قال ما تشرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانهم أهل لذلك فقال
معاوية بئسما أشرتم به وقبحا لما قلتم أحسن أن يشترعني اني بعد ما طمرت وقد رت
أقتل امرأة وقت لصاحبها اني اذ اللئيم لا والله لا فعلت ذلك ثم دعا بكتابه فكتب
كتابا الى واليه بالكوفة أن أوفد الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان
من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبها كاذولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها
وأقرأها الكتاب فقالت ما أنا بزاينة عن الطاعة فان كان أمير المؤمنين جعل
الاختيار الى لم أبرح من مكاني وان كان حتم الامر فالسمع والطاعة له فعملها
في هودج وجعل عشاءه خزام بطنائهم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية
قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وأفد كيف حالك يا خاله وكيف مسيرك
قالت خير مسير كائن كنت ربيبة بيت أوطف لافي مهد فقتل بذلك أمرتهم فهل

تعبين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال ألسنت الراكبة الجبل الاحمر يوم
صغين وانت بين الصغين توقيدين الحرب وتحضين على القتال قالت بلى قال فما
جلك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين أنه قدماء الرأس وبئر الذنب والدمر ذو غير
ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تحفظين شيئا
من كلامك قالت لا والله قال لله أبوك لقد سمعتك تقولين أيها الناس انكم
في فتنة غشتكم جلايب الظلم وجارت بكم عن قصدا للحجة في الهافتة عجماء صماء
لا يسمع لقائلها ولا ينفادلسا نفعها أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان
الكوكب لا يبرق مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد
الامن استرشد أرسدناه ومن سأل أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها
فصبر يا معاشر المهاجرين والانصار فكان قد التأم شعب الشتات وظهرت كلمة
العدل وعلب الحق باطله فانه لا يستوي الحق والمبطل أخن كان مؤمنا كن كان
فاسقا لا يستوون فنزال النزال والصبر الصبر فعن كتب يدح الاقدام ويذم الاجسام
ولا يجان أحدكم يقول كيف ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا ان خضاب النساء
الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة أيها الى الحرب غير
نا كصين فهذا يوم له ما بعده يازرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت قد كان
ذاك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك
يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسة فقال لها وقد
سرتك ذلك قالت نعم والله سرتني قولك وان لي بتصديقه فقال معاوية والله لو فاقكم
له بعد موته أحب الي من حبكم له في حياته اذ كرى حاجتكم لتقضي قالت يا أمير
المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا أعنت عليه شيئا قال قد أشار
علي بعض من عرفك بقتلك فقالت لو من المشير ولو أطمعته لشركته قال
كلا بل نفعو عنك وتحسن اليك وفعالك فقالت كرم منك يا أمير المؤمنين
فذلك من قدر فعفا وتحاوز عن من أسأ وأعطى من غير مسئلة وجاد من غير طلب
فقال صدقت ثم أعطاها كسوة ودرهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة
عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها وكتب الى والي الكوفة بالوصاة بها
وبعشرتها (وقيل كان) لعبد الله بن الزبير أرض وله فيها عبيد يعملون بها فدخل
عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول

فيه أماء بما معاوية فإن عبيدك قد دخلوا في أرضي فأنهم عن ذلك والا كان لي ذلك
 شأن والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه إلى ولده يزيد فلما قرأه قال
 يا بني ما ترى قال أرى أن تبعث إلي جيشا يكون أوله عندهم وآخره عندي
 يا توك برأسه فقال أواخر من ذلك يا بني ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب
 عبد الله بن الزبير فقال وقت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وسأله في مسأله والدنيا بأسرها هينة في جناب رضاه وقد كتبت على نفسي
 صكبا بالارض والعبيد وأشهدت على نفسي بذلك فليستضفها مع عبيدها إلى أرضه
 والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب إليه وقعت على
 كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله من قريش
 هذا الخلل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله وقرأه رعى به إلى ابنه يزيد
 فلما قرأه أسفر وجهه فقال له يا بني من عفا ساد ومن علم عظم ومن تجاوز استمال
 القلوب فاذا بليت بشئ من هذه الأدواء فداوه بتدلي هذا الدواء

استبصار مهتد واعتبار مقتد

قد تعظم جرعة المني في القلوب ويتعاقم ذنبه في النفوس فلا يرجي له عفو
 ولا يتوقع عنه صفح فاذا أقيم مقام الانتقام منه وتحكمت فيه يد الاقتدار
 عليه أنطق الله جل وعلا لسانه بما يرغب المنتقم منه في العفو عنه ويرى ما يزيد
 على العفو والصغح عن جرمة بالاحسان إليه والرعاية له كما جلت بطون الصفائف
 إلى الخوائف من أخبار من سلب من الخوائف فإن الرشيد بن المهدي خرج عليه
 خارجي رام زوال ملكه وافساد دولته فجهز له جيشا وأنقض الناس والجند
 للخروج لقتاله فلما توجه الجيش إليه وظفروا به أحضره إلى دار الخلافة فلما
 دخل على الرشيد قال له ما تريد أن اصنع بك قال له اصنع بي ما تريد ان يصنع الله
 بك اذا وقت بين يديه وهو اقدر عليك منك على فأطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه
 وأمر بأطلاقه فلما خرج قال بعض الحاضرين يا أمير المؤمنين تقتل رجالك ونفسي
 أموالك وتظفر بهذا الذي خرج عليك وأفسد في بلادك وتطلقه بكلمة واحدة
 تأمل يا أمير المؤمنين هذا الأمر فانه تجري عليك أهل الفساد فأمر الرشيد برده
 فلما عاد ومثل بين يديه علم انه قد سعى به وأشير على الخليفة بقتله فقال يا أمير المؤمنين
 لا تطع في مشيئتي عفو تدنو به عند الله يد أو يبعثك على الانتقام الذي ليس

من مكارم الاخلاق واقتدى بالله تعالى فانه لو اطاع فيك مشير الماساختلفك طرفه
حين واحسن كما احسن الله اليك فأمر باطلاقه واحسن اليه وقال لا تعاودوني فيسه
﴿حكاية عن المنصور﴾

ومن قبيل ذلك ما سميته في سلك هذا الاستبصار ويندرج تحت هذا الاعتبار
ما نقل عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جاشا ولا أثبت
جنانا من رجل رفع عليه وسعي به الى المنصور ان عنده ودائع واموالا لبني أمية
فأمرني باحضاره اليه فأحضرت به ودخلت به عليه ففقال له المنصور قد رفع اليك
خبر الودائع والاموال التي لبني أمية عندك فاتخرج اليها منها واحضرها ولا تسكن
منها شيئا ففقال يا أمير المؤمنين أنت واثرت لبني أمية قال لا قال فوصى لهم في أموالهم
ورباعهم قال لا قال فما سألتك عما في يدي من ذلك قال فأطرق المنصور يفكر
ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني أمية ظلموا المسلمين وأنا وكبير المسلمين في حقهم
وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعل في بيت المال قال يا أمير المؤمنين فتحتاج
الى اقامة بينة عادلة على أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه فان بني أمية قد كانت
لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال
يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يحب عليه شيء ولا يسعنا الا أن نعفو عما قيل
عنه ثم قال لي هل لك من حاجة قلت نعم حاجتي أن تنفذ كتابا على البريد الى أهلي
ليسكنوا السلامتي فانهم راعهم اشخاصي اليك وقد بقي لي حاجة أخرى يا أمير
المؤمنين قال قل لنقضها لك قال تجمع بيني وبين من سعي اليك في فوالله ما لبني أمية
في يدي مال ولا وديعة ولا سكني لما كنت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه قالت
بين هذا القول الذي ذكرته الآن وبين ذلك القول الذي قمته أولا فرأيت ذلك
أقرب للخلاص والنجاة ففقال يا ربيع اجتمع بيني وبين من سعي به فجمعت بينهما
فلما رأه قال هذا غلامي ضارب على ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق مني وخاف مني
الطلب له فسعي في فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأن غلامه وأنه أخذ
المال الذي ذكره وسعي به كذب عليه فهو فأن أن يقع في يده ففقال المنصور للشيخ
أشترى أن تعفو عنه قال قد عفوت عنه وأعتقته وقد وهبت له الثلاثة آلاف دينار
التي أخذها وثلاثة آلاف دينار أخرى أدفعها له ففقال له المنصور ما على ما فعلت
من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني

يا امير المؤمنين ثم انصرف قال اربيع فكان المنصور يتعجب منه كما ذكره ويقول
ما رأيت مثلي الشيخ ياربيع

﴿موقعة بلخفة من الحسكام على تطاع أسواق رجاياهم﴾

ومما يطرب النظر ويهتدب رقبته ويتعين على ذوي الدراية واليقظة حفظه ما يجمع
أشتات من الفوائد ويمرر عابا إلى المقاصد ويطوق أجياد القدير بفرائد
القلائد ويحقق لذوى الفكر أن نصح أولى الأمر من أعظم القواعد وهو ما جرى
للخليفة المنصور المسد كور بمكة حوسه الله تعالى وتلخيص ذلك أن المنصور كان
يطوف بالكعبة ليلا إذ سمع قائلا يقول اللهم اني أشكوك اليك ظهور البغي والفساد
في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فخرج المنصور وجلس في ناحية
المسجد وأرسل إلى الرجل يدعو فضلى ركنين واستلم الركن ثم أقبل مع الرسول
فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور ما الذي سمعتك تقول وتذكر من ظهور البغي
والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حسنت مسامحي
ما أرمضني قال يا امير المؤمنين ان أمتني أنباءك الأمور على جليتها وأصولها
والأجادل عن نفسي قال له المنصور أنت آمن على نفسك فقال ان الذي دخله
الطمع حتى حال بينه وبين اصلاح ما ظهر من البغي والفساد أنت قال ويحك وكيف
يدخلني الطمع والبغضاء في قبضتي والحق والحق والحق عندى قال وهل دخل أحد
من الطمع ما دخلك ان الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم
حجابا من الجبس والابتر وأبوابا من الحديد ووجهة منهم الاسلحة وأمرتهم أن لا يدخل
عليك الاقلان وقلان سميتهم ولم تأمر يا بصال الملهوف ولا المجائع ولا العسارى
ولا الضعيف ولا الفقير وما أحد الاوله في المال حتى فليسأرك هؤلاء النفر الذين
استخلصتهم لنفسك وأمرتهم على رعيته وأمرت أن لا يجمعوا عندك تحبي الاموال فلا
تطعمها وتجمعها ولا تقسمها قالوا هذا خان الله خالنا لا نخوفه وقد سخرنا أنفسه
فانقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل
فيخالف أمرهم الا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما الله هز ذلك عندك
وعنهم غناهم الناس وها هو هم فكان أول من صانعهم عمالكا بالهدايا والاموال
ليتقروا بها على ظلم رعيته لينالوا به ظلم من دونهم فامت ثلاث بلاد الله بالطمع بغيا
وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطتك وأنت غافل فان جاء معتظم جبل بينه

و بين الدخول عليك فان اراد رفع قصة اليك عند ظهورك وحديثك قد نسيته عن
ذلك ووقفت رجلا متطرق في مظالمهم فان جاء ذلك المظلوم الى الرجل و بلغ بطائفة
سألو اصحاب المظالم ان لا يرفع مظالمه فان المظالم منه له بهم حمة فأجابهم خوفا منهم
فلا يزال المظلوم يتقلب اليه ويلوذ به ويستكبر ويستغيث وهو يدافع ولا يقبل عليه
واذا جهدوا اضطر واحرج وقت وصرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا عبرجا
ليكون نكالا لغيره وانت تنظروا لا تنكروا بقاء الاسلام على هذا وقد كنت يا امير
المؤمنين اسافرا الى الصين فقدمت امة وقد اصيب ملكها بسمعة فبكى بكاء شديدا
فعرزاه بعض جلسائه فقال اما اني است ابعثي قسلي ما نزل بي من ذهاب سمعي
ولكنني ابكي المظلوم يتقف يصرخ بالباب فلا اسمع صوته ثم قال اما اذ ذهب سمعي
فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ان لا يلبس ثوبا اجرا لا متظلم ثم صار يركب
الغسل طرقي النهار ويستظهر هل يرى مظلوما فهذا مشرك بالله تعالى غلبت رافقه
بالمشركين سمع نفسه وانت تؤمن بالله واليوم الآخر ثم من يدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم غلبت سمع نفسك فان كنت اتما تصمغ المسال لولدك فقد اراك الله
في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال ومال الاودونه يد شديدة
تحويه فما يزال الله جل وعلا يلطف بذلك الطفل حتى يعظم رغبة الناس
اليه وولست الذي يعطى بل الله يعطى من يشاء بغير حساب وان قلت انما
أجمع المال لتشديد الساطان وتقويته فقد اراك الله تعالى بنى أمة ما أغنى
عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسكران والسلاح
حين اراد الله بهم ما ارادوا وان قلت انما اجمعه لطالب غاية هي أجسم من الغاية
التي انا فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة الامنزة لا تنال الا بخلاف ما أنت عليه
يا امير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأكثر من القتل أو الصاب قال المنصور
لا قال فكيف تصنع يا امير المؤمنين يوم القيامة عند لقاء الله عز وجل الذي خولك
ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه من عبيده وعمل بخلاف ما أمر به في كتابه بالقتل
ولكن يعاقبه بالخاود في العذاب الاليم وقد ترى ما عقد عليه قلبك وحاته
جوارحك ونظر اليه بهرك واجترحت يدك ومشت اليه قدماك هل يغني
ما شحمت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يديك ودعاك الى الحساب على ما خولك
فلما اتم الرجل كلامه والمنصور يتكلم منه بكاء شديدا ثم قال يا ليت المنصور

لم يخاف ثم قال للرجل يا ويحك كنت افسرك في الانتقام منك على ما جئتني به
والآن فقد رأيت العفو عن مقاتلك لصدق مقصدك أولى وشكرك على نهيك
أجده فكيف احتسالي لنفسى والسلامة مع مؤاخنة الله تعالى على ما أوصفتك
فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان للناس أعلا ما يفزعون اليهم في دينهم ويرضون
بقولهم فاتخذهم لك بطانة يرشدوك واستعن بأدبهم وأقوالهم يسددوك قال
المنصور قد بعثت اليهم فهدوهم فإني قال الرجل خافوا منك ان تحملهم على طريقتك
فلم يرضوا بها ولكن افتح باب مجلسك وسهل حجابك وانظر في أمور الناس وانصر
المظلوم واقع الظلم وخذ انقيء الاموال مما حل وطاب واقسم ذلك بالحق والعدل
على أهله وأنا الضامن لك انك اذا فعلت ذلك ان يأتوك ويساعدوك على صلاح
الامة فيمنعها هو والرجل في الحديث دخل المؤمنون وسلموا عليه للصلاة فقام وصلى
فما فرغ من صلاته وعاد فطلب الرجل فلم يجده فاقول المنصور بعد ذلك يذكره
ويقول اذا ذكره كرهت كلامه ثم جئته واتفعت به

﴿تذليل اشارة وتسهيل عباؤه﴾

اذا اراد الله أمرا هيا أسبابه وفتح أبوابه وأوضح صوابه ومنع اكسابه وقابله
القلوب النافرة عنه فآثرته وجذب اليه النفوس المحاذرة منه فبأثرته حتى يصدر
ذلك المصدور على خلاف طباع مصدرة ويحصل منه ولو فعله غيره لاستحق
الانكار عليه في نظره كل ذلك لانقاذ الله تعالى في عبادته حكم قضائه وقدره

﴿بديعة عن الحجاج﴾

﴿هذا الحجاج﴾ بن يوسف الثقفي كان قد جمع خلا لا قبحة ظاهرة وباطنة من دمامة
الصورة وفتح المنظر وقساوة القلب وشراسة الاخلاق وغلظ الطبع وقلة الدين
والاقدام على انتهاك حرمة الله تعالى حتى حاصر مكة حرسها الله تعالى وهدم
المكعبة وزماها بالمنجنيق وبالنفط والنار وأباح الحرم فسفك وهتك وقد قيل ان في
مدة ولايته قتل ألف ألف وستمائة ألف مسلم ومات في حبسه ثمانية عشر ألف
انسان وكان لا يرجو عفو الله ولا يتوقع خيره وكأنه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة
بسور من فظاظه وغلظته وقساوة ومع ذلك فقد رقق الله قلبه وألان عريته
وألهمه ما خالف سجيته وبارن عادته فانه في واقعة يزيد بن شبيب الشيباني لما خرج
في أيام عبد الملك بن مروان بالعراق فظفر به الحجاج وبأصحابه جعل يقتل كل مقدور

عليه منهم فلما كان آنرا لا مرقدم اليه رجل منهم له سميت ورواء وهيشة فلبسهاهم الحجاج
بقائه سمع ضجة بالباب فقال لحاجبه ما هذه الضجة قال نسوة في الباب يسألن الدخول
على الأمير فقال الحجاج ائذن لهن بالدخول فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة
كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقائه فقال لهن الحجاج ما حاجتكن
فتقدمت امرأة منهن فقالت أضل الله الأميران رأيت أن تجودا باستماع ما أقول
فقال لها قولي ما أحبت فقالت

أحجاج أما أن عن بستره * علينا واما أن تقتلنا عما
أحجاج لو تشهد مقام بناته * وعصاته يندبته الليل أجمع
أحجاج لم تقبح به من نسائه * ثمانا وتسعاوا ثنتين وأربعا
فن رجل دان يقوم مقامه * علينا فهلا لا ترذنا تضعضما

فرق الحجاج لقولها ووجد رقة عليهن وعفاهن وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار
وكتب كتابا إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها وأنه قد رقى لهن
وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار فكتب اليه عبد الملك يحمد الله على ذلك وأمره أن
يزيده مائة دينار أخرى في عطائه فصارت له زياتان زيادة الحجاج وزيادة عبد
الملك وصار الحجاج يرعاه ويسأله كل وقت عن النسوة وهذه الحالة الصادرة عن
الحجاج من غرائب أخباره وعجائب آثاره لسكن جنده الله تعالى إلى فعلها بأزمة
أقداره * وحيث انتهى القول في العفو والحلم والتجاوز والصفح إلى هذه المقام فلا
بد من اتمام وظيفة هذا الباب بذكر نبذة من القول في اصطناع المعروف والمدافع عن
المهوف فإن خبر فعله فأرض وخير وأوبه مستفيض وحوض نفقه مفعم وروض فضله
أريض ومقام مكتسبه من التوفيق يفاع وعقام محبته حضيض وفي الآيات
والاحاديث من الدلائل المرغبة ما فيه باعث وحض وتضرير فان اسداء المعروف
واعانة المهوف من احسن الاحسان وأي عمل خير من خبره كتب في صحيفة
الانسان وقد قال الله عز وجل وما تفعلوا من خير فإن تكفروه وقال تعالى أن
أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها وقال تعالى أن الله مع المحسنين وإن الله
لا يضيع أجر المحسنين وقال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو
خير وأعظم أجرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أهل المعروف في
الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأنه قال اصطناع المعروف يقي مصارع السوء

وأنه عليه السلام قال من بسط يده بالمعروف إذا وجد خلف الله عليه في دنياه وضاعف له الاجر في الآخرة ونقل عن المسيح بن مريم عليه السلام أنه قال لأصحابه استكثروا من شيء لا تأكله النار قالوا وما هو يا روح الله قال المعروف وقد قيل ان كعب الاخبار كان عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ينشد هذا البيت

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس
فقال له كعب يا أمير المؤمنين ان هذا الذي قتلته فيما أنزل الله في التوراة على موسى بن عمران عليه السلام فان في التوراة يقول من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدي

﴿تمهيد قاعدة وتجديد فائدة﴾

من مديد تطلعه الى اقتطاف ثمار الاخبار وجد تجديد قفله في استعراف أسرار الآثار وردد انسان ناظره الى استجلاء ما أسفرت عنه وجهات الاسفار وشذو سط عزمه لاجتناء الفوائد المنتقة من جهات الاسفار كان خليفاً أن يحصل منها على غرائب يفتح لها أبواب المسامع وجديراً أن يعمل عنها عجائب يطرب عند ذكرها كل سامع لاسيما فيما يستعبد سرّاً ويخلد ذكرها ويستجد شكراً ويستدفق رويد عسرا ويفيد سراً وعند الى اكتساب مكارم الاخلاق جسراً فن ارتدى بجلبابها واهتدى بأسبابها واقتدى بأربابها ففتح معرفتها وأفرح ملهوها وكشف مخوفها وصرف عن أبناء جنسه ختوها فقد أسجل له حاكم فعله بشرف أصله وأدخله المعروف في زمرة أهله وفضله التوفيق على غيره لما آتاه الله من فضله ولا بد لمن احب الارتداء برداء السعداء والاقتراء بما اعتمدوه من الاسداء والاهتداء بنور أفعالهم في الاعادة والابداء من أن يقع لهم على وقائع كرائم اعتمدوها وصنائع معروف رقدوها وطرائق خسيرات قصدوها وحقائق مروآت وجسدوها ومن نظموها في قلائد الاعناق وقلندوها واحسان استرقوا به رقاب الاحرار فاستعبدوها فانه يقال من نسج على منوال رآه فقد أصاب ومن ابتغى قصد منال خذله فخاب وهذه نكت صنائع التي القدر الاستدلال بها في هذا الباب وصور وقائع برزت من حجابها ليدكرها اولو الالباب

﴿غريبة عن واقعة يزيد بن المهلب﴾

(فنها) واقعة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة فان المجابح اخذه وعذبه وقصده

واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تطفه ودخل فيما جعله الله نجاة
من تطفه وأرغب السجن وتحدث عليه واستماله اليه وهرب هو والسجان وقصد
الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة ذلك الوقت الوليد بن عبد
الملك قلسا وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه
عنده فكتب المحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وهو عند سليمان بن
عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وأمير المؤمنين أشمل رأيا فكتب
الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يا أمير المؤمنين انى انما
أجرت يزيد بن المهلب لانه هو وأبوه وأخوته من صنائعنا قد عيا وحديثا ولم أجروا
لامير المؤمنين وقد كان المحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف درهم
طلسا ثم طالبه بعد ما بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار هذا الرجل الى مستحبرا
فأجرتة وأنا أغرم عنه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزنى
فى ضيقى فعل منعهما فكتب اليه الوليد انه لا بد أن تنفذ الى يزيد مقيدا مغلولا فلما
ورد ذلك على سليمان بن عبد الملك أحضر ولده أيوب فقيدته ودعا يزيد فقيدته ثم شد
قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلها جميعا بغلن وجلهما الى الوليد وكتب اليه
أما بعد يا أمير المؤمنين فانى قد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد
هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبأن الله عليك ابدا
بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد
ابن المهلب وأيوب بن سليمان عليه فى سلسلة واحدة أطرق واستحميا وقال لقد آسأنا
الى سليمان اذ بلغنا به هذا المبلغ فأراد يزيد ليتكلم ويخرج عن نفسه فقال له الوليد
ما تحتاج الى كلام فقد قبأنا عذرك وعلمنا ظلم المحجاج ثم أحضر حدادا وأزال عنهما
الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب بن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن
المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى المحجاج يقول له
لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فانك أن تعاودنى فيه بعد اليوم فصار يزيد الى
سليمان بن عبد الملك بن مروان فى أعلى المراتب وأفضل المنازل ويتظم فى سلك هذه
الواقعة ويقرب منها واقعة الكوفة مع معن بن زائدة

﴿الطيفة وهى واقعة الكوفة مع معن بن زائدة﴾

وتلخيص معناها ان الخليفة المهدي بلغه عن انسان من أهل الكوفة انه سعى فى

فساد دولته فأهدر دمه وجعل لمن دل عليه أو جاء به مالا جزيلاً وأقام الرجل مدة متوار بالانظر عذابة الهلاك فلما طالت الأيام عليه ظهر يوم ما بعد فبينما هو عشي في بعض نواحيها بصر به رجل من أهل الكوفة فسرقة فأنفذ بمجامع ثوبه وقال هذه بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحال إذ سمع وقع الخوافر من وراءه فالتفت فإذا من بن زائدة فقال يا أبا الوليد أخرجني أجازك الله فوقف وقال للرجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين فإنه أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مالا جزيلاً فقال من غلبته انزل عن دابتك واجل الرجل عليه فاصاح الرجل به بالناس أجمعين وبين طلبه أمير المؤمنين فقال من أذهب وخبره أنه عندي فأنطلق الرجل إلى باب دار المهدي وأخبر الحاجب فأخبر المهدي فأمر بأحضار من فأتته الرسل فأحضروا أهل بيته وقال لا تخلص إلى هذا الرجل وفيكم عين تطرف ثم ركب وسار إلى المهدي فدخل عليه وسلم فرت سلامه وقال يا من أختبر على قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدي ونعم واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين قتلت في اليمن في يوم واحد في طاعتكم خمسة عشر ألفاً إلى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن عنائي فسار يتقوى أهلاً لأن يوهب لي رجل واحد استجارني فأطرق المهدي طويلاً ثم رفع رأسه وقد سري عنه وقال قد أسرنا من أجرت ووهبناه لك فعمال معن إن رأي أمير المؤمنين أن يصله فكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا به بخمسين ألف درهم قال فبأمر أمير المؤمنين بتجهيزها فأمر بذلك فأحضرت فأنصرف معن إلى الرجل بالسؤال وأضاف من عنده كسوات ودفع الجميع إليه وقال خذ هذا والحق بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى

بغربة ومن غرائب هذا المطلوب وعجائب هذا الأسلوب

ما أورده محمد بن القاسم الأنباري رحمه الله تعالى أن سواراً صاحب رجة سوار وهو من المشهورين قال أنصرفت يوماً من دار المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية لي أحادتها وأشتغل بها فلم تطب نفسي ودخلت وقت الغداة فلم يأخذني نوم فنهضت وأمرت ببيغلة لي فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألقا درهم جديتها من مستهلك الجديدي قلت أمسكها معك واتبعني قال غلبت رأس البغلة حتى عسرت الجسم ثم عبرت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الجبراء

ثم رجعت الى باب الانبار فانتهيت الى باب دار لطيف عليه شجرة وعسى الباب
خادم فوقفت وقد عطشت فقلت للخادم عندك ماء تسقيني قال نعم وقام فأخرج
قلعة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت
مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعشى يتلمس فقلت ما تريد
يا هذا قال اياك أريد قلت وما حاجتك فجاء حتى قعد الى وقال شمت منك رائحة
طيبة فظننت انك من أهل النعم فأردت أن ألقى اليك شيئا فقلت قل قال ترى باب
هذا الغصن قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه
فزال عن النعم التي كان فيها وبعثت فقدمت هذه المدينة فأبنت صاحب هذه الدار
لا سأله شيئا يرضى به وأستوصل به الى سوارفانه كان صديقا لابي قلت ومن أبوك
قال فلان بن فلان قال فاذا هو أصدق الناس كان لي فقلت له يا هذا فان الله
تعالى قد أتاك بسوارفانه النوم والطعام والقرار حتى جاءه فأقعد به بين يديك
ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان غد فصر الى
منزلي ثم مضيت فقلت ما أحدث أمير المؤمنين المهدي بشيء أطرف من هذا فأدبته
فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه قد نسي فأعجبه فأمر لي بألف دينار وقال
ادفعها الى الأعشى فنهضت فقال اجلس أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت
خمسون ألف درهم فأمسك وجعل يحادثني ساعة وقال امض الى منزلك واذا بخدم
معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض به سدينك قال فتمضيت ذلك
منه فلما كان من الغد أباطعني الأعشى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته
فقال فذكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القروض أيضا
ثم أمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى قال فتمضيتها ثم أنصرفت فجاءني الأعشى
فدفعته اليه الالذين وقلت له قد وزق الله تعالى بكرمه وحسن معاملته باسداء
المعروف اليك يا ضعاف ذلك ثم أعطيته شيئا آخر من مالي وجهزته وانصرف

ثم تولى ابنه الخلافة فقربه اليه

ومما ياتى مع هذه القصة ويشفعها ويثبتها وثبها قضية عبد الله بن مالك
قال كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي وكان يبعث الى قندماء ولده الهادي
أن أضربهم وأجلسهم صيانة للهادي عنهم فيبعث الى الهادي يسألني الرفق بهم
والتحفيف في أمرهم فلا أنتفت الى ذلك وأمضى لما يأمر به المهدي فلما تولى

الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعثت إلى توما فحضرت ودخلت عليه
متحفظا متحفظا وإذا هو جالس على كرسي والنطع والسيف بين يديه فسلمت
عليه فقال لا سلم الله عليك تذكروا بعثت إليك في أمر الجزاء لما أمر أمير المؤمنين
بضربه فلم تجيبي وفي فلان وفلان وجعل يمد يده فمد يده فلم تلمسه إلى قولي قالت نعم
يا أمير المؤمنين أفأذن أن أتسكلم قال نعم قلت أنشدك الله يا أمير المؤمنين أيسرك
أنك وليتني ما ولا في أبوك وأمرتني بأمر فبعثت إلى بعض ولدك بأمر يخالف أمرك
فاتبعت أمره وعصيت أمرك قال لا قالت فكذلك أنا لك وكذلك كنت لا إليك
فاستدنا في فقبلت يده فأمر بخلع أبيضت علي ونجست من عنده وصبرت إلى
منزلي مفكرا في أمره وأمرى وقت في أمرى يحدث الغوم بالامر الذي عصيته
فيه وهم يندموا ووزراؤه وكتابه فكأن في بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه
عن رأيه في وجاوه في أمرى على ما كنت أنتخوفه قال فاني جالس وبين يدي خبز
من رقائق مشطوب بكافح وأنا أسهجه وأطعمه الصبية حتى تروى من الدنيا قد
انسلت وزلزلت من شدة وقع حوافر الخيل والدواب وكثرة الضوضاء فقلت ها والله
قد جاء الامر وإذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وأمر المؤمنين الهادي
في وسطهم فلما رأيتهم وثبت من مجاسي مبادرا فقبلت يده ورجله وحافرجساره
فقال لي يا عبد الله اني فكبرت في أمرك بعد انصرافك فقلت يسبق إلى قلبك
اني اذا جئت وحولي أعداؤك الذين أسأت إليهم أنهم يزبون ما حسن في رأيي
فيك فأقلبك ذلك وأوحشك ومنعتك القرار فصررت إلى منزلك لا وأنسك وأعلمك
ان الوحشة قد زالت عن قاي فهات فأطعمني مما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت
تفعل حتى تعلم ان الوحشة قد زالت وقد تحورت بطعامك وأنت بمنزلك فلا
استوحش ليزول خوفك ووحشتك فأدبنت منه ذلك الرقاق والسكرجة التي فيها
السكرج نأكل ثم قال ها توما أحضرتموه لعبد الله من مجاسي فأدخلت به سال كثيرة
موقورة راهم وأطعمته وقال هذه لك فاستغن بها وهذه البغال أيضا وقد وليت
ما صكان ولالك اياه والدي المهدي ثم انصرف فوجدت من النعيم والخيرات
والدراهم والملابس ما لا حصل لي في طول مدة خدمتي المهدي وصبرت بعد ذلك أعد
نفسى من صنعه

(وغريه)

وعما هو أوضح حسنا وأرجح معنى ما قاله القاضي يحيى بن أكرم قال دخلت يوما على

الخليفة الرشيد ولد المهدى وهو طريق مفكر فقال أتعرف قائل هذا البيت
الخبر أبقى وإن طال الزمان به * والشرأخيت مأوعت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين إن لهذا البيت شأن مع عبيد بن الأبرص فقال علي بن عبيد
فلما حضر بين يديه قال أخبرني عن قصة هذا البيت قال كنت يا أمير المؤمنين
في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت بصيحة عظيمة
في القافلة أتحتها أولها أنا ثم هاهنا أتت عن القصة فقال رجل من القوم لي تقدم
تري ما بالناس فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع أسود فاعرفه كالجذع
يخور كخوار الثور ويرغو كغواء الأبل فها أنا في أمره وبقية لا اهتدي إلى ما عمل
في أمره فعدلنا عن الطريق في ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فقلت إنه ليس
ولم يجسر أحد من القوم يقربه وأدركني بسهم ناعنه ولم يعد فيه فقلت في نفسي
أفدى هذا العالم بنفسي أتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا
فأخذت قربة من الماء فتناولتها وسالت سفي وتقدمت فلما رأيت قربت منه
سكن وأنا متوقع منه وثبته تردد في فيها فلما رأى القربة من الماء فقع فاه فقلت
فهم القربة في فيه وصبت الماء كما يصب في إناء فلما فرغت القربة تسبب
في المل ومضى فحجبت من تعرضه لنا وانصرف عنا من غير سوء لمقتنا منه
ومضنا نحنا وعدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلة تلك في ليلة مظلمة مدهمة
فأخذت سطيحة من ماء وعدلت عن الطريق ناحية فقضيت حاجتي وفرغت من
صلاحي وجلست مكاني والقافلة على حالها فأخذتني عيني فمتمت مكاني فلما
استيقظت من النوم لم أجد القافلة حسا وقد ارتحوا و بقيت منفردا فلما لم أرا أحدا
ولم أهتم إلى ما عمل أخذتني حيرة و بقيت أضطرب وإذا بصوت هاتفي يقول
ولم أر شخصا

يا أيها الشخص المفضل مركبه * دونك هذا البكر من أركبه

وبكره الميمون أيضا فاجنبه * حتى إذا الليل أزال غيبه

فطاعته رجلاه وسيله

فانظرت فإذا أنا ببكر قائم عندي وبكرى إلى جانبه فأفقتنه وركبت فلما سرت
قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة واقفيرا الفجر ووقف البكر فقلت إنه قد حان
نزولي فمضت إلى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن فيافي تضل المدح الهادي
 ألا تخبرنا بالله خالقنا * من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
 وارجع جيداً فقد بلغت ما أمنا * بورك من ذي سنام راجح غادي
 فالتفت الى البكر وسمعت منه الصوت يقول
 انا الشجاع الذي أغيتني رمضا * والله يكشف ضرب الحشاثر الصادي
 فبدت بالماء لما ضنّ حامله * تكرر ما منك لم تمن بانه كادي
 فالحجر أبقي وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
 هذا جواؤك مني لا آمن به * فاذهب جيداً رعاك الخالق الهادي
 فحجب الرشيد من قوله وأمر بالقضية والايات فكنت عنه وقال لا يصيح المعروف
 أين وضع

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

في كلمات من الحكم مرقومة ببراءة الفصاحة وشارات من السكام المنظومة من
 براءة الملاحسة (منها) ليس من عادة السكرام اسراع الانتقام فلا تأخذ بالقيمة
 ولا تفتقم مع القدرة ولا ترهّد في العفو وارحم من دونك يرجحك من فوقك
 (ومنها) أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأحق الناس بالاحسان من
 أحسن الله اليه (ومنها) من أحب أن يعفو الله عن سيئاته ويتجاوز عنه فليعف عن
 هفوات المذنبين ويتجاوز عن سيئاتهم ما لم يكن فيه اسقاط حد من حدود الاسلام
 ويجاوز الى الوقوع في حى الحرام (ومنها) الانتقام من المذنب عدل والعفو عنه
 فضل ومحل الفضل أعلى والتحل به أولى وذو الهمة العلية والنفس الزكية يرغب
 في المحن الوافر والنصيب الاوفر (ومنها) اصطناع المعروف يقي مصارع السوء ويرزق
 المحبة في القلوب ويكتب الشكر على الالسة وينشر حسن السمعة في الدنيا
 ويستميل الناس الى مدح فاعله عند استغاثته عنهم والى تلبية دعائه واجابة ندائه
 عند استغاثته بهم والى الاخذ بيده ان أحوجته حوادث الايام اليهم ويورث جليل
 الاجر ويخلد جليل الذكر

﴿الباب العاشر في مدح الصدق وذم الكذب﴾

مراتب المزايا في مقام التفضيل بمقدار آثارها ومناقب السجيا عند ذوي
 التحصيل بتفاوت مقدارها ومواهب العطايا بين أهل الرغبات تختلف باقدارها

ومطالب القضاء عند ظلم الشبهات تعرف بأوارها ولما كان الصدق من أجل
الزبايا وكل الشبهات وأشرف السطاي وأتم القضايا وأنه من أعل الأوصاف
محلا وأعظمها منزلة وأحسنها سمعة وأنفعها أثرا ووجهه صاخر الأبيض ووجهه
الاطول لأجرم كره الله تعالى ذكر الصدق ومنعه في موامع من كذبه وأثنى على من
اعتقه وأثنى به فقال جل وعلا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وقال تعالى الصابرين والهادقين وقال تعالى مع الذين أتم الله عليهم من النبيين
والصدّيقين والشهداء وقال تعالى ليحزني الله الصادقين يصدقهم وقال تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون والآيات في هذا الباب كثيرة
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر
يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له أجر وإن الرجل يكذب حتى يكتب
بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل
يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب له أجر وإن الرجل يكذب حتى يكتب له عقاب
القرآن الكريم في حكم آياته والحديث النبوي على ألسنة رواته بما يشهد به
الكذب ما لا يردونه وأما الآيات فإنه معذور في حق ما شره من أوزاره وسيئاته ويكفي
في ذلك قول الله سبحانه وتعالى انما يقترى الكاذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
وأولئك هم الكاذبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الكاذب يهدي
إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب له أجر
كذابا وقال صفيان بن سليم قلنا يا رسول الله أيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل
أيكون كذابا قال لا

﴿ومما فيه زيادة استبصار وإفادة اعتبار﴾

أنه كم من سبب دمار وعطب وويل وأتلاف من ذى اقتدار وأشرف على جرف هار
عارضه الصدق نأبأ بحكمه ومقتضاه وأبى أن يروى عنه فاه وزجر صاحبه
عن التلذذ ونجاء وألبسه لباس سلامة وسعادة وكساء

﴿حكاية الغار﴾

وفي القصص التي جمعت القيمة بين مدتها وإسنادها وأجعت أئمة العلم على نقلها
وأبرادها ما فيه غناء عن كثرة الوقائع وتعدادها ولا يحصى من مقدمات
استدلها واستشهدها (فمنها) واقعة أصحاب الغار والقصص معناه

وذكر ما أسندته إليهم بالصدق من حسناتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر من كان قبلكم يمشون إذا أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم الغار فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل واحد منكم بما يعلم أنه صدق الله فيه فقال أحدهم اللهم إنه كان لي أبوان شحان كبيران وكنت لأعقب قبليهما أهلاً وتأتيت مرة فلم أرح عليهما حتى ناما فلبت لهما ما غبوقهما فوجدتهما نائمين فذكرت أن أعقب قبليهما أهلاً وما لفلئت والفتدح على يدي أرقب استيقاظهما حتى أشرق الفجر والصبي يتضاوون عند قدحي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه العجرة فأنفرت شيأ لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا نواللهم كانت لي ابنة عم أحب الناس إلي راودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا يحمل لك أن تفن الخاتم الابحثة فتخرجت من الوقوع عليها فأنصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت لها الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فأنفرت عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم اني استأجرت أجراً فأعطيتهم أحرمهم غير واحد منهم ترك الذي له وذهب ففقرت أجرته حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أذني أجرتي فقلت كل ما ترى من الأبل والبقر والغنم والرقيق من أجرتك فقال يا عبد الله تسهزئي فقلت اني لأستهزئي بك فخذه فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فأنفرت العجرة وخرجوا يمضون

﴿ نفيسة قضية الثلاث الذين تخلفوا في غزوة تبوك ﴾

ومنها قضية الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتخصيص معناها أن كعب بن مالك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزاة بدر في غزاة غزاه حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزاة غزاه وأذن النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالرحيل لمتأهبوا أهبة هزوههم وذلك حين طاب السلال وطابت الفار وكان صلى الله عليه وسلم قلماً أواد غزوة الأورى بغيرها

ويقول

ويقول الحرب مدعة فأراد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أن يتأهب الناس
أهبتهم وأنا أسر ما كنت قد جعت راحلتين وأنا أقدر شيئا في نفسي على الجهاد وخفة
المحاذ وأنا في ذلك أضغو إلى الظلال وطيب المشار فلم أزل كذلك حتى قام النبي
صلى الله عليه وسلم غاديا بالغداة وكان يوم الخميس وكان يجب أن يخرج يوم
الخميس فأصبح غاديا قلت أنطلق غدا إلى السوق فأشترى جهازا ثم ألحق بهم
فانطلقت إلى السوق من الغد فسر على بعض شأني فرجعت فقلت غدا إن شاء الله
أرجع وألحق بهم فسر على بعض شأني أيضا فلم أزل كذلك حتى التبس لي
الذنب وتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت أمشي في الأسواق
وأطوف بالمدينة فيحزنني أن لا أرى بالمدينة أحدا من الأرحل مغمصا عليه في
المنفاق وكان ليس أحد يتخلف إلا رأى أن ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا
لا يحجمهم ديوان وكان جميع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا
وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال ما فعل
كعب بن مالك قال رجل من قومي يا رسول الله خلفه برداء والنظر في عطفه
فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيرا فبينما هم
كذلك إذا برجل يزول به السراب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كن أباحيمة
فاذا هو أباحيمة فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ودنا من المدينة
جعلت اتدكر بماذا أخرج من سخط النبي صلى الله عليه وسلم وأستعين على ذلك
بكل ذي رأي من أهلي حتى قيل هذا النبي صلى الله عليه وسلم مصبحكم بالغداة راح
عني الباطل وعرفت أنني لا أنجو إلا بالصدق ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحى فصلى في المسجد ركعتين ثم جلس فجعل يأتيه كل من تخلف فيجلفون له
ويعتذرون إليه فيستغفرونهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى
فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رأني تبسم تبسم المغضب فبئت بفلسيت بين
يديه فقال لي ألم تكن ابتعت ظهرا فتعلمت بلي يا رسول الله قال فاستخلفك قلت
والله لو بين يدي أحد جالست لمخرجت من سخطه على بعذر لقد أوتيت جندلا
ولكنني قد علمت يا نبي الله أن أخبرتك اليوم بقول تجب علي فيه وهو حق فاني
أرجو فيه عفو الله وإن حدثت لك اليوم حديثا ترضي عني فيه وهو كذب أو شك الله
أن يطاعك علي والله ما كنت أسر ولا أخف حاذمني حين تخلفت فقال أما هذا

فقد صدقكم الحديث قم عني حتى يقضي الله فيك فقامت فصار على أثرى ناس من
قوى يؤمنوني فقالوا والله ما نعلمك أذنت ذبا قبل هذا ولا اعتدلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد يرضى عنك فيه وكان استغفار رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبأني من وراء ذنبي ولا تقف نفسك موقفا لا تدري ماذا يقضي لك فيه فلم
يزالوا يؤمنوني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي قلت هل قال هذا القول
أحد غيري قالوا نعم قاله هلال بن أمية ومرة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين
شبهنا بهما فقلت لي فيهما أسوة فقلت والله لا أرجع إليه أبدا في هذا القول
ولا أكذب نفسي ونبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أياها الثلاثة ولم يبه
عن كلام أحد من المخالفين غيرنا فاجتذب الناس كلامنا ولبثت كذلك حتى طال
عليّ الأمر وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي عليّ رسول الله صلى الله
عليه وسلم أيعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة
ولا يكافئ أحد منهم ولا يصلي عليّ قال ففعلت أخرج إلى السوق فلا يكافئني أحد
وتكلم لنا الناس حتى هم بالذي نعرف وتنكرت لنا الجحيطان حتى ما هي بالجحيطان
التي نعرف وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف فكنت أقوى
أخصائي وكنت أخرج فأطوف في الأسواق وآتي إلى المسجد فأدخل وآتي النبي
صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه فأقول هل حركت شفتيه بالسلام فإذا قلت أصلي إلى
جنب سارية تلجأ إليّ ثم يخرج عني فإذا نظرت إليه أعرض عني واستسكان صاحبي
فلا يمكن الليل والنهار لا يطلعنا رؤسهما قال فبينما أنا أطوف في السوق إذا رجل
نصراني جاء بطعام له يبيعه يتول من يدل على كعب بن مالك فظفقت الناس يشيرون
إليّ فأنا في بحيفة من ملك غسان فإذا فيها أبا بعد فانه يلقي أن صاحبه قد جفاك
وأقصاك ولست بدار مضجعة ولا هو ان فالحق بنا تواسك فقلت هذا أيضا من البلاء
فسمعت النور وأحرقها فلما مضت أربوبون ليلة إذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتاني فقال اعزل امرأتك قلت أطنقها قال لا ولكن لا تقر بها فجاءت
امرأة هلال بن أمية فقالت يا نبي الله ان هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي ان
أخدمه قال نعم ولكن لا يقرينك فذالت يا نبي الله والله ما به حركة شيء مما زال مكان
بيكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال عليّ البلاء اقتضت
عليّ أبي قتادة حائضه وهو ابن كى فسلمت عليه فلم يرد عليّ فقلت أنشدك الله يا أبا

قادة أعلم أني أحب الله ورسوله فبكيت حتى قالت ثلاثا قال الله ورسوله أعلم فلم أملك
نفسى أن بكيت ثم أفتحه من الحائط فخرجت مضت خمسون ليلة من حين نسي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل منافذ على ظهر بيتنا صلاة الفجر ثم
جاست وأنا بالمنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت
وضاقت علينا أنفسنا اذ سمعنا نداء من ذروة ساج أن أشر يا كعب بن مالك فحررت
ساجدا فعلمت أن الله قد جاء بالفرج ثم جاء رجل على فرس له ركض يبشرني فكان
الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبى بشارة ولبست ثوبى آخرى قال وكانت
توبتي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الليل فقلت أم سلمة يا رسول الله
الأنبشركعب بن مالك قال اذا خطبكم الناس ويمنعوك النوم سائر الليلة وكانت أم
سلمة محسنة في شأني فحزن لحزني فاطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو مستنير كاستنارة القمر وكان اذا سرت
بالأمر استنار فجئت فجلست بين يديه فقبال أشر يا كعب بن مالك بخير يوم أنى
عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك قال بل من عند
الله ثم تلى عليهم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقوله وعلى
الثلاثة الذين خلفوا الى قوله وكونوا مع الصادقين قال كعب وفيما نزلت يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فقلت يا رسول الله ان من توبتي أن
لا أحدث الا صدقا وأن أخلع من مالى صدقة لله عز وجل ورسوله فقبال أمسك
عليك بعض مالك فانه خير لك قالت فامسك سهمي الذي بخير قال فما أنعم الله على
نعمته بعد الاسلام أعظم في نفسى من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
صدقته أنا وصاحباي وأن لا يكون كذبا فهلكا كما هلك ذيرنا وانى لارجو أن
لا يكون الله أبلى أحدا في الصدق مثل الذى أبلى ما تعمدت الكذب بعد وانى
لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى فلو لم يكن للصدق ثمرة سوى النجاة من المكره
لكانت له شرفا فكيف وفيه من الفوائد ما تقدم ذكره في أول الباب وحسبه ذلك
وكفى بما أعظم بركته وأعمها وأكل النعمة بدوأتها ولهذا يقال من صدق نجا
ووجد من التهلكة فرجا وأدرك به سائلا ورجا وجعل الله له بركته من كل
ضيق مخرجا

زيادة وإفادة في ضرر الكذب

كما أن الصدق مجلبة لجميع كل طاب ومرتبة ذيل مقترعها رغوب كل ارب وهو

على التحقيق الى كل خير أقرب سبب فكذلك الكذب يفضي بصاحبه الى كل
 دمار وعذاب ويسود وجهه في المناجاة ويرده في الاجلة شر مود ومقلب وفي
 القضية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهود لها بالهبة اجاعا المسعود
 بهامن رزق يقطعوا نفعها المقصود منها معرفة متاوة الكاذب وسعادة الصادق
 عيانا وبمعاش ما يقوم بالقصد الاقصى في ذلك ويشير اليه ويقسم للصدق زيادة
 ولك الكذب نقصا ويسجل عليه

في كناية عن قضية الاقرع والابرس والاعمى وهي تشتغل على ضرر الكاذب
 وهي قضية الاقرع والابرس والاعمى وصورتها على ما ورد بها لفظ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان ثلاثة من بني اسرائيل ابرص واقرع واعمى اراد الله أن يتلهم
 فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال أي شيء أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن
 ويذهب عني الذي قد رثي الناس فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا
 وجلدا حسنا قال فأى المال أحب اليك قال الابل فأعطى ناقة عشرةاه فقال بارك
 الله لك فيها قال فأى الاقرع فقال أي شيء أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عني
 الذي قد رثي الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا قال فأى
 المال أحب اليك قال البقر فأعطى بقرة عاملا وقال بارك الله لك فيها قال فأى
 الاعمى وقال أي شيء أحب اليه قال أن يرده الله على بصري فأبصر به الناس قال
 فمسحه فرد الله اليه بصره قال فأى المال أحب اليك قال الغنم فأعطى شاة والدا
 فأصبح هؤلاء فكان لهذا وادمن الابل ولهذا وادمن البقر ولهذا وادمن الغنم قال
 ثم أتاه يعني الملك أتى الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي
 الحبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد
 الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري قال المتعوق في المال كثيرة فقال له كأنني
 أعرفك ألم تكن أبرصا يزورك الناس فقيرا فأعناك الله فقال أنما ورت هذا
 المال كابر اعن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال وأنى
 الاقوع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال ان
 كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال وأنى الاعمى في صورته وهيئته فقال
 رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله
 ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتباع بها في سفري قال قد كنت أعمى

فرد الله بحسرى نخل ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشئ أخذته
لله تعالى فقال أملك ما لك فأنما ابتليت فندرضي عنك وسخط على صاحبك
وعادا إلى ما كنا وله هذا يقال من شئت الصدق يحبس على عروس السلامة
ويحتسئ غروس الكرامة ومن شئت الكذب يحبس كؤوس الملامة ويكتفى
لبوس الندامة

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ في الحكم التي ضلح نشرها وفاح وما ضاع نشرها وطاح
(منها) الصدق ميزان العدل وعنوان المروءة وعلامة الكرم وسجية النفس
المستعدة لاقتناء الفضائل والكذب مكيال الجور ومعدن التأثم وقرين سوء العقيدة
وشاهد على النفس الباغية عليه ما تصافى بالذات (ومنها) لو لم يكن الصدق سببا
للثواب والثناء لتعبن على العاقل فعله لمحسنه ولو لم يكن الكذب سببا للعقاب واللعن
لتعين على العاقل تركه لقيحه فكيف والصدق سبب المرغوب والكذب سبب
المرهوب (ومنها) الصدق عز والسكراب ذل والنفوس الزكية تميل إلى العز وتنفر
عن الذل فلهذا يؤثر الصدق ويحذب السكراب (ومنها) لا مروءة لسكراب ولا
أمانة لغادر كانه لا وفاء للول ولا رياسة للجمهور (ومنها) الصدق لصاحبه سيف فاصل
وحاكم فاصل وعز حاصل وجسم متواصل والكذب لصاحبه لؤم عاجل وعار
شامل وسم قاتل وذم أبجل

﴿القاعدة الثانية في السلطنة والولايات﴾

ومقصود القاعدة يشتمل على ما بين ﴿الباب الاول في السلطنة وما يتعلق به السلطان
من الصفات وما يعتمد عليه لا قامه لوائها الموظفات﴾

﴿الباب الثاني في الولايات التي تدار المملكة عليها وزمام مصالح الدولة يسديها
وبيان طبقاتها التي مرجع أمورها اليها﴾

﴿الباب الاول﴾

في السلطنة وصفات من نصبه الله بها ذاك حكره وأعلى قدره على
رؤس العباد وقدمه في السلطنة سر من أسرار الربوبية يناد بها العباد ويحفظ بها
البلاد ويقطع بها العناد ويجمع بها المراد من جيد المزايا وشرف المنجيات بما
أدناه حراسة الرعايا وسياسة البرايا وقدامت الله تعالى على كل شيء موسى حين
استضعف نفسه عن أداء رسالة ربه وخشي اعتراض متسدورات معجزة عن تبليغ
رسالته وكبه وخاف أن لا ينرض منفردا بثقل ما أمره الله تعالى به فسأل الله جل

وعلا سعادته في ذلك بأنخيه هارون فقال وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله
معي ردنا يصدقني أني أخاف أن يكذبون فأجابه إلى مسئلة وأجابه من شجرة رسوله
ثم رسله ومعه سلطنة يتصر عن تأميل ادراكها الطالبون ولا يتدبر على منالها
بجدهم واجتهادهم الراغبون فقال تعالى شد عضدك بأخيك وتجعل لك
سلطانا فلا يصاون اليك بآياتنا أنتم ومن اتبعكم الغالون فالسلطان في الحقيقة
قائم برعاية عباد الله وحماية بلاد الله وحراسة دين الله وإقامة حدود الله وحفظ
أحكام الله فدارتضاه الله من خلقه وأمرهم بطاعته ورسوله في السر والجهر
والمعنى بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر هو بالاتفاق ظل
الله في أرضه وبه تنقام شعائر الله وفرضه وعلى الجملة فشرف السلطنة جسيم
وقدرها عظيم ومحلها كريم ونفعها عظيم ومن أراد كشف الحجاب عن بصر
بصيرته ليدرك فضلها ويعلم نيلها ويستوضح سبلها ويكون أحق بمعرفتها وأهلها
فليستظر إلى آثار السلطنة وثمرتها ويتمرر لوازمها التي بها يستدل على شمول منفعاتها
إذا لا شياء تعرف بأثارها ويستدل بعظم نتائجها على خطر أقدارها وثمره
السلطنة حراسة البلاد وسلامة النفوس وحفظ الأموال وإدارة الأرواق وإقامة
المناسك ونشر العلم وإظهار الدين وذلك بجمع الظلمة وردع البغاة ومنع المتعدين
والانتقام من المفسدين فتأمين السبل وتوفير الدواعي على مصالح الدين والدنيا
فأى منقبة أنفع وأفضل وأى مزية أرفع وأكمل وأى مرتبة أجعل للزاياء أشمل
من حاله بها انتظام مصالح الدنيا وهي قوام الآخرة والأولى فإنه عند التحقيق
لولا السلطنة لاسفرت طائع على إرادة طاعته ولا خاشع على إقامة عبادته ولا زارع
على القيام بزراعته ولا مباحض على استنجاح بضاعته ولا صانع على اجتماع ثمره
صناعته ولا رافع في رياض الجنة بملاوة الذكر على تحصينه ودراسته ولا قاطع
مفاوز الفلوات لبلوغ مطالبه وحاجته فإنه بتأييد السلطنة ينتج لكل إنسان مقاصد
حركته ويبلغ كل عامل بسعيه غاية أميته ويدرك كل طالب الدنيا من نهايتها مأربه
ويحصل الراغب في طاب العلم على مطلوبه وبشئته فكان السلطان قد عبد الله
تعالى بعبادة كل عابد وشكره بلسان كل شاكر وحامده وإذا كانت هذه فضيلة
وأفاض الله تعالى على السلطان سابع إبداسها ورزقة يانع غراسها وأدركه
أخلاق نعمها بإبداسها واصطفاه لهذه النعمة والموهبة فرضى به لإلمة وأجاسها

فيدير به أن يقابل هذه المنحة من الله تعالى بأقامته طائرها في موافقها ويحل
نفسه النفيسة من الاستطاع بصفات عوارفها ويعلم أن الله تعالى قد فرض
عليه أمورا لا بد من القيام بوظائفها من عقيدة صالحة تسور وطريقه صالحة
مهديه وسيرة جيدة مرضية وأخلاق طاهرة مرضية وأعمال صالحة مذكاة
وهذه موفقة عليه وقد استقصينا تفاصيل الانحلال والخلال المرغوبة المستحسنة
والشيم المستحقة المستحقة وشرحنا ما يتبع كتابه وما يجب اجتنابه وبسطنا
القول في أقسام ذلك في القاعدة الأولى غير أنه لا بد في هذه القاعدة من الإشارة
إلى ما يخص السلطان كان الله له عوننا وعرضا وأقام له من ملائكته المقربين عددا
وسلك به إلى بلوغ كل سعادة وزيادة جدد لا ينقطع أبدا * فأقول إن الله تعالى
خلق الإنسان وجعله على أخلاق قول أن قمم جميعها أوتدتم كلها بل الغالب كون
بعضها محمودا وبعضها مذموم وهذا قيل قديما

وما هذه الأخلاق الا طبائع * فحينئذ محمود وعن مذموم

غير أن من علت همته وانصرفت إلى معالي الأمور عزيمته ورغب في أن يكون
أخلاقه كلها جيدة تعرف بها سمته لا بد له من رياضة تأديبية وتدريب
يلتزم الاذنب حتى تستقيم له أخلاقه طاعة أو بعضها تطيعا ويعلم أن شريف الاعمال
لا تنصرف في نفسه الا بشريف الاخلاق والخلال وقد شبه الله تعالى على ذلك في
القرآن الكريم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم والنا على خالق عظيم فان
النبوة لما كانت أشرف مراتب الخلق نذبت لها من قدر حاز فضائل أشرف
الاخلاق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ولما كانت
السلطنة عالية المنام معدودة من الرتب العظام عضبوطا بها مصالح الانام
مرفوعة القدم على قمم الخساع والسم كان جديرا بمن شربل أوابها وتوق
شرايها وأحرز نصايها أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها ويروضها في أعمالها
ويعلم أنه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة العباد أقدر وقديما قيل لا ينبغي
لذي لب وعقل أن يطمع في طاعة غيره وطاعة نفسه عليه بمصلحة كقيل

أطمع أن يطاعك قاب سعادى * وترغم أن قلبك قد عصا كا

وقد تزين نفس الإنسان له حسن الظن بها فيعتقد أنه متصف بمحاسن الاخلاق
فيعرض عن مراعاتها وينقاد برأى ارضاعها إلى متاعها في شهاواتها فيسقى وشها

لا يعلم في أسر هواه مرتبنا معدودا عن زين له سوء عمله فرآه حسنا فتتوى نفسه عليه حتى تغلب عقله ويلجأ به هواه حتى يستنقذ في شهواته فعله ويكتنفه صوارف غفلاته عن تأمل اصلاح شأنه في نفسه فرعه وأصله فلا يشعرا الا وقد أشرف به الصلف على التلف فأفسد أمره كما هي استظهر على هذه الحالة من مبدأ أمره واعتبر مواقع تزيين النفس الامارة ببصيرة فسكره وحصر أسباب التزيين فقطعها بشباب صبره وقبح قلبه عن اتباع هواه بموجبات زجره وقهر نفسه فانقاذت طوع وعقله في سره وجهه كان خلاقا أن تغلب خلائقه الذاتية جيدة وطرائقه المسائية سيئته ونظراته في تصارييف الحركات والسكنات سديده فلا يجرم تكون عمله كنهه دائمة ومدة ساطتته مديده ولا يدرك هذا الاستظهار بعين اليقين الا اذا أحاط علما بأسباب التزيين فقطعها بجذعه المبين ودفعها بجذذى القوة المتين وهما أنا والآل أن أتبه عليها القرب اجتنابها وأشير اليها ليجنب اقترابها فأولها الكبر وثانيها العجب وثالثها الغرور ورابعها الشح وخامسها الكذب فهذه الاسباب الخمسة هي أم التزيين لكل صفة ذميمة وأصل التحسين لكل خلة قبيحة فاذا أبعدتها النفس عنها وأزالها منها استعدت للاتصاف بشرف الخلال والتخلي بصفات الكمال والارتقاء الى محل الفخار والجلال

السبب الاول في الكبر والتعجب

وهو جالب استخط الله تعالى قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبرا جبارا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بعن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعني شيئا منهما فصدمة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال من تكبر بغير الحق وتعجب على الحق فقد عرض نفسه استخط الله تعالى ونقر عنه قلوب السائلين واستجاب العداوة والبغض منهم وقلبا اتصف ملك بصفة الكبر الاغفلت أحوال ملكه واضطربت قواعده دولته وعيت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقاساته لسهام أعدائه

السبب الثاني العجب

وهو من المهلكات قال الله جل وعلا ويوم نحين اذ أعجبتكم كثرتم فلم تعن عنكم شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وانجاب المرء بنفسه
والعجب غير الكبر فلا تعتقد انهما شيء واحد بل هما مختلفان ينشأان من سببين
مختلفين فالعجب والتعجب عثرة عظم المنزل وعلة المسكنة ونقطة الامر وقلة رؤية الامثال
والاكفاء والعجب ثمرة اعتقاد رجحان الصفات النفسانية فلا يتوهم أن لغيره كمالا
مثل كماله ولا أن لنفسه احتياجا الى أحد من الناس ولهذا يقال من استهواه العجب
حتى نظرت في عطفه واحتمل في برديه ولم ير لغيره فضلا عليه فقد اكتسب ما فوق المقت
اليه واحتجب ما يورثه عند امة يوم يعرض الظالم على يديه

السبب الثالث الغرور

وهو مظل بصاحبه على العطب سائق له الى ورطات هلاك ذات شعوب وهو أن يرى
الاحوال في مبادئها منتظمة في سلك السداد والامور في أوائلها جارية على وفق
المراد والاوقات ساكنة عن هبوب عواصف البغي والعناد والاختلافات الشاغلة
قد نزلت بساحات الاعداء والاضداد فيظن أن هذه حالة واجبة الاطراد لازمة
الاستمرار بلا انقطاع ولا نقاد فيفترب بذلك فيحمل التأهب ويغفل عن الاستعداد
فتفاجئه حوادث الخلل وتباعه نوازل الزلل فتسد عنه أبواب الصلاح وتفتح
عليه أبواب الفساد وأعظم مواد هذا السبب نفاق المسادحين ومدح المنافقين
وتلقى المتقربين وتكبر الممثلين الذين اتخذوا الكذب والنفاق وسيلة وجعلوا
المسكروا الخداع في ذلك أحبولة وخيلة فتى وجدوا لنفاقهم نفاقا وسوقا ولكيدهم
قبولا وتصديقا نصبوه سُلما الى مرامهم وأقاموا المغتر بهم غرضا لسهامهم وقد
عد عظماء الفضلاء هذا النوع في الاعتبار من أقوى الاسباب وخشوا كابر الملوكة
على التيقظ له عند الاسباب فيه والاياناب ونهوا على الاحتراس منه والتجنب عنه
أرباب الالباب فان أقل ما فيه رواج الاستسحار والاستهزاء ونفاق الكذب
والارتياب ولهذا المعنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم باهانة مبشره فقال احثوا
في وجه المسادحين التراب

السبب الرابع الشح

وهو من الاسباب التي صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بكونها مهلكة ويكفي في
ذمه ان الفلاح مقرون بالسلامة منه والتوق عنه على ما قاله سبحانه ونعالى في محكم
القرآن ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويقال الشح شح عدو نفسه ومتمهم

لربه ومن قبض عن صديقه ومنتهى في حياته ومن كذب في عيشه وشقى في دنياه
وأخرته فهو مطرود عن مقامات الكرام ومعسود من سيئات الانام مقصود
بإسهام اللام بين الانام لا يسود أبدا ولا يبلغ وطرا لا مقصدا

السبب الخامس للكذب

ويكفي في ذمه أنه بجانب الإيمان ويسلب خصوصية الانسان فان النطق هو
الفاصل بينه وبين أنواع سائر الحيوان والنطق الفاصل وان كان بالقوة لكن
آلتها غير بها فمما في الضعائر المتوصل بها عند الخطاب الى اظهار ما في السرائر
هو اللسان فاذا استعمله صاحبه في الكذب فتقرب البعيد وبعد القريب وغير
الاشياء عن مقاماتها وأخبر بالامور على خلاف ما هي عليه وأبرز الباطل في صورة
الحق وكما الحال لياس الضيق وأبدل شراب الطمان سرابا وأبدى للستر شين
اختلاتا وكذا فقد سقط الوثوق به فلا يبقى لما يصدق عنه أثر من المطلوب فتبطل
خاصيته ويضمحل من النطق عمرته فيلحق حقيقة الكاذب بالحمار والكذب
والخنزير بل يكون أسوأ حالا فانه كم من كذب أراق دما ولهذا يقال الكذب
يسلب صاحبه صفة الفلاح ويلبسه جلباب الافتخار ويجعل ذراعيه لغما مشورا
ولو تاملها الجوهري في معط الفخار «فهذه الاشياء الخمسة يتعين على كل ذي فطنة
وتبلي ودراية وعقل لا سيما من له نفس شريفة وممة عليه وتطلع الى معالي
الامور أن يصون شرف نفسه وعقله وحسن سمته عن شئ من
هذه الاسباب التي هي أم النقائص وينبوع الزدائل فتم يتطرق تزيين الافتخار
وتحسين القبايح فانه قل من كانت فيه الاختلات أحوال ملكه واضطربت
قواعد دولته ونفرت عنه قلوب أتباعه وعجت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقائله
إسهام أعدائه ومالت عنه خواطرناصريه واتسعت فيه ألسن الطاعنين لسعة
محال المقل وسقط وقعته من نفوس رعاياه وزال الوثوق بوعدده والخوف من
وعيده فواجب على السلطان أن يحمي نفسه الشريفة عن أن يتطرق اليها شئ
من هذه النقائص كما يحرس مزاجه الكريم عن مولدات عوارض الامراض واذا
جساه من ذلك فتعين أن يتجلى بما يزداد به مهابة ووقارا ويكسبه عظمة
ونخارا ويعلى له في العالم شأن ومنازا ويبقى له على الأبد كراؤا نارا وهأنأنا به
على شئ منه تفديها اعتمده في اقتصارا واختصارا فعليه أن لا يسارع الى اتباع

الشهوات وأن تثبت عند اعتراض الشبهات وأن يجانب سرعة الحركات وخفة
الاشارات ويديم اطراق طرفه وملازمة صمته الا عند الحاجة في أكثر الاوقات
فإن أنفاس السلطان ملحوظة والفاظه منقولة * ولقد قيل تكلم أربعة من
حكماء الملوك بأربع كلمات كأنها مقتبسة من جذوة نور مجموع أو منجبة من
قرارة ذوق فقال ملك الروم أفضل علم العلماء الصمت وقال ملك الفرس إذا
تسكمت بكلمة ملككني ولم أملكها وقال ملك الهند أنا على رءم لم أقل أقدر مني
على رءم قلت وقال ملك الصين ندمت على السكلام ولم أندم على السكون فهذه
الحكم الرائقة والاشارات الفائقة والمعاني المتوافقة صدرت من هؤلاء العظماء
والملوك الحكماء وتطابقت خواطرهم عليها وتوافقت اشارتهم اليها مع تباين
أزمانهم وتباين عساكرهم وفي ذلك دلالة على شرف الصمت وعزيمته وقديما
قيل انما خلق للانسان أذان واسان واحد لئلا يكون ما يسمعه أكثر مما يقوله فإذا
دعت الحاجة الى السكلام فليعتبره قبل أن ينطق به فإن كلام الانسان ترجان
عقله وبرهان فضله فإذا تكلم بكلام جانب الاكثار فإنه قيل من كثر كلامه
كثرت دمه ويختار عند السكلام أعذب الالفاظ وأحسنها وأجزلها وأبشها وقد اختار
الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب سامعيه وأوقع في
قلوبهم ويحعل وعيده بالتأديب على مقدار الذنوب ففيه جمع بين مصلحة العقوبة
والانذار ومصلحة اجتناب الاثم مجبى ورة الحد والمقدار فتدقيل ان أبا بكر
الصديق رضي الله عنه كتب الى عكرمة وهو عام له بعمان يقول احذر أن تورد
في معصية بأكثر من عقوبتها فإني إن فعلت أثمت وإن لم تفعل كذبت وكلام
الامرئ ذميم ويجهتد السلطان في منع نفسه من الغضب فإن الغضب شر قاهر
وأضرر معاند مجاهر وهو اذا غلب أعظم الاشياء فساد النظام والآراء وأبلغ الامور
تأثيرا في انتقاض قواعد التدبير فإن قدره الله عز وجل في بعض الاوقات والاحايين
فلا يعصى السلطان في تلك الحالة فعلا ولا ينفذ حكما وقد عاقل احتراز عظماء الملوك
من الغضب حتى نقل ان ملك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا رأيته
قد غضبت فادفع الى هذا الكتاب ولا تؤخره فـ كان فيه مكتوب مالك والغضب
است بالله معبودا إنما أنت بشر مخلوق ارحم من في الارض يرحم من في السماء
وكما يجب الاحتراز والاحتباس من الغضب فكذلك يجب تجنب اللجاج فإنه أليف

الغضب وحليف العطب وهو مما يضر الزلل في العاجل ويسفر عن الندامة في
 التأجل ويدفعه عنه بجملة ان الرجوع الى الحق خير من التماس في الباطل ولا
 يستعمل في الناس كلهم حالة واحدة بل يعتمد من الحالات في كل قضية ما يليق بحال
 صاحبها من اين وشدة واقبال واعراض واحسان واساعة وعفو وعقوبة وتجاوز
 وانتقام واقدام واجسام واجابة ومنع وزيادة ونقصان وبشر وقطوب وظهور
 وخجوب فان استعمال كل حالة في عملها مع مستحقة لها كل تدبيراً وانما رأيا واجمع
 لشمل مصالح الملك ووضعها في غير عملها افضى الى توقع الضرر ومقتاح لسبب
 العطب فان طباع العالم متفاوتة وأخلاقهم متباينة فمنهم من يصلحه الاقبال
 عليه والاحسان اليه ومنهم من يصلحه الاعراض عنه والانتقام منه ويتعين
 على السلطان استمالة الاعداء وأهل الاسن من ذوى القدرة ويجهت في اصلاحهم
 فان لم ينجح فيهم اصلاح واستمالة يعدل بهم الى طريق المداواة اللائقة بهم الى أن
 يلوح له وجه الفرصة وتمكنه المزاخنة بالانتقام فينهز ذلك بالمبادرة اليه ولا
 يؤخوه عن وقته فان تأخيرهم مضر واهمالهم مفسد ويعلم السلطان أن من أعم الأشياء
 نفعا وأعظمها في مصالح الملك وقعا كتمان سره واخفاء أمره وأن لا يطلع أحدا
 على ما قد عزم على فعله قبل تمامه ولا يتحدث بمسير يده من المهام قبل ابرامه
 فان ذلك من أقوى أسباب الظفر وانسكى في قلوب الاعداء وأعون على نزع
 المقاصد وقد نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال استعينوا على المحطات
 بالسكمان ونقل عن علي كرم الله وجهه سر ك أسيرك فان أظهرته صرت أسيره
 لكن من الاسرار والامور ما لا يستغنى فيه عن اطلاع ناصح مشفق وموال مخلص
 يرى من طاعته لربه مناصحته لسلطانه فيستعين السلطان برأيه على المهمات
 وينتفع بكبره في الحوادث ولا يركن فيه الى أحد ولا يثق بكل مقلق ومتى حدث
 أمر من الامور الجارية يكثر الاستشارة فيه من يراه أهلا لذلك ويسمع رأي كل
 واحد منهم على انفرادهم وينظر في جميع ما سمعهم ويعمل بمقتضى ما هو الاقرب الى
 نيل المطلوب والاصوب في دفع المرهوب ولا يهمل الاحتراز والحذر في عواقب
 الامور وما يؤول اليه ويجهت أن لا يفتح بابا يهيبه سده ولا يرمى سسها يجهز رده
 وقد قيل قديما

واياك والامر الذي ان توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر

فاحسن أن يهذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر
ولا يحصل السلطان أوقاته موصوفة إلى نوع واحد فان ذلك ان كان جذا واجتهادا
في مصالح الملك والنظر في تدبيره خجرت النفس منه وشبهت النفس كرهة فيه وربما
أدى إلى خال وساق إلى زلل وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نفسي مطيتي
فان أجهلتها كبتني وان كان ذلك وقضى شهوة أدنى إلى تضييع الملك وفساد
أموره ووقوع الخلل فيه بل عليه أن يقسم أوقاته فيصرف منها قسطا لنفسه
بتضرعه إلى الله وقيامه بشكر نعمته وأداء عيادته وكما أنه يقسم أوقاته فيخص
كل وقت منها بحالة لا تفتة بذلك الوقت لا يلقى أن يوقع فيه غيرها كوقت ركوبه
في جاري عادته ووقت نظره في مصالح مملكته ووقت جلوسه لكشف قضايا رعيته
ووقت دخول الجند لأداء وظيفة خدمته ووقت استقضاء من يحضر من الرسل
لأداء رسالته ووقت سكونه ومنامه وقياماته ووقت استئناسه بمن يحضره عيادته
ووقت قيامه بقرض الله تعالى وعبادته ولكل حالة من هذه الحالات وقت من
الأوقات لا يتعداها أو من منسوب إليها لا يليق به سواها فلما وقع كل حالة في وقت
غيرها لا إرداها وما أداها ولا خلها عن صوب الإصاية وما أداها فكذلك يتعين
عليه أن يستعين في الأعمال بكفاة العمال ويعتمد في المهام الثقال بإجلال الرجال
فيفوض كل عمل إلى من قدمه راسخ في معرفته وأيدته يد باسطة في درايته وتجربته
ولا يفوض كل عالم إلى جاهل ولا ينيه إلى خامل ولا مستيقظ إلى غافل ولا ذي حلية
إلى عاقل فان فعل ذلك فقد باع حقبا باطل واعتاض عن قس بياقل وساطع على
الدولة لسان كل قائل وقديما قيل من استعان في عمله بغير كفوء أضاعه ومن فوض
أمره إلى طاجر عنه فقد أفسده وأضاعه وليحذر كل المحذر من تولية أحد أمرا
من أمور الملك الدينية والدنيوية بشفاعة شنيع أو رعاية لحرمة أو لخصا فحق
اذ لم يكن أهلا للقيام بما ولى ولأنه ضايا أعباء ما استمكنه ولهذا قيل من قلده عمل
بالدراية والكفاية غنى عمله وسلم ومن قلده بالرعاية والشفاعة ذوى عمله فندم فان
أحب مكافأة أحد من هؤلاء مكافاه بالمال والصلات وقطع طمعه عما لا يصلح له من
الولايات ليحسكون قاضيا حقوقهم بحاله لا بما كره وهذا المعنى الذي كان يهتكمه
كسرى لأحكام قواعده أسكده وتأييده وإتمام مقصد تدبيره وتأييده حتى وضع
على بابيه خشبة من ساج منقوشة بالذهب عليها مكتوب الأعمال الكفاة والمستوفى

على بيوت الاموال ولهذا قيل أي ملك ملك جده هزله وقهر رأيه هوام وعبر فعله
عن ضميره ولم يخذعه رضاه عن حقه وفوض كل عمل الى مستحقه واستعمل
بالكفاة لا بالشفاعة ولم يأخذ بالسعاية قبل الكشف ولا استهواه تعرض
المعرضين فهو خالق باستحقاق الملكية وارتداد مجلبا بها جدير بها وان لم تكن
أواصره وعناصره من أربابها

﴿تجديد افتتاح ونا كسدايضاح واجبات السلطان﴾

يتعين على من رزقه الله نعمة السلطنة وحلاها بعقد ها وآناه أزمة حل الدور
وعقد ها وجعله نائباً في حياية بلاده ورعاية عباداه فاليه مآل مرجعها ومرتد ها
أن يصرف عين عنايته ونظر يفتته في عشرة أمور (الاول) حفظ بيضة الاسلام
والدين في ناحيته لئلا يقوى عليه مشوكة كافر أو يصل اليه سيد فاجر وذلك باقامة
الامراء والاجناد (الثاني) تشجيع الاعمال والحصون والتمغور باعتبار احوال
ولايتها واختيار رجال حلتها والبدار في اصلاح عبادها وذهابها ومهماتها
(الثالث) السياسات لدفع المفسدين وردع المعتدين فان بها يتم سعي الرعايا
لتحصيل المعاش والأقوت ويتم نفع الانسان بالاسفار التي لا تحصل الا بأمن
الطرق (الرابع) اقامة حدود الله تعالى المانعة من ارتكاب المحارم الوازنة
من اقتراب الجرائم الرادعة عن اكتساب المظالم فتجد جعلها الله تعالى لحفظ
النفوس وحراسة الاموال وأمر باقامتها فلا يجعل اسقاطها بشفاعة ولا سؤال
(الخامس) دوام تمسكه بجعل الشريعة والتزامها واعتماده في أمره على نقضها
وابرامها واعتباره أمور القساءين بأحكامها واعتناؤه باقامة قضائتها وحكامها
فينصب صلحاء القضاة لقطع النزاع وصيانة الاموال والمحقوق عن الضياع
ويحفظ ذاتهم أن يمتد اليه يد الانقطاع من ذوى الاطماع واقامة العقود المحتاج
اليها الى مالها من الاوضاع (السادس) اقطاع الامراء والاجناد وأرزاق ذوى
الحقوق من العباد وترتيبهم على مقدار منازلهم وأحوالهم وتفصيلهم بما يوجب
تفاضل الاحتياج اليهم في أعمالهم (السابع) جباة الاموال لاجتلاب انواعها ومواطن
الغلال التي بها تنموية البلاد باعتبار مزارع ضياعها وأن لا تأخذها الا بالحق والعدل
فهو أكبر حارس لها من ضياعها (الثامن) استخدام الكفاة والامناء واستعمال
النصحاء والاقوياء لتكون الاحوال بكفاءتهم وقوتهم ملحوظة مضبوطة بأمانتهم

فمنهم من محفوظة محفوظة * (التاسع) أمور العامة بان يجلس لها في وقت من الاوقات
 لكشف الظالم واقامة قريضة العدل لازالة الظالم * (العاشر) التطاع الى متجددات
 الاحوال وحوادث الامور واستعلام ما يتجدد منها بحسافة طريان مدروءه وعقد وريان
 يجعل لها عيوناً بصيرة زدها وثقات يعتمدون رصدها فان حوادث الاقدار تغلب
 الموافق مخالفاً والامين خائناً والناصح غاشوا وساكن مضطرباً فاذا تطالع الى معرفة
 متجددات الاسباب ظهر له الخطأ من الصواب وعلم الحق من المربط في ابدار الى اصلاح
 الخلل وازالة الاضطراب بهذه الامور الفسفرة الاصول التي ينشأ عنها شعبة متفرعة
 وهي قواعد واضحة تقتني عليها أحكام متنوعة فاذا الخلفا بين يقتضيه وأدخل
 نكرها في باب معرفته حتى حوزة ملكه وقام بجوابه لله تعالى عند مسائله
 فان السلطان نائب الله في خلقته ورأى أمورهم وكل راع مسئول عن رعيته
 ﴿الباب الثاني في الولايات﴾

قد تقدم القول مشروحاً في الباب الاول فيما يستعمله السلطان وهذا باب معقود
 لبيان ما يعتبر في التسامح بمصالح المملكة المباشرة تفاصيل احوالها فان
 السلطان وان كان يعتمد التطاع والنظر في ذلك فانه نظر كلي اجنالي غير تفصيلي
 ويكون النظر في التفصيل والقيام بحجوزات الامور والاعمال مفوض الى من أقامه
 السلطان وولاه واستنابه فيما هو أهل لما تولاه فعلى السلطان في ذلك وظيفة ثان *
 (الوظيفة الاولى) ان يعلم انه نائب قد أقامه تعالى في عباده وارتضاء من بين خلقه
 لرعاية بلاده فيعمل في نيابته عن الله ما يحب ان يعمل من يستنيبه من ممالكه
 وعبيده على وفق مراده * (الوظيفة الثانية) أن يحمد رأيه ويعمل فكره في
 اختيار من يفوض اليه شيئاً من أعمال مملكته ويستخدمه في بعض احوال دولته
 ويؤليه أموره رعيته فان أفعاله هم اليه منسوبة وأعمالهم عليه محسوبة
 * وقد عاقل وزير الملك عينه ويده وكاتبه نطقه وحاجبه خلقه ورسوله
 لسانه فيعتبر فيمن يؤليه أربع صفات لابد منها المعرفة والديانة والكنانة والامانة
 فان تقوى الامر الى من لا معرفة له به ولا علم عنده فيه جدير باضاعته والى من
 لا دين له ولا تقوى فيه جدير بافساده والى من لا كفاة فيه ولا نهضة له جدير
 بوقوع الخلل فيه والى من لا أمانة له جدير باحتناء عملة لنفسه فهذه الصفات
 الاربع هي عناصر صلاح الاعمال بالعمال ومواد نجاح مساعي ولادة الاحكام

والاموال وقد أشار القرآن الكريم في قصة يوسف الصديق عليه السلام الى اعتبار هذه الصفات حيث قال انك اليوم لدينا مكيّن أمين قال اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم فالمكانة والامانة والحفظ والعلم أصل فيما ذكرناه من الاوصاف الاربعة ثم الديانة والامانة وصفان معتبران على الاطلاق من غير اضافة الى امر معين ولا عمل مخصوص اذ لا يمكن ثبوتها بالنسبة الى جهة ونفيمها بالنسبة الى جهة وأما السكفاءة والمعرفة فهما وصفان اضافيان مختلفان باختلاف الاعمال فانه قد يكون الانسان كافيا في عمل عارفه ولا يكون كافيا ولا عارفا بعمل آخر غيره فالمعتبر حصول الاوصاف في المشوئ بالنسبة الى العمل الذي قوض اليه واعتمد فيه عليه وهذا تفصيل طبقات الولايات وهي خمس طبقات الاولى الوزارة الثانية الولاية للاثنا عشر المكاتب الثالثة ولاية التجيدش والجنس الدار اربعة ولايات ديوان الاموال الخامسة سائر الحاشية

الوزارة

الطبقة الاولى الوزارة الوزير هو قطب الدولة ومدارها وزيد المملوكة وسوارها يستضيء السلطان في ظلم المهام بأنوار تديره ويحمل عنه أعباء ما يحدث من قلبه وكثيره وجليله وحقيقه وقتيله ونقيبه فعليه بذل مجهوده ليصيب الصواب بسهام هممه ويصوب أنوار آرائه فينبجس من التدبير عيون ديمته فلا بد لذلك من وزير يعضده ومدير يشغف المناكر يؤيده وقد صرح الكتاب والسنة باتخاذ الوزير والاستتھار به في التدبير فقال سبحانه وتعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيراً من أهلي وقال عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ولي شيئاً من أمور الناس وأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد غير ذلك جعل له وزيراً سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه واختلاف الناس في اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة أوجه أحدها انه مأخوذ من الوزر وهو الثقل فان الوزير يحمل عن الملك أثقاله وثانها انه مشتق من الوزر وهو المجأ ومنه قوله تعالى كلا لا وزر أي لا مجأ للملك يلجأ الى رأي الوزير ومعرفة وتديره وثالثها انه مأخوذ من الازر وهو الظهر ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام أشد به أزر أي قو ظهري فالملك يقوى بالوزير كقوة البدن بالظهر ولما كان

هذا المنصب في نفسه جليلا وكان المتأهل للقيام بوظائفه قليلا فان المتقدمين من فضلاء العظاماء ذكروا في صفات مباشرة شرحا طويلا وجعلوا من جل أمانة الوزارة من الاوصاف المعسرة عبثا ثقيلا وألخصها ما كتبه المأمون في اختيار وزير ليرتاد اليه فقال اني التفت لامورى رجلا جامعا لمخصال الخير ذاعفة في خلافة واستقامة في طرائفه قد هدته الآداب وحسنه الوقائع وأحكمته التجارب ان ائتمن على الاسرار قام بها وان قلده مهمات الامور نهض فيها تسكينة المحكمة ونهضة العلم تكنيه اللبحة وتغنيه اللبحة له صولة الامراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان أحسن اليه شكر وان ابتلى بالاساءة صبر لا يبيع نصيبا من يومه بغير ما غده يسترق قلوب الرجال بخلافة لسانه وحسن بيانه فهذه صورة ما نقل من كتاب المأمون ولقد أشار في هذه الكلمات الموجزة والالفاظ المختصرة الى رموز تحسبها كنوزا وفي رمزه المستور ووصفه للرجل المذكور بيان نهوضه بمهمات الامور ومن نهض بمهمات الدولة وأمور المملكة وانتصب لها الزمان يحمل أثقالها ويرزح اختلالها ويصلح أحوالها ويحفظ رجالها ويقرأ أموالها ويستخدم الكفاة الثقات ويوليهم أعمالها ويلزمهم بحجة العدالة واعتدالها ويحذرهم عاقبة الظلم ويوبالها وينكلمهم نكال الظلمة الخونية والاثم يتفقد تفاصيل أحوالهم ويراعى تصرفهم في أشغالهم ويتطلع سرا وجهه الى أقوالهم وأعمالهم فمن وجد منه منهم قد نسي ذكره أو غفل عن شيء بصره أو أخطأ عن سهو وعن البدور عذره ومن أحسن منهم في عمله وثمره وقام فيه بواجب خدمته ووفره خصه بزيادة رعايته وأعلى مكانته وشكره ومن خان عهد أمانته وفطر في ولاية عاقبه وعزله وعززه ويعتق بجبهات الاموال وحراسة أسرارها وفتح أبوابها وضبط حسابها وحفظ حسابها وبث الاحسان في مظان اكتسابها واعتماد العدل والانصاف في استخراجها واجتلابها فان كثرة الاموال وقتلها بقدر المعرفة باحتسابها من شعابها من جزى مقرره وتجاثر معشره وأنرجة محضرة وعشور محرره وقسم مقدره وغنائم موفره وفي من جهات غير منحصره هذا الى زكوات واجبه وأجور لازمة لازبه وديات دماء ذاهبة ومحرر مناخاة راتبه ومستخرج معادن غير ناهيه وعداد نعم سائغة لاسائبة ووظائف عن أكره عامله تاصبة الى غير ذلك من ترسيع مزارع وتوزيع قطائع وتوسيع مراتع وتوزيع مواضع وترجييع طوائع فهذه جهات أموال

جعل الشروع بيد السلطنة تمام استخراجها ويمكن من استيفائها سلوك طريقها
ومنهاجها وفرض فيها حق وجب رعايتها عند صرفها واخراجها فإذا أقام وزير
المملكة في جهات الأموال ثوابا بين لهم تفصيل هذا الاجمال وحرر عنهم على
حسن التوصل الى استخراج الاموال وعرفهم الطرق المفصلة اليها لئلا يشبه
عليهم الحرام بالحلال وأمرهم بالتسارع الحق واجتناب الباطل على كل حال

﴿وزير التفويض﴾

ثم ان وزير الدولة والمملكة لا يخلو من أن يكون وزير تفويض أو وزير تنفيذ فان لكل
واحد من هذين القممين حكم يخصه ووضعيا يلزمه فان وزارة التفويض أعلى
المرتبتين وأعظم المنزلتين وهي أن يفوض السلطان الى الوزير تدبير المملكة
والدولة برأيه وبسباده ويجعل اليه امضاء أمورها بمقتضى نظره واجتهاده فهذه
ولاية لا يكتفي فيها مجرد الاذن بل لابد من عقد وتصريح فيقول قلدك مالي تنسابة
عني أو قد استنتجت فيمالي أو ما يقوم مقام ذلك فلو قال فوضت اليك ووزاري أو
ذكره بصيغة الجمع للمعظم وقال قد فوضنا اليك الوزارة ففي انعقاد وزارة
التفويض بهذا القول وحده خلاف والخلاف انما يتعدى وتحصل الولاية فيستفيد
بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم في أمور المملكة والتصرف في أحوال الدولة
بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل واطلاق وبذل واستخدام وقطع واعطاء
ومنع ونقص وزيادة وابداع واعاده وتسلط على كل ما للسلطان فعله من أمور
المملكة الاعلى شيئا فانه ليس له فعله ما ولا يستفيد بهما بطلاق هذه الوزارة
أحدهما اقامة ولي العهد الثاني عزل من ولاية السلطان وأقامه فان فعل ذلك
وأقدم عليه فإنه لا ينفذ ولا يعتبر شرعا « وزير التفويض وان عمت ولايته وشارك
السلطان في حكمه فعليه وظيفة لا بد له من اقامتها بحسب عليه فعلها وهي أن يطلع
السلطان بما أمضاه من عمل وما أنفذه من ولاية وتعليق يدو على السلطان أن يتأمل
أعمال الوزير وما قد أصدره من الرأي والتدبير ويتفقد ذلك فساوجه على
وفق الصواب قرره وتركه وما رآه على خلاف ذلك رده واستدركه * فهذه زبدة
ملخصة ونبذة مختصرة في وزارة التفويض

﴿وزارة التنفيذ﴾

وأما وزارة التنفيذ وهي دون وزارة التفويض فان حكمها أضعف
وشرطها أقل اذ السلطان هو القائم في المعنى بالتدبير فيها والنقضاء

صادرة عن رأيه ونظرة وهي أن يعقده السلطان واسطة بينه وبين الناس
يؤدى عنه ما أمره ويطاعه بما يرد عليه وينفذ ما أمره ويسمع جوابه
فتدله كما ذكره فهذه الوزاره لا يفتقر في صحتها الى عقد وتقليد بل يكفي فيها مجرد
الاذن ولا يعتبر في المؤهل لها من الشروط ما يعتبر في القسم الاول لكن لا بد أن
يكون أمينا فان الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن اليه وأن يكون صادقا بحيث يعتمد
على انهاءه ويعتقد على قوله في اعادته وابدائه فان الكاذب لا يوثق به وأن
يكون قليل الطمع حتى لا يستقال بالرشا والهدايا ولا يخذع بالتعف في شئ من
القضايا وأن لا يكون بينه وبين الناس تشاجر وتباغض يحمله على ترك الانصاف
ويحمله على الانحاف والاعتساف وأن يكون عنده فطنة حس ويقظة نفس ليأمن
التدليس عليه واشتباه الامور لديه وأن يكون خاليا عن الاهواء فان الهوى
خادع الابواب قاطع طرق الصواب وفي الحديث النبوي ما يكمل به هذا الغرض
ويتم وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمى ويهم فوزير التنفيذ
لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم ولا النظر في المظالم ولا تقليد متول ولا اقامة
متصرف ولا تدبير جيش ولا حرب ولا تصرف في أموال بيت المال بقبض المستحق
منها وصرف الواجب فيها وهذه كلها ملكها وزير التفويض ولاجل التفاوت
بين الولاياتين والفرق بين المنزلتين جاز أن يكون وزير التنفيذ مملوكا ولا يشترط
أن يكون حرا وجاز أن لا يكون عالما بأحكام الشريعة وجاز أن يكون جاهلا بأمر
الحرب والمخراج غير عارف به اذ هو سفير بين السلطان والبيعة مظهر وخفي ولا يشترط
في قبول الخبر الحرية ولا المعرفة المذكورة ولا العلم بتفاصيل الشريعة وهل يشترط
في هذا الوزير الاسلام حتى لو أقام السلطان وزير تنفيذ من أهل الذمة كان جائزا
أم لا اختلف آراء الأئمة في ذلك فذهب عالم العراق الامام أبو الحسن على بن
حبيب البصري وجه الله الى جوازه وذهب عالم خراسان امام الحرمين أبو المعالي
الجويني الى منعه وعده تجويز ذلك من عالم العراق عثرة لن تقال وخطأ فيما قال
وهذا بخلاف وزارة التفويض فان هذه الشروط معتبرة من جهة ما تقدم بيانه
من الاوصاف في حق المباشرين لها

كتاب الانشاء

الطبعة الثانية كتاب الانشاء لا بد قبل بيان المقاصد وبيان القواعد من ذكر شئ
من أصل الكتابة ووضعها والتعرض لمن قام بتأليفها ووضعها ثم نعطف عليها
مقصد النرض المطلوب ونضيف اليها ما يتعين من هذا الاسلوب فأقول من وضع

الخط العربي وأقامه وصنع سروفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم كانوا تزيلا
عند سليمان بن أدد وكانت أسماؤهم أبيض وهو زحلي وكان وسعقص
وقرشت فوضعوا الخط والكتابة على أسماؤهم فلما وجدوا في الألفاظ سروفها ليست
في أسماؤهم ألحقوها بها وسموها الروادق وهي الناء والخاء والذال والضاد والطاء
والعين على حسب ما يلحق سروف الحجل هذا التخصيص ما قبل في ذلك وقيل غيره ونقل
أن أول من أتى أهل مكة بكتابة العربية سفيان بن أمية بن عبد شمس ثم انتشرت
وقيل غير ذلك واستكتب النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث
ابن زهرة فكان يكتب عنه الملوك ويبلغ من الأمانة عند النبي صلى الله عليه وسلم
إلى أن كان يأمره أن يكتب إلى الملوك فيكتب بطين الكتاب ويخدمه واستكتب
زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي ويكتب أيضا الملوك وكان إذا غاب عبد الله
وزيدوا يحتاج أن يكتب كتابا يأمر من حضر أن يكتب وكتب له صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي
سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم قال كاتب عظيم من وعون مسدد ولا
بدا الدولة والمملكة منه ولا غنائم باعته ثم مراتب الكتابة المتلفة بالسلطنة ثلاثة
« كتابة الانشاء وهي الطبقة الثانية من هذا الباب وهذه الطبقة مسوقة ليه انبعا
« وكتابة الجيش وهي الطبقة الثالثة من هذا الباب وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى
« ثم كتابة الخراج والاموال وهي الطبقة الرابعة من هذا الباب وسيأتي ذكرها إن
شاء الله تعالى

« كتابة الانشاء »

وكتابة الانشاء من مقبومات الدولة وقواعد المملكة وصاحبها المباشر
لها في خدمة السلطان مع دود من كبار الاعضاء والاعوان قائم في اتمام مقاصده
وأغراضه مقام الترجمان نازل منه منزلة القلب واللسان من الانسان فانه المطاع
على الاسرار المحتجج لديه خفايا الاخبار المستفيع به في طريق النفع والاضرار
فساحة الدولة اليه كحاجة الهيم إلى منساته وذو السقم إلى أساتته والمسلم إلى
عواصاته اذ كم من عصب باغية أراق قلم الانشاء بشهادتها وكاتب جيش قاب لها
كتاب فردا وهزمها وصياص منيرة نصبت السكيب إلى تسليمها ونواص
عواص اقتادت السطور إلى الطاعة لأمها وأنوف أنفحة خطمها القلم بيرة الأذلال
ونزعمها وصفوف راقفة للترال أزال المثنى عن موقفها قدمها فهو يقوم من

متنا الدولة ما لا تقوم بالمقاييس ويقوم بنصرة الملك في مواقع لا تصل اليها السكاكيب
 وقلب عدو عات على الدولة استعداء السكاكيب باطن انشائه حتى انقلب وليا
 ومباين ما تناسله براءة استدرأه الى أن تركه خفيا ومنا وناه أوجي اليه
 من بلاغته ما قرر به نجيا وجيش جاش للقاء تالاعليه من آيات الرغبة والرغبة حتى
 نحر أمراؤه للطاعة مجددا وبكا « هذا الى غير ذلك من الأغراض المهمة
 والمقاصد العارضة الملية التي لا بد للملك من إقامة وظائفها وإداء مناسك
 موافقها من تهنية يعظم بها قدره الموهوبة وتعزية بردها حرارة العبرة
 المسكوبة وشفاة يقتادها زمام القبول لحصول المأربة المطلوبة فلهذا
 كاتب الانشاء المعاني علم هذه المعاني ضارب في اعشار العلوم بالقدح المعلى
 واكب من صهوات الفضائل عطا الخلى الاعلى فان مؤامره مناعة وأتمته بضاعته
 شروط براءة معرفه الآيات القرآنية وأسباب نزولها وعلم الاحاديث النبوية
 وكيفية مدلولها وفهم سير الملوك الاولى في أفعاليها وأقوالها والتضلع من
 الحكمة والامثال بتفريدها وتأصيلها والتطلع على وقائع العرب بحملها
 وتقاصيلها والتوسع في أبحر المعاني الشعرية ما بين متقاربها ووطولها فبذلك
 عاكز زمام البلاغة والبراعة ويرقى بقدمه على قدم أهل هذه الصناعة فإذا أمره
 السلطان بكتاب تخير له أفصح ألفاظه وأرجح معانيه وجعل مطيع دعائه مستمرا
 بالعرض المودع فيه ويختصر تارة ويضرب أخرى ويستعمل في كل مقام ما هو
 ألين به وأخرى « وقد عاقل عمرو بن مسعدة وكان تفوق من البلاغة ذرا أخلافا
 وتطوق من البراعة ذرا أصدا فها قال أرنى المأمون أن أكتب بين يديه كتابا الى
 بعض العمال على يد رجل له به عناية لحاجة الرجل عند المكتوب اليه وقال
 أوزما استطعت وبالغ في حقه فكتبته كاني اليك كتاب واثق من كتب اليه ممن
 من كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله والسلام فلما وقف عليه وقع منه
 بموقع ظهرت لي آثار بشره وبره فالنعبير بالالفاظ الغليلة عن المعاني السكبيرة
 وابدأها السامعين في السكلمات القصيرة شاهد السكاكيب برحمان فضله حامله
 بلسان الادب كله فهذا النوع من الايجاز في استعمال الحكمة والجهاز معدود من
 دلائل الاجحاز وقد أجمع أرباب علم المعاني والبيان وقطع أعصاب التقدم في هذا
 الشأن أن أوجز كلمة كانت العرب تستعملها وتداولها السهيم الفصيحة وتفضلها
 قولهم القتل أننى القتل ويعدونها واسطة عند الاجحاز ويحمدونها بلسان التفصيل

والامتياز فلما نزل القرآن الكريم وفيه قوله تعالى ولكم في القصص حياة
وقرئت آياته أسماعهم وقطعت فصاحته عن معارضة أطماعهم أذعنوا له بخفض
الجناح ورفض الجساح واعترفوا برجحان هذه الكلمة لما فيها من الكشف والبيان
والتكملة والايضاح ولا غناء عن كشف الغطاء عن وجهه هذا الاجمال بيد
التفصيل وابداء الوجوه الموجبة لاعترا فهم بالرجحان والتفضيل وهي خمسة *
الاول ان قوله في القصص حياة عوى عن تكرار اللفظ على عن اعادته وقولهم
القتل أنقى للقتل مشتمل على تكرار لفظ القتل وذكرها مرتين والتكرار يسقط
فصاحة الكلام وبخالف الله انساني انه أوجز وأخصر في العبارة وأقل تطويلا فان
حروفه أقل عددا من حروف قولهم * الثالث انه أحسن تأليفا للحروف المباشرة فان
المخرج عند النطق من الفاء الى اللام في قوله تعالى في القصص أعدل
من المخرج من اللام الى الهمزة في قولهم القتل أنقى وهي آخر القتل وأول أنقى
لعدم مخرج ما بين الهمزة واللام وكذلك أيضا المخرج من الصاد الى الحاء آخر
القصص وأول حياة أعدل من المخرج من اللام الى الفاء وهي آخر أنقى
ولام تعريف القتل اذ الهمزة تسقط وحسن تأليف الحروف أدخل في الفصاحة
* الرابع اشتماله على اقامة العدل والانصاف بذكر القصص الدال على
المساواة فان القصص مأخوذ من التساوي ومنه سمي المقص مقصلا لاستواء
جانبه واعتدال طرفيه ولا كذلك لفظ القتل وما كان مشتملا على اقامة العدل
والانصاف كان أرجح * الخامس تريحه بالغرض المطلوب المرغوب فيه وهو
الحياة ولا كذلك قولهم * فظهر بهذه الوجوه تفصيل أدلة الرجحان وتفضيل
المجزلة والايجاز في علم البيان فتي ملك الكاتب جواهر أنواع الكلام وسلك
شعب البلاغة لاستجلاء وجوهها الوسام وأدرك معرفة أقسامها فأبرز في كل
مقام ما يليق به من الاقسام كان قد حاز قصبات الفضل وحصله وفاز بفضل الله
فانه يؤتي كل ذي فضل فضله وحكم له باقتدار غارب البلاغة المغربية واقتياد
مراكب الفصاحة المعربة وجاءت ألفاظ كتبه ولها عذبة وحلاوة وعلمها
بهجة وطلاوة فتستميل القلوب وتلك النفوس وتخدع الابواب فتفتح بها المساعي
وتحصل المقاصد وتم الاغراض وتقضي الحوائج فتكون جيدة الورود والصدور
سعيدة في جميع الامور ولا يحصل ذلك الا بسلك شعب البلاغة التي هي

أحسبهما الكاتب أصابها كوكب فهمه السابق وهي عشرة شعب
الاستعارة والتشبيه والكتابة والايجاز والاطناب والمغالطة والتضمين
والاستدراج والمبادئ والمخالف «فهذه الشعب العشرة هي أصول ومبادئها
فيرجع إليها وأناشير إلى كل واحد منها بذكر حقيقة ووصفه وأكسب
وجهه ليعرفه ناظره ولا جهالة بعد كشفه وأوضحه إن شاء الله تعالى أيضا
لا يأتيه الاشكال من بين يديه ولا من خلفه

الاستعارة

«الشعب الاول الاستعارة وهو أن يحاكي المسمى تشبيه شئ بغيره ولا يؤثر الايمان
بلفظة التشبيه وارا دته طلسا زيادة الدلالة مع الایجاز فيستعير اسم المشبه به ويكسوه
للمشبه من غير تعرض لذكر المشبه لفظا فيحصل له زيادة فصاحة وحسن بلاغة
ومثاله في القرآن الكريم في حق القرية التي كفرت بأنعم الله قوله تعالى فأذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ووجه الاستعارة أن الثوب لما
كان محيطا بجوانب لا يسهو ويشمله من جهاته استعار اسم الجوع والخوف حيث
أراد الاخبار عن احاطة الجوع والخوف من جميع الجهات فأني بنظم هو أبلغ
في تحصيل الغرض من الحقيقة فتشوا فصيح فانه لو قال جعل الله الجوع والخوف محيطا
بهم من جوانبهم كان لباس لهم لم يكن فيه من الفصاحة والحسن كاذ كرسبحاته
وتعالى من الاستعارة

التشبيه

«الشعب الثاني التشبيه وهو الدلالة على ان شيئين اشتركا في معنى هو ثابتا
دخلت عليه أداة التشبيه في نفسه وهو أشهر معانيه فيجعل المسمى أحدهما التي
لم تدخل عليه الاداة مثل الاترا التي دخلت عليه كقول القائل رجل كالأسد ووجه
كالقمر ومثاله من القرآن الكريم في وصف العالم عند خروجهم من القبور يوم
المبعث والنفوس قوله تعالى يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر فانه لما
يكون الناس عند خروجهم من القبور مضطربين متعيرين قد طبتوا الجهات
بكثرتهم وأسرعوا إلى اجابة الداعي بجركتهم لا يلبى بعضهم على بعض شبههم
بالجراد المنتشر وجعلهم مثله نظرا إلى ما ذكرناه من المعنى

الكتابة

«الثالث الكتابة وهي أن يريد المسمى اثبات معنى من المعاني ولا يذكره بلفظه

الموضوع له فيعدل الى معنى هو تاليه وورده من الوجود فيأتي به لتحسين كلامه
وايجاز ومثاله من القرآن الكريم في صفة عيسى عليه السلام وصفة أمه قوله
تعالى كأنيا كالان الطعام كنى بذلك عن خروج الخارج منهما لانه من توابه
ورواده فجاءت السكايه أفصح وأجز * الرابع الايجاز قد تقدم ذكره والتنبيه
عليه

﴿الاطناب﴾

* الخامس الاطناب وهو أن يذكر المنشى كلاما ثم يعقبه بلفظ مدلوله حقيقة المدلول
عليه بالكلام الاول تضمينا ينبه بذلك على زيادة وقع هذا المعنى في النفوس وشدة
الاعتناء به ومثاله من القرآن الكريم في قصة الافك في حق عائشة رضي الله عنها
قوله تعالى اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم قوله بأفواهكم اطناب فانه دل على حقيقة ما دل عليه قوله
وتقولون لان القول لا يكون الا بالهمس لكن نبه بهذا الاطناب على تعظيم هذا الامر
المرتكب وشدة وقع وقبحه وأكثر فضلاء الكتاب يستعملونه في الوقائع المعنى بها

﴿المغالطة﴾

* السادس المغالطة وهو من أحسن ما يتعانا المنشى المجيد ويعتمده الكاتب الفريد
ويختص بمراقف ما على حسن استعانة الها فيها من مزيد وهو ان المنشى أو المتكلم
بكلام يدل على معنى له مثل أو نقيض في شئ ويكون المثل أو النقيض أحسن
موقعا لأرادته والايهام به ومثاله من القرآن الكريم في حق المنافقين وقد صدرت
منهم حركات وكلمات في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاستمراء والاستسحار فقل
تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب فغالطوا في الجواب عن ذلك
بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله قل أبالله
وأياته ورسوله كنتم تستهزؤن

﴿التضمين﴾

* السابع التضمين وهو أن يأخذ المنشى الآيات القرآنية والاخبار النبوية
والامثال العربية والايات الشعرية فيجعل سجعات كتابه مشتملة على شئ منها
فتارة يأخذ الآية كاملة وكذلك الخبر والمثل والبيت وتارة يقتصر على شئ منها
ينجم بها فقر سبعة فيكتسى كلامه بهار وتارة أشراقا ويعذب عند سامعه مذاقا

وهو شعب عني به أكبر الفضلاء وأكثر ما يستعمل في الخطب والمواظفة
بين وقعها ويحسن وضعها

﴿الاستدراج﴾

(الثامن) الاستدراج وهو أن يصوغ المثنى لغرضه ألفاظا يكسوها من اللطافة
والبراعة ما يندفع بها الألباب لينقاد معه إلى مراده وهذا الشعب وإن كان خفيا فهو
الركن الأعظم والسفن الأقوم في هذه الصناعة وكل من لم يبلغ في البلاغة إلى
أحكام مقامات الاستدراج فقليل ما ينجح مسعاؤه ويسعف بمبتغاه وإذا تأمل التأمل في
القرآن الكريم وجد فيه من حسن الاستدراج والتوصل ببلاغته وفصاحته مواضع
كثيرة منها في قصة موسى عليه السلام لما أراد أن يتقل قوم من أرضهم إلى غيرها
فأخبر الله تعالى عنه بقوله وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
أذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يأت أحد من العالمين فبسط آمالهم
وأسمعهم ما سر نفوسهم واستدريجهم به إلى قبولهم ما يأمرهم به ثم قال لهم مطلوبه
ومقصوده وهو قوله يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم وفي هذه الآية
وأما الهامن آيات الاستدراج من الحكم ما يحيط بأسرارها من رسخت في علم البلاغة
أخص قدمه وأنجبت عيون البراعة من شق قلبه

﴿المبادئ﴾

(التاسع) المبادئ وهو أن يجعل المثنى فائضة كتابه وأوله دليل على المقصود
الذي أنشأه له فينظر إلى الغرض المطلوب فيجعل التمجيد أو الدعاء أو التضمن
مشعرا بذلك فإنه من أعلى مراتب البلاغة وفي القرآن الكريم من المبادئ
والافتتاحات مواضع كثيرة تخرق عقول الغاضلين بفصاحتها منها قوله تعالى في
أول سورة النساء وغيرها يا أيها الناس اتقوا ربكم فإنه اقترح كلامه بالدعاء الذي
يستفتح أبواب الاسماع ويستحضر الأذهان لأجل الاستماع وهذا الشعب
عظيم النفع لمن حققه لا يفتح باب الأمن طريقه

﴿المخالص﴾

(العاشر) المخالص وهو أن يجعل المثنى بين المعنى الذي ينتقل عنه وبين المعنى
الذي ينتقل إليه تعلقا وارتابا بحيث يكون الكتاب المشغل على المعاني
المتعددة والالفاظ الكثيرة من أوله إلى آخره كما تنظم في سلك واحد يأخذ
بعضه بأزمة بعض وفي القرآن العظيم من ذلك مواضع تطرب ويستعذب

أوضاعها منها قصة إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة فمن تأملها حق التأمل
من أولها ووه قوله تعالى وائل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لآله وفوعه ما تصيدون إلى
آخر القصة علم كيف تكون الفصاحة في ارتباط الكلام بعينه ببعض والتخلص
من معنى إلى غيره فإنه جمع في هذه القصة المختصرة من المعاني العظيمة وتخلص من
بعضها إلى بعض بالالفاظ المتتابعة ما صار فيه من له ذوق في علم البلاغة
فهذه الشعب العشرة هي قواعد أصول الكتابة التي تستقر بها أوصافها وتدر عليها
اختلافها فيسأرجع إلى معرفة البلاغة والفصاحة من على المعاني والبيان ولا غناء
لن حصل علم ذلك وأدركه ودخل في سنته وسلكه أن يعرف حال الحروف المتقاربة
والمباعدة والحروف المتضادة والمقتضية بذلك أفعالها ويوضح أشكالها
ويشرح أشكالها فإن حال التراجع عنوان فضل الكاتب وبرهان فكره والصائب
وفهمه الثاقب فإن معرفة حال الحروف في ذلك من أسبابه اللوازم للوازب *
وقد استقصيت الكلام في أقسام الحروف وتركيبها وتسهيل معرفتها وتقريرها
وأقسام تأليفها المعنى به إلى الكتاب المسمى بالسكوكب الناجم في معرفة
التراجم ولولا أن الاسهاب موجب للاختصار والادنانية من باب الافكار وان
الاولى ساوكة سبيل الاختصار والميل إلى الاختصار والاقتصار لما اقتصر لسان
القلم على هذا المقدار ولتضمن محاسن الانشاء ما يجار منه أولو البصائر
والابصار

﴿كتابة الجيش﴾

﴿الطبعة الثالثة كتابة الجيش﴾ أجمع أرباب الدراية بتدبير الممالك
ومن انتصب لاصلاحها يا يصالح الطرق والممالك ان من حراسة الممالك
وسياسة الدولة ضبط أمور الجيش وحفظ أحوال الجند فانه قطب مدارها وسبب
استقرارها فمتعين الاعتناء به والنظر في وظائفه كما يتسه فان شأنه أرفع ديوانه
أجمع وعليه أوسع لاسم في دولة فسيحة الاطراف واسعة الاكاف قد فذلكت
جريدة جيشها على آلاف فيحتاج إلى ترتيب منازلهم على أقدار طبقاتهم وضبط
مقاصير اقطاعهم ونفقاتهم ورعاية مبادئهم وأوقاتهم وتعيينهم بالاسماء
والكنى وتعريفهم بالوصاف والمجلى واعتبارهم واختبارهم واتقادهم لازالة
زيف التليس واعتماد ما يؤمن من الاشتباه والتدليس والتبسط لهذا الامر
والتحفظ فيسهل من أعظم الأغراض فان كثيرا من الدواب والاسلحة يستعار

ويستأجر يوم الاستعراض وقد قرر المتقدمون في ذلك أوضاعا أوضحوها وأنواعا
 شرعوها في تعيين الاقتداء بساكن طريقتهم ويجب في ذلك اتباع مجازهم
 وحقيقتهم وأول من دُون الديوان في الاسلام وضبط الامور عن الانتشار وجا
 الاحوال بيد الاستظهار ونزل ارباب الازواق على مراتب الاقدار وجعل
 ماقرره من العطاء والقرارة متصفا بمقدار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه فإنه لما اتسعت خطة الاسلام وامتدت أقطاره وظهرت آثاره وكثرت
 أنصاره وصارت ترد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حول الاموال
 من جهات الولاة والعمال شاور فيما يعتمده رعاياه لساهاوا لحوط ورعاية لاقامة
 ما هو الانفع والاضبط في ذورأي من الحسابات الاقال ما عنده وبذل في المناجحة
 جهده حتى قال خالد بن الوليد رضي الله عنه يا أمير المؤمنين اني كنت رأيت ساكن
 الشام قد دودوا ديوانا وجندوا جنودا في سائر عمر رضي الله عنه واستدعى عقيل
 ابن أبي طالب رضي الله عنه ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نساب قريش
 وقال اكتبوا الناس على منازلهم فقالوا نعم فبدأ فقال عبد الرحمن بن عوف
 رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ابدأ بنفسك فقال عمر رضي الله عنه اني حضرت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ بي هاشم وبنو المطالب فبدأ عمر بهم
 ثم بنو يلمهم من قبائل قريش بطناء بعد بطن حتى استوفى قريشا ثم انتهى الى
 الانصار فلما استقر ترتيب الناس في الديوان على منازلهم فضل بينهم في العطاء
 فجعل أوزاقهم متفاوتة بقدر سابقتهم في الاسلام فتقبل له كيف تفاوت بينهم
 وقد تساوا في الاسلام فقال كيف أسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى
 الى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوفا من سيف وليس من قاتل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كمن قاتل معه ثم قدر وضع الديوان وزاد بال سابقة وفضل كل من شهد
 بدراني عطائه وفضل على بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وازيد بن
 العوام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وفرض لنفسه مثل واحد منهم وألحق
 بهم العباس بن عبد المطالب والحسن والحسين رضي الله عنهم لما كانتهم من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وعمل في ذلك ما هو معدود من العدل والانصاف وجعل ترتيب
 أسماء المرتبة وتنزيل قرارهم من قواعد الديوان فاقتدى الناس بعده بطريقته
 وعملوا في ذلك بمقتضى سنته * اذا وضع ذلك فالذي يجب اعتباره ويتمين استمراره
 ويعتمد في ديوان السلطنة بثبوته واستقراره على قسمين قسم يختص بصاحب ديوان

الجيش وقسم يختص بصاحب ديوان الاموال * أما ما يتعلق بصاحب ديوان
الاموال فيأتي مشروحات شاء الله تعالى

﴿صاحب ديوان الجيش﴾

وأما ما يتعلق بصاحب ديوان الجيش فأمور كثيرة لسكن اذا ذكرت أصولها لزمها
فروعها وهي اثبات المستخدمين من الجنود وعظائمهم وقراراتهم من الاقطاع والنقد
ولسكل واحد من هذين الامرين شروط لا يجوز الاخلال بها ولا ينبغي الاعراض
عنها * أما الاثبات والاستخدام فانه يستدعي اعتبار صفات خمسة منها واحد مختلف
فيه وأربعة متفق عليها أما المتفق عليها فالبلوغ والاسلام والسلامة من أسباب
الجهز كالزمن والعمى وكل ما يمنع القتال معه فأما المخرج فان كان من يستخدم
ليقاتل راجلا فيمنع الاستخدام فلا يشبهه وان كان من يقاتل راكبا فانه لا يمنع من
الاستخدام فيشبهه والارابع أن يكون قوي البنية عارفا بالقتال غير جبان فهذه
الاربعة المتفق عليها وأما المختلف فيها فالمجربة اعتبرها الشافعي رضي الله عنه
وأسقط اعتبارها أبو حنيفة رضي الله عنه فاذا كانت هذه الصفات حاصلة في واحد
وطلب أن يكون في الخدمة ليثبت في ديوان الجيش ويجبر عن الاعمال الشاغلة
والاوانع القاطعة فيجيبه وفي الامران كان الاحتياج يدعو اليه وان لم يكن هناك
حاجة داعية فلا اذا استخدم وأثبت في ديوان الجيش فان لم يكن معروفا مشهورا بل
كان خاملا مغفورا فجليه كاتب الجيش ويصفه ويدكر ما يميز به ويعرفه ولا يقتصر على
مجرد اسمه فان الاسماء قد توافق والالقباب قد تتطابق ثم يضيفه الى مقدم يحبه
أو نقيب بحيث يرطاه ويعرفه فاذا أثبتهم نزلهم منازلهم على أقدارهم وراعى في
ترتيبهم أسباب اعتبارهم ولا اعتبار ترتيبهم جهتان جهة عامة وجهة خاصة

﴿ترتيب القبائل﴾

أما الجهة العامة فترتيب القبائل والاجناس فاذا كانوا عربا اعتبر القبائل والانساب
فيقدم في ترتيب العطاء واثباته الاقرب فالاقرب من شجرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويعتبر في ذلك قاعدة انساب العرب فان انسابهم على ست طبقات شعب ثم
قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الانخاذ
والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العماثر والشعب يجمع القبائل فالشعب هو
طرف النسب الاعلى من جهة البعد والفصيلة طرف النسب الادنى من جانب
القرب فعندنا مثلا شعب فخذنا شعب القبائل ومضر منها قبيلة ثم من القبائل

العمائر فنها قريش عمارة ثم من العمارة البطون فثم عبد مناف بطن ثم من
البطون الانفساذ فثم عبد المطب فخذ ثم من الفخذ الفصائل فثم عبد الله أبو النبي
صلى الله عليه وسلم فصيلة وعلى اعتبار ذلك ترتيبهم على قرب أنسابهم وسابقتهم في
الاسلام وان لم يكونوا عربا وكانوا أجناسا مختلفة فالأولاء والكراد والديلم وغير ذلك
من الاجناس فيعتبر في ذلك تقدمهم في الاسلام فان لم يكن لهم تقدم بأن استوفاه
أولم يعلم حاله فيعتبر قريش من ولى الامر فان استوفاه يعتبر أعلاهم درجة في
طاعة الله ونصرتة فهذه الجهة العامة

وأما الجهة الخاصة بعد التساوي في الجهة العامة فيعتبر في تقدم الواحد على غيره
التقدم بالسبق فان استوفاه فالتقدم بالشجاعة فان استوفاه فولى الامر ان
شاء يتقدم بالقرعة وان شاء من يقتضيه نظره واجتهاده فهذا ما يتعلق
بالترتيب والتزليل وأما عطاؤهم فليس النظر في حال المرتبتين في ديوان
الجيش واعتبار ما يحتاج اليه كل واحد منهم في سنة لنفسه وأولاده ولوازمه
وهما اليك ودوابه من طعام وكسوة وعسوفة ومائد وعواجته اليه ثم بعد اعتبار
ذلك يعتبر بحاله في الغلا والرحص فيقدر له ما يكفيه لذلك كله ويستغني به لسنة ثم
يتفقد آخره كل حين فاذا زاد في ثألته ولوازمه زاده بقدر ما تجدو يعتبره
كل سنة ثم يختلف أهل العلم اذا كان قريش له ما يكفيه ويقوم بموته فكثرت
أموال بيت المال وتجددت زيادات وزادت متجددات فهل يجوز ان يزداد قراره على
قدر كفايته ويعطى قسطا أو ثأدا على ذلك فذهب الشافعي رضي الله عنه الى انه
لا يزداد على قراره الذي يكفيه ولا يعطى بسبب الزيادة المتجددة لبيت المال زيادة
فيه وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه الى جواز الزيادة عند اتساع المال
في ترتيب المعاش والكلام على الاقطاعات

ويجعل اصرف قرارهم اليها وقتا معين في السنة أما في أولها أو في وسطها وان جعله في
كل فصل جاز فان عرا على أحدهم موت أو قتل وله ذرية صار ما كان قد استحققه في
المدّة الماضية حقا لهم بطالبون به وأما في المدّة المستقبلة فقد اختلف العلماء في
أن نفقة ذريته هل تصرف اليهم من القرار الذي كان باسمه في الديوان أم لا فذهب
من أوجب له متوفر دواعي الناس على الخدمة وبذل النفوس في الطاعة ومنهم من منع
ذلك لا تقطاع الاستحقاق بموت المستحق وكذلك اختلفوا لو طرأ زمانه على
المستحق فهل يبقى استحقاق نفقته في عطائه الذي كان مقررا باسمه أم يسقط على

الخلاف المذكور ولو أرادوا الامر قطع بعض الجند المستخدم في الجيش واسقاطهم من ديوانه فان كان قد ظهر منهم ما يوجب قطعه أو حدثت عدو يقتضيه جازله ذلك ولا جناح عليه وان لم يكن شيء من ذلك فلا يجوز قطعه وان أراد بعض الجند اخراج نفسه من الديوان وقطع الخدمة فان كان عنه استعانة جازله ذلك ولا يمنع منه وان كانت الحاجة تدعو اليه فلا يجوز واذا جردت طائفة من الجيش للقضاء على العدو فامتنعت من ذلك فان كانوا كفاء العدو سقط قرارهم ومستحقهم ولا يصرف اليهم وان ضعفوا عن العدو لكثرة فلا يسقط ومن ماتت دابته في حرب عوص عنها وان تلف سلاحه في قتال عوص عنه وان لم يكن داخل في قراره * وأما الاقطاعات فيلزمه امعان النظر في تحرير اعتبارها وتقدير غيرها بنسبة بدارها وتقدير متحصلها بتقدير مغلها الممدد تحتلف في ريعها وأسعارها واخراج ما بين أول الحبل والاقطاع من المدة عن أجزاءها في استنبالها واستنبالها ثم اثبات ما على فلاح النواحي المقطعة من الحقوق المقررة والرسوم المقررة واللوازم المشورة والقسم المعتمدة وتنزيلها في منشور عن حوت تلك الناحية في اقطاعه وقراره وذكر الاشتراط عليه فيه أنه لا يتعدى حده بتناول ما ينير ذلك عن استقراره واستقراره ثم يضبط حدودها وقطعه ثم لا يدأ حديثه الى زيادة في مقدارها ثم يحتاج كلاً في تكميل عدة الرجال المضاعف استخدامهم اليه وعدة الاسلحة التي أرجبها شرع الخدمة عليه ويستعرض البرك التام الذي به يستظهر على الاعداء والحروب ويعتبر في دفع جوارح الاسلحة عند اللقاء عن الرأكب والمركوب هذا الى اقامة حساب الجرائد وادامة العمل بتكميل أسباب المقاصد واجراء كل ما يتعلق بالجيش على أجل قواعد العوائد * فهذه جل من أصول عمل الجيش بحكمها العارف بقرايتها المستغنى بدرايتها ومعرفته عن شرحها وتبينها

﴿ كتابة ديوان الاموال ﴾

﴿ الطبعة الرابعة ﴾ كتابة ديوان الاموال وهي طبعة صاحب الديوان لما كانت السلطنة لا يتم نظامها ولا ينتظم تسامها ولا يدوم أحكامها ولا يحكم دوامها الا بالاعراء والاجناد والرعايا والنفود والعساكر الاجلاد في الجلاذوه ولا يصح جامع طاقتهم ولا يقرب نازح خدمتهم الا بأموال تدر أخلافا عليها وأرزاق كافلة فيه تصل اليهم ولا حرم كانت الاموال في الحقيقة للسلطنة قواما وتشمل استقرارها واستمرارها نظاما فيجب الاهتمام بحفظ جهات الاموال وتأمينها وتعيين القيام بتسهيل موادها

وتيسيرها

وتيسيرها ولهذا منظم مطلوب الوزارة الاعتناء بأموال الاموال وتيسيرها ومساعد
الديوان وان كان فرعاً من فروع الوزارة فان ولايته واسعة من يالته جامعة ومكتبة
في جهات الاموال بتقصيره وتشميره خافضة رافعة وهو في الحقيقة كافل لرجل
المملكة وحاصل أفعالها وعامل لأموال الدولة وحارس أعمالها ونائب كاتبة
آرائه لتوفير جهاتها وتمير أموالها وبذلك جهود في ادامة جوارها بعد وفائدها
وذخايرها وأرزاق رجالها فيتعين عليه أولاً حصر الجهات الاموال وأقسامها
وتنظيم في تفاصيلها وأحكامها وحيث كانت الاموال التي جعل الله تعالى بيد
السلطنة زعام استخراجها ونطاق بنظريتها قامة منهاجها ونطاق بسلطانها مواد
أشجارها وأوجب عليها سلوك سنن الحق والانصاف في أخذها وإخراجها
متنوعة المواد بمئة الافواع متنوعة الاعداد متعددة الاتساع مرتفعة الازداد
متزايدة الارتفاع يكاد لسان القلم ان رام حصرها أن يعترضه حصر أو تطاول
الى استقصائها أن يمنعه قصر وجب ذكر أصول الاموال دون فروعها فانه يلزم
قبل بيان تالي كل قضية بيان موضوعها فاذا أحكم صاحب الديوان معرفة
أصول الاموال استظهر على استخراج أحكامها وقد رعى استقناع مقصد الولاية
ومرامها * وأصولها عشرة جزئية ونزاع وعشور وأجور وركوات وأمان
ومقاسمات ومسايج وغنيمات وفي عهدنا ولكل واحد من هذه الأصول
أحكام سوفها الشرع ورسوم قررهما الوضع والتخريف على ابداء شعارها
والبحث على اجتناء شعارها من لوازم الوزارة وأثارها وصاحب الديوان هو المباشر
لقيام بواجبها المتأخر على انقسام رواتبها

(الجزئية)

(الاول) الجزئية قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا
الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون الجزية هي البراءة المأخوذة
بعقد الذمة من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وتؤخذ من الجوس وفي
السامرة والصائبة بخلاف ولا تؤخذ الجزية من امرأة ولا مملوك ولا عبيد ولا مخدوم ولا
خنثى مشكل وأقل الجزية ديناراً أكثرها مئوون الى الاجتهاد والاولى أن يكون على
الفنير المكتسب دينار وعلى المتوسط ديناران وعلى الغنى أربعة دنانير فان قرر عرضاً
عن الدينار دراهم كان عوض كل دينار اثني عشر درهماً ومن مات منهم أو أسلم

وحيث بعد تمام السنة لم يسقط عنه ما وجب عليه وإن كان ذلك في أثناء السنة
فالحجيج أنه لا يسقط ما مضى ومن أعسر به لم تسقط عنه وإذا أيسر تؤخذ منه ولا
يجوز إسقاطها أو المسامحة بها

الخراج

يأتى الخراج قال الله تعالى أم تسألهم خراجاً فراج ربك خير وهو خير الرازقين
الخراج هو المال المؤدى عن رقاب الأرض بشرط مخصوص والأراضي أربعة أنواع
الاول ما أحياء المسلمون فذلك أرض عشر لا يكون عليها خراج الثاني ما أسلم عليه
أعدائه فهم أحق به فعند الشافعي هي أرض عشر لا يكون عليها خراج الثالث ما أسلم عليه
ما كان قد صولح عليه المشركون من أراضهم فهي أرض الخراج ثم منها ما يكون
أهلها قد انحلو عنه فتصير تلك الأراضي وقفاً على مصالح المسلمين ويضرب عليها
الخراج وتكون أجرة مقررة على الأبد لا تؤثر فيها الجهالة ولا يجوز بيع هذه الأراضي
المختصة بهذا الخراج ومنها ما يقيم أهلها فيه ويصالحون على إقراره بأيديهم بخراج
يضرب عليهم ثم الخراج المضروب على الأراضي يختلف بمقداره باختلاف غناء
الأرض فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ضرب الخراج على سواد
العراق استبر ذلك وكان كدرى أول ما سمح السواد وضرب عليه الخراج فراعى
ما يحتمله الأرض وسأله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن
حنيفة إلى العراق أمره بالمساحة ووضع ما تقتضيه الأرض فمسمع ووضع على كل
جريب من الكرم والشجر المثلث عشرة دراهم ومن النخل ثمانية دراهم ومن قصب
السكر ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم ومن الحنطة أربعة دراهم ومن
الشعير درهمين فهذا كان عمله في أرض العراق وعمل في أرض الشام غير ذلك
رعاية لأحوال الأرض واختلاف أحوالها من ثلاثة أوجه الأول لذاتها الثاني
لذات المزروع ولتفاوت قيمته فإن الحنطة أعلى من الشعير الثالث لمحالها في السقي
وغيره فراعى هذه الأحوال في ضرب الخراج أيضاً ليخفف بأحدى الجهتين

العشور

الثالث العشور والعشر ينقسم إلى قسمين أحدهما يجب في الزروع التي
سقيت بماء السماء على تفصيل فيه وهو مذكور في الزكوات الثاني ما يؤخذ من
أموال الكفار فإذا دخل شيء من أموال الكفار أهل الحرب إلى بلاد الإسلام
المتاخمين لهم وقد استقر الصلح معهم على أخذ العشر أو الخمس أو أكثر منه أو أقل منه

أثبت ذلك الشرط في الديوان حفظا لا اعتبارا وإن كان فاوت فيه بين الامتعة وأنواع الاموال أثبتته أيضا وقرره واستوفاه على مقتضى الشرط أما أعشار الاموال المنتقلة في دار الاسلام من بلد الى بلد فمنوع منه شرعا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس العاشرون

﴿الاجور﴾

الرابع الاجور وهي أجرة كل مكان من حقوق بيت المال أو جارية شرعية ولا يجوز أن يؤجر مكانا ليساع فيه خرا أو ما جائسه ولا يحل ذلك له عند الشافعي رضي الله عنه

﴿الزكوات﴾

الخامس الزكوات وهذا نوع عظيم الاحكام كثير الاقسام فان الزكاة تتعلق بالذهب والفضة والابل والبقر والغنم وعروض التجارة والزروع والثمار والمعدن والركاز فاما الذهب فانه اذا بلغ عشرين مثقالا فصاعدا تعلق وجوب الزكاة به فيجب منه ربع العشر والفضة اذا بلغت مائتي درهم فصاعدا وجب فيها ربع العشر واما الابل فأول نصابها خمس الى خمس وعشرين يجب فيها عن كل خمس شاة وفي الخمس والعشرين بنت خمساض وعمرها سنة فصاعدا الى ستة وثلاثين وفي سنة وثلاثين بنت لبون وعمرها سنتان فصاعدا الى ستة وأربعين وفي ستة وأربعين حقة وعمرها ثلاث سنين فصاعدا الى احدى وستين وفي احدى وستين جذعة وعمرها أربع سنين فصاعدا الى ستة وسبعين وفي ستة وسبعين بنتا لبون الى احدى وتسعين وفي احدى وتسعين حقتان الى مائة وحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ثم يستقر الحساب في كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة واما البقر فأول نصابها ثلاثون وفيها تيسع وعمره سنة وفي أربعين سنة وعمرها سنتان وهكذا الحساب واما الغنم فأول نصابها أربعون وفيها شاة الى مائة وحدى وعشرين وفي مائة وحدى وعشرين بنتان الى مائتين وواحدة وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه ثم في كل مائة شاة واما عروض التجارة فمقوم ويعتبر المحول ورأس المال والربح على تفصيل مبسوط فيه ويؤخذ منه ربع العشر بشرائطه واما الزروع والحبوب القطن ان سقيت بماء السماء أو السج فيؤخذ منها العشر بعد التصفية والتنقية وان سقيت بالنواضح يؤخذ منها نصف العشر اذا بلغ مقدارها ثمانمائة منا

فصاعدا ولا يمنع من أخذ ذلك كون الأرض المزروع فيها خراجية بل يجمع بين العشر والخراج عند الشافعي رضي الله عنه وأما المعدن فيؤخذ مما يخرج منه من ذهب أو فضة خمسة على قول وربع عشره على قول وأما الركاؤ فيؤخذ ان كان دفين المجاهلية خمسة اذا كان في موات وفي تفاصيل شروط الزكوات وجوبا واستخراجا وصرفا واخراجا أبحاث كثيرة ومساائل متعددة لا حاجة الى تسطيرها في هذا الكتاب وفي القدر المذكور ومن التنبيه على أنواع الزكاة كفاية في هذا الباب

(أمان المبيعات)

(السادس) أمان المبيعات قد تدعو الضرورة في بعض الاوقات عند تضاعف مواد الخراجات وتراد في ذوى الحاجات الى سد ثقب وعمارة ثغر وتجهيز جيش وهجوم عدو ومداراة معاند ودفع خارج وتنسيق الاموال الحاصلة والنقود المنتشرة عن الوفاء بذلك فيجوز بيع شيء من الاملاك المنقولة الى بيت المال رعاية للاضطراب واعتناء بالعمل الاحوط وكذلك أمان مبيعات دنوانية وأعوانى مصالحات عن أمور سلطانية كل ذلك من أمور السلطنة وحقوق المملوكة ويتعين عليه في بعض ذلك ما يتعين على الوكيل المطلق من رعاية ثمن البتل والنقدية والتحول

(المقاسمات)

(السابع) المقاسمات لا يكاد يخفى حكم المقاسمة على من انتصب لخدمة السلطان ورسم نفسه بصاحب الديوان والتم بالولاية جمل أعباء هذا الشأن متى خرجت مسايح الاوضين من الديوان وكان قد تقررت القسمة مع أربابها بحزبه معلوم من تلك أرباع أو غير ذلك من الاجزاء يصيب اتساع ذلك ولا يجوز أخذ الزائد على المشروط وقد تقدم استخراج العشر من الغلال وطريق ذلك المقاسمة مع أرباب الاموال

(الغنيمة)

(الثامن) الغنيمة وهو ما يؤخذ من الكفار بالقتال والايحاف فأربعة أجزائها للغانمين وخمسها لخدمته خمس نفوسه عرصة لا يصالح العامة

(الفيء)

(التاسع) الفيء وهو كل مال يؤخذ من الكفار من غير قتال وكل ما هو بواعنه وكل

مال مات عنه من لا وارث له وهي الاموال الخيرية

﴿المعادن﴾

(العاشر) المعادن أجناس والعلماء قد اختلفوا في مقدار ما يؤخذ منها وفي الجفيس المأخوذ منه والمختار ما تقدم في نوعه في الزكاة فان كان لها قرار مثبت في الديوان عن اجتهاد من تقدم فيعمل به وان لم يكن هنالك قرار فعمل بما ذكرته * فهذه اصول جهات الاموال السلطانية ومواد الحقوق الدوانية وهي وان كانت محتصرة الالفاظ فلها لازم وثواب وفروع مبسطة المعاني لا يجوز اغفالها ولا اهمالها ويستعمل البقطة في التطلع الى احوال المستخدمين بين يديه ويتبع قضايا من استنابه في بعض الاعمال واعتمد عليه ويلزم كل عامل بحساب عمله ويؤخذ به بما يظهر عليه من خلله ويسترفع شواهد الاعمال لاوقاتها ويستطلع عوائد العمال في خلواتها فن احضر حساب عمله محررا ووجدته في حسابا شرا لا طائنا ولا مقصرا ولم يكن في حليمة اللعب واللهو ومنهم من لا مشهورا استخدام استخدامهم وادام اكرامه وزاد احسانه اليه وانعامه وشكر نهضته في عمله وقسامه ومن نكسب منهم عن سنن الصواب وركب مطا الاضطراب قطعته عن مباشرة الاسباب وجرعه من الاهانة صاب الاوصاب وليجهد في أن لا يدخل عليه في شئ من احواله خلل ولا يتطرق اليه من جهات الاعمال والعمال زلل فانه مطالب بعهدته ما تقبله محاسب في الدنيا والآخرة على ما اعتقده

﴿الطبقة الخامسة﴾

سائر الخاشية المرتبين بصدد المهام المستبدين للقيام باتمام المسراد والمرام المعدودين من اصحاب المناصب الجسام والمراتب الوسام فيجب نراهم عن مواقف التهمة واحترازهم عن سوء ظن الرتبة واتصافهم بالامانة واجتنابهم وصمة الخيانة خصوصاً من كان منهم ناقلا عن السلطان واليه وشهد في الحقيقة له وعليه وهو المرتب للعجبة والمستندب للرسالة فان أدنى زلل يقع منهما أو أقل خلل يصدر عنهما يفتح باب فساد لا يسهل بثقه ويقدر في الدولة قدحا يتسع خوقه فلهذا اعتبر قديما فيمن يقوم بالمصالح معرفة ودين وأمانه وصدق ومروءة وتراحمه نفس لئلا يستمال بشئ من الرشوة فيضيع مصالح الدولة والقلم في هذا المقام مقال واسع ولن

تقدم من العظام فيه كلام نافع لكن صدق عن بسط لسان القلم به عذر من الامالة
مانع وعلى المجلة فاهما لا واغفاله سيف قاطع ومهم نافع

(القاعدة الثالثة في الشريعة والدلائل)

الشريعة هي المحجة الواضحة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعها
والحجة القاطعة التي أدحض بها شبه المبطلين وقطعها والطريقة المثل التي بناسها
على قاعدة الوحي والتنزيل ووضعها والحقيقة العليا التي أعلاها الله على جميع
الشرائع والمال ورفعهها فهي سبيل يفضي بالسالك الى الصراط المستقيم ودليل
يهدى متبعه الى الفوز العظيم ولقد تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضاء
نقية للمأثورين وأقام لها شاهدا من القرآن الذي هو لسان صدق في الاولين
والآخريين وجعل لها حجة وحجة فماتها الملوك وحانتها العلماء فأما الملوك الذين
أقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ الملة وحماية الشريعة فقد تقدم القول في
تفاصيل صفاتهم وفيما يتعين اعتقادهم من صنوق تصرفاتهم وأما العلماء فهم القائلون
بعمالها المعتنون بنقلها المحاملون عبيد ثقلها في الحقيقة هم بأحكام أحكامها
معتنون يعتدون بها ذرايهم لا ينفج مال ولا ينون وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق
بعض درجات واختص من يشاء منهم من لطفه بمزايا وصفات فأقدارهم مرتفعة
بالصفات دون الذوات ومرتبتهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا عنه من الخيرات
فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات أما النظام
لنفسه فهو الذي لا يهمل بعلمه ولا يقف عند واجب الشرع وحقيقته فهو على الحقيقة
تابع هو بائع هدايه فينبغي أن لا يفوض اليه أمر ديني ليتولاه فان لم ينصح
نفسه خليف به أن لا ينصح من سواه وأما الآخرون فجدير بهما أداء أمانة
ما تمحلاه وحقيق بهما الترويض بأعباء ما تقلداه فان الاعمال الدينية هي ابدأ
مبدأ أهل الاهتداء الى طريق الحلال والحرام والاعتناء فيما يعرض من الوقائع
والاحكام والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام والاعتناء بأمور المستضعفين من
الايام والايام ثم الحسبة التي هي من شعائر الاسلام وهي مشاركة للقضاء في
كثير من اقسام التقض والابرار هذا الى تعليم العلم ونشره وتفهم غامضه
وذكره واشتغال كل فقيه بمقدار ما يحتمله اذا قدر فهمه حتى قدره الى غير ذلك
من الامور الدينية التي منعت الشريعة المطهرة من اهمالها وأوجبت على من

هو ظل الله في أرضه النظر في أحوالها وحرمات عليه الأعراض عن تقديسها
مضافة اختلاها من أوقاف قصدوا وقفها للتقرب إلى الله تعالى ليعرفوها إلى
جهات الاستحقاق وايصالها إلى أربابها لينالوا بها ميرة الأرزاق وهم المخصص
المتعلقون عند الله تعالى بمعلولها وماله من الله من راق والغرماء المتعلقون
في عرسات القيامة من ميعادها يوم صيحة واحدة ماله من قواق وكيف لا وهي
سبب خير كثير وباب كبير من أمانة أسير وأمانة فقير وأسعاد فقير وأسعاد
طالب علم وأرفاد صوفي وميرة عابد وثقة منقطع وسدقة محتاج وأطلاق
محبون وصلة رحم وجبر كبير ومداواة مريض وإقامة وظائف مدارس
العلم التي بها تحفظ أحكام الشريعة وأدراك أركان عمدة المساجد بإقامة
الجماعات من الأئمة والمؤذنين والقومة والقراء فهذه الأصول من قواعد البيانات
والفصول المعتمدة من محاسن الحسنات لا يجوز تفويتها إلا إلى متصف
بما شرطته الشريعة الشريفة من الصفات واعتبرت وجوده في صحة تقليد
هذه الولايات من عدالة لا يجوز العدول عنها وأمانة لا يصل الانحلال بها
وكفاية لا ينبغي الخلو منها فإن تولى شيئاً من هذه الأعمال فاسق أو خائن أو
عاجز لا يصح ولايته ولا تحصل مباشرة ويكون من ولاء ذلك عالمه عاصياً
آثمًا يطالبه الله عز وجل يوم القيامة بعهدته ويؤاخذ به بقوله إذا ظهرت هذه
الجملة تفصيل القول فيها أن أركان أصولها وفصولها المذكورة أربعة الفتياء
والقضاء والمحبة وأمر الأوقاف ولكل واحدة من هذه الرتب شروط تخصها
وأمر يتعلق بها وأحكام تنبئ عليها وهذا بيان شافي يشرح هذه الأركان
وأهايا ويوضح أن من لا أهلية له لا يعمل أن يتعرض لها

والركن الأول الفتياء

الفتيا وهي ركن عظيم من الشريعة وعليه عول الصحابة رضي الله عنهم بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدى بهم التابعون ومن بعدهم إلى زماننا
هذا والكلام في صفات المباشرة للفتيا القائم بها وهو المقتضى المسلط على أحكام
الشريعة نصاً واستنباطاً فلا بد له من أوصاف يصير بها متوصلاً إلى استخراج
الأحكام وأهلاً لقبول قوله في الحكم المستفتى وهي العقل والبلوغ والعدالة
واجتناب المعاصي القصادة فيها ومعرفة اللغة وفهم كلام العرب وعلم النحو

والاحاطة من القرآن الكريم والاحاديث النبوية بما يتعلق بالاحكام والعلم بما
يختص بذلك من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومطلق ومقيد ومحمل ومبين ومقدم
ومتأخر ومتواتر واحاد وصحيح وسقيم واجماع وخلاف وأقوال الصحابة والمجتهدين
وكذلك يعلم أقسام الاحكام من الواجب والمندوب والمجائز والمحصر والمكروه
وأقسام الاوامر والنواهي وما يتعلق بها وعلى الجملة فمعرفة أصول الفقه شرط
لابد منه واذا حصلت هذه الصفات وكانت هذه الشروط فلا بد معها من غريزة
نفسانية لا تحصل بالاكتساب فتاعة النفس واستقامة الذهن بحيث يحصل
بها استكمال هذه الاسباب لمعرفة الحكم المستقضى فيه فان قيل فمن لم يعرف هذه
الاسباب ولا حصلت له هذه الصفات هل يجوز أن يفتي وهل تقبل فتواه قلت
ان فقد العقل أو العدالة فلا يجوز له الافتاء بالاجماع فان قول الفاسق ومن لا عقل
له لا يقبل وان كان عاقلا عدلا ونقل الحكم عن غيره وحكاة عن امام درج الى
رجة الله تعالى فقد اختلف الناس في جواز فتياه فذهب بعضهم الى انه لا يجوز
ومنع منه وذهب آخرون الى جوازه توسعة للامر على الناس ورفعناهم

الركن الثاني القضاء وشروطه

القضاء وهو من أعظم الاركان وقعا وأعمها نفعا وعليه مدار مصالح الامة
عقلا وشرا والمقصود به نصب ميزان العدالة في الاحكام وفصل القضايا بين الانام
عند الخصام وبسط بساط التناصف بين الخاص والعام في النقض والابرار وان
يتم هذا المقصد من مباشرة الا اذا كان كثير من الاخلاق النبوية من صفاته
وما ثره من متانة دين نزعته عن موارد الهوى ومصادره وغزارة علم يهتدى
بنوره في باطن كل أمر وظاهره وعفة نفس تحميه عن مواقف التهم وشرف همته
تحميه على اكتساب مكارم الشيم ونزاهة تقي عوضه عن أن يتهم فيما به حكم
وأن يكون متضلعا من معرفة آداب القضاء متعلما بتجربة قد كشفت له حقائق
الاشياء رحيب الصدر ثابت الرأي لا تتزعزع حصاته اذا طاشت ثوابت الآراء
هذامع الارتداء بجلباب الوقار والتدريج بشعائر النزاهة عن الاكدار والتجنب
لفعل كل ما يحوج الى الاعتذار وسلوك السنن القويم عساه يكون أحد القضاة
الثلاثة الذين في الجنة ولا يكون أحد الا نحرين اللذين في النار فان قيل قد أجلت
القول في الجلباب الذي يتعين على الحاكم الارتدائه وأعرضت عن تفصيل ما يجب

التبعية عليه من لوازم القضاء وآدابه وكنت عن السنن القويم الذي من باغ
 عنه حكم عليه بطلبه ومن أمه واقفاه حصلت له النجاة بسببه ومن لم يعلم تفاصيل
 الآداب ويزن بين القشر واللباب ففصل أيها المصنف ما أجلته وبين ما أهملته
 ليحلم عند تتبع أحكام المحكام أي الفريقين أحق بالامر من العطب وأي
 الحزبين يقال لهم انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لأظليل ولا يفني من الالهب
 قلت اعلم ان ولاية القضاء تستدعي تقدم أوصاف في مباشرها حتى يجوز له الارتقاء
 إلى ذروتها ويستلحق آداباً يؤمر بحكم الولاية بالقيام بها والاستمساك بعروةها
 وأنا الآن أفصل كل واحدة من هاتين الحالتين المذكورتين في جهتها أما الأوصاف
 المشروطة في هذه الولاية فهي الإسلام والحريّة والبلاغة والعقل والذكورة
 والسلامة في السمع والبصر واللسان ولا يشترط بالعقل الذي هو مناط التكليف بل
 ينبغي أن يكون صحيح التمييز جيد الفطنة بعيداً عن السهو والغفلة يتوصل بذلك
 إلى وضوح ما أشكل وفصل ما أعضل ثم العدالة وهي أصل في ذلك ومدارها على
 اجتناب البكائر وترك الأضرار على الصغائر وحفظ المروءة والكبيرة من
 الذنوب ما يوجب جدّاً وقيل ما يحق الوعيد لفاعله بنص الكتاب أو السنة أو الصغيرة
 ما ليس كذلك من الذنوب ويندرج فيما ذكرناه على رأى بعض الأصحاب
 أن من ترك فريضة واحدة من الفرائض مع العلم حتى تخرج وقتها من غير عذر
 فلا حد له عليه وكذا من اعتاد ترك السنن الرواتب وشبهها إلى ركوع والسجود
 وأما المروءة فهي حسن السيرة ومحاسنة الدنيا فتلخص من ذلك أن يكون
 صادقاً للهجة ظاهر الأمانة عفيفاً عن المحارم متوقفاً للآثم بعيداً من الريب
 مأموناً في الرضاء والغضب معتمد المروءة مثله في دينه ودنياه وأن يكون
 عالماً بالاحكام الشرعية عارفاً بالكتاب والسنة والاجماع والاختلاف والقياس
 ولغة العرب ولا يشترط معرفة ذلك جميعه بل يعرف من الكتاب والسنة
 ما تقتضيه الاحكام اليه بحيث انه يقدم المحكم على المتشابه والمخاص على العام
 والمبين على الجمل والتامخ على المنسوخ وبينى المطلق على المقيد ويقضي بالمتواتر
 دون الآحاد والمسند دون المرسل والمتصل دون المنقطع وبالاجماع دون
 الاختلاف ويعرف أنواع الأدلة وما يتعلق بها ليرجع بعضها على بعض ويعرف
 أقسام الاقيسة ليتوصل بها إلى الاحكام فانه ليس كل حكم منصوصاً عليه
 وأقسام القياس المعبرة ثلاث جلي وواضح وخفي فالجلي ما يقع السامع عليه بأول وهلة

من غير أعمال فكر وهو أنواع بعضها أجلي من بعض وأما القياس الواضح فهو أن يستنبط علة الحكم من محل الحكم المنصوص عليه وبأخذ معنى الاصل بكمله في الفرع وأما القياس الخفي وهو قياس الشبه فهو أن تكون المحادثة الواقعة تشبه أصليين مختلفي الحكم ويكون أحدهما أكثر شبهها بهما من الآخر فيلحق بالأصل الذي شبهه أكثر وهذه الأقسام الثلاثة أرجحها القياس الجلي فإنه لا يحتمل الاعمى واحدا فأشبه النص ولهذا يجوز نقض المحكم إذا وقع على خلافه بخلاف القسمين الآخرين وأما الآداب التي يؤمر بها فأمر كثيرة منها ما هو واجب ومنها مستحب وأنا أشير إلى بيانها على وجه الاختصار فأقول ينبغي أن يكون شديدا من غير عنف ليناً من غير ضعف ويجعل مجلسه في وسط البلد لتستوى الجهات إليه ويتخذ كاتباً عدلاً أميناً كاملاً العقل عارفاً بشروط الكفاية ويجلسه قريباً منه ويتخذ قاسماً أميناً على صفة الكاتب وزيادة معرفة الحساب لأجل وقائع الاملاك المتجددة وأن يشاور العلماء في الوقائع الاجتهادية ويستحضر الشهود إلى مجلسه وأن يفرد بسجادة عن المحاضرين ويبحث الخصمين على الصلح بعد ظهور الحكم له قبل فصله وبته احترازاً عن التضامن بينهما فإن أبيات الحكم عليهما ولا يبيع ولا يشتري بنفسه ولا يجعل له وكيلاً معروفاً في البلد لئلا يراعيه الناس في البيع والشراء ولا يستغل عن حال المحبوسين وكشف أمورهم فيطلق من حبس ظلماً ويستديم من حبس بحق ومن جهل حاله أشاع أمره لينكشف وفي مدة الأشاعة لا يحبس بل يوكل عليه من يحفظه أو يطالب بوكيل لا غير ثم ينظر في أمور اليتامى وأموال الاطفال ومحاسبة الاوصياء ثم في أمور الامناء الذين نصبهم الحاكم قبله ثم في أمور الشهود فيقيم المزكين والمترجين إذا دعت الحاجة اليهم ولا يقضى عند تغير طبعه واختلال خلقه بتغيب أو خزن أو فرح أو جوع أو عطش أو حر أو برء أو مؤلم أو عند مدافعة الاختين أو عند غلبة النعاس فان خالف وقضى نقد قضاؤه ويحرم عليه أن يرتشي فان أخذهما ففيها وجهان أحدهما أن ترد إلى أصحابها والثاني أنها تحمل إلى بيت المال لمصالح المسلمين وإذا حضره خصمان فلا يخص أحدهما باذن ولا زيادة بشر ولا قيام ولا محادثة ولا نظر ولا يرفع أحد الخصمين في المجلس إلا أن يكون مسلماً وخصمه ذمياً ففيه خلاف ويقدم السابق فالسابق في فصل التضايا فان تساوا قدم بالقرعة في قضية واحدة فان كان فيهم امرأة أو مسافر ورأى

المصلحة في التقديم قدمه ومهمل ما جرت قضية كتب فيها مكتوبا بشرحها وادخره احتياطاً ومن جرت منه اساءة أدب في مجلسه عزروه بما يراه ويعزرون شاهد الزور وينبئني ان لا يأخذ في الله لومة لائم ولا يحكم بخلاف علمه قولاً واحداً وفي حكمه بعلمه خلاف مشهور ولا يقضى لنفسه ولا لولده وان سفل ولا لوالده وان علا وعلى الجملة فلو بسط القلم لسانه لاستقصاه لوازم هذا الباب واستيفاء ما لولاية القضاء من الشروط والآداب لذت بذلك أطناب الاطالة والاطناب وتخرج عن الاختصار المشروط في هذا الكتاب وفي هذه النبذة اليسيرة كفاية لمن وعها وهداية مغنية لمن رعاها

﴿خاتمة لهذا الركن﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقلب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على التواء عدل المسكية في المتاعدا العلية والمقاصد المرعية لاسيما في المراد الشرعية أن يتطاع الى الوقوف على شيء من جزئياتها ويتوقع معرفة شيء من أحوال سالكى طرقاتها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجماعين أصناف صفاتها المتعارفين وصياد صفاتها وبين القانعين منها بمنجرد أسماء شبهاتها المتابعين أهواء نفوسهم الامارة في ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القسامين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين وادكار نافع والذكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضية الشريعة هذا وضعها وولاية أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يجمعها وفي ذكر بعضها تبصرة يجمع نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لا حاجة معها الى زيادة تذكره

﴿القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحي﴾

قال غير المدنى قديم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكره فأرني أن أكتب الى المنصور بالمحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعفني من ذلك فانه يعرف خطي فقال اكتب فكنت وختمت فقال والله ما عفى به غيرك فضيت به الى الربيع حاجبه وجعلت اعتذرا ليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال الناس وقد حضر وجوه أهل المدينة

والاشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم اني دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقرأ اذا خرجت ولا يداني بالسلام ثم خرج و بين يديه السيد والزبيح وأنا خلفه وهزني اذان ورداء فسلم على الناس فساquam اليه أحد ثم مضى حتى بدا بغير النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفت فلبس آه ابن عمران القاضي أم القري رداه عن عاتقه ثم احتجى به وودعا بالخصوم والجمالين ثم دعا بالانصور فدعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للزبيح اذهب فاذا امام القاضي من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حبيبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف صصلة لك فاقبضها فكانت عاقبة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فساأبرك ساوذك السنن النويم واتباع الصراط المستقيم

القضية الثالثة عدل عاقبة بن يزيد القاضي

نقل ان عاقبة بن يزيد القاضي كان يلي القضاء بفداد للهدي بفساء في بعض الايام وقت الظهر للهدي وهو طال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه في من يسلم اليه التمسوا الذي فيه قضايا بمجلس الحكم واستعفاه من القضاء واللب منه أن يقبله من ولايته فظن المهدي ان بعض الاولياء قد عارضه في حكمه فقال له في ذلك وانه ان عارضك أحد انت كره عليه فقال القاضي لم يحسب شي من ذلك قال فما سبب استعفائك من القضاء قال يا أمير المؤمنين كان تقدم الى خصمان منذ شهر في قضية مشككة وكل يدي بيته وشه ودا زيدا في جميع تحتاج الى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما الى أحسب الرطب فعمد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا لا يتريا في وقتنا جمع مثله لا أمير المؤمنين وما رأيت أحسن منه ورشاً بواني بدراهم على أن يدخل الطبق على ولايالي أن يرد عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك وطردت بواني وأمرت برد الطبق فرد عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان الى فاستساوا في عيني ولا قلبي فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فسكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني وقد فسد الناس فأقضى يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفني عفا الله عنك

القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة

روى عمر بن هياج بن سعد قال أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضي قال من طلائ قالت الامير موسى بن عيسى بن عم امير المؤمنين كان لي بستان على شاطئ الفرات فيه نخيل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطاً وجعلت فيه رجلاً فارسياً يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وسائر بني ورثتي فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسة مائة غلام وفاعل فاقبلوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً واختلط بنخل اخوتي فقال يا غلام أحضروني من نخلي فأحضروني فأتوا بها وقال امض الى بابي حتى يحضر معك فيساءت المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أهدى القاضي عليك وهذا حقته فقال ادع لي صاحب الشرطة فدعاه فأتاه فأتاه الى شريك وقال يا شريك ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها على قال صاحب الشرطة ان رأي الامير ان يعفني من ذلك فقال امض ويالك فخرج وقال لغلمايه اذهبا واجلوا لي الى حبس القاضي بساطاً وفرشاً وما تدعوا الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه ألقى الرسالة فقال لغلمايه خذيه فوضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبني فقدمت باأحتاج اليه الى الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدي رسالة أي شيء عليه فقال شريك اذهبوا به الى رفيقه في الحبس فحبس فملاصق الى الامير موسى العصر بعث الى اسحاق بن الصباح الاشعري والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك وقال لهم ابلغوه السلام وأعلموه انه استخفى في واني لست كالعامية فخصوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم مالي اراكم جئتموني في غيرة من الناس فكلمتموني من ههنا من قتيان الحي فأجابهم جماعة من القتيان فقال لياخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس قالوا له أجاد أنت قال حقاً حتى لا تعودوا الرسالة ظلم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجين وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاء السجين فأخبره فدعا بائناً فمطر فحتمه ووجه به الى منزله وقال لغلمايه الحق بقلبي الى بغداد

السياط فلم على شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل انا بالله نجيتك أصليك الله
 أنا رجل أعمل هذا الوشي أجرة كل شهر مائة أخذني هذا منذ أربعة أشهر
 واستنسى في طراز يجري على القوت ولي عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبات
 اليوم فدوهم لأراهم ففعلني ففعل بظهري ما ترى فقال القاضي قم فاجلس مع
 خصمك يا نصراني فقال أصليك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة مربة الى
 الحبس قال قم وذاك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال ما هذه الأثار التي
 يظهرها الرجل من أثرها فقال أصليك الله القاضي انما ضربته أسواطاً يدي
 وهو يستحق أكثر من ذلك مربة الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج
 سوطاً ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصراني وهو يقول لا تضرب والله بعدها
 المسلمين فهم أهوانه أن يخاصوه فقال شريك لفتيان الحمي خذوا هؤلاء الى الحبس
 فهرب الاعوان وبقي النصراني فضر به أسواطاً فجعل يبكي وهو يقول ستعلم فلما
 فرغ من ضربه ألقى السوط في الدهليز وقال لي يا أبا حفص ما تقول في العبد يتزوج
 بغير إذن مواليه نأخذنا فيهما كفافيه كأنه لم يصنع شيئاً وقام النصراني الى
 البرذون ولم يمكن له من تمسكه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال له
 شريك أرفق به وذاك فانه أطوع لله منك ثم قال خذ فيهما كفافيه قال عرفه لسانه
 مالنا ولهذا القديعات اليوم فعساه ستكون لها عاقبة مكرهه فقال لي أعز
 أم الله يعزك الله خذ فيهما كفافيه فذهب النصراني الى موسى بن عيسى فقال
 شريك ففعل في كيت كيت فقال له والله ما أتعرض لشريك فغضب النصراني الى
 بغداد ولم يعد بعدها الى الكوفة

القضية الخامسة عدل عبيد بن طيبان قاضي الرشيد الزرقه

قال الزبير بن بكار حدثني حمي بن صعب قال كان عبيد بن طيبان قاضي الرشيد الزرقه
 وكان الرشيد اذ ذاك بهاء رجلاً الى القاضي فاستعدى اليه على عيسى بن جعفر
 فكتب اليه القاضي بن طيبان أما بعد أبق الله الامير وحقه غلة وأتم نعمته أنا في رجل
 فذكر انه فلان ابن فلان وأن له على الامير ابقاء الله تعالى خمسة مائة ألف درهم فان
 رأى الامير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلاً ينظر خصمه أو يرضيه ففعل ودفع الكتاب
 الى رجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقل له كل
 هذا الكتاب فمرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه أبقاك الله وأمتع

بأن حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقاً فسر معه إلى مجلس
الحكم أو وكيلك إن شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عوزين من أعوانه فحضر باب
عيسى بن جعفر ودفع الكتاب إليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب إليه
حفظك الله وأمنع بك لا بد أن تصير أنت أو وكيلك إلى مجلس الحكم فإن أبيت
أنت أمرت إلى أمير المؤمنين إن شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه ففعلوا
على باب عيسى بن جعفر حتى طاع فقاما إليه ودفعوا إليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به
فعادا فأبلغاه ذلك فخرقه طره وأغلق باباً وقعد في بيته فبلغ الخبر إلى الرشيد فدعاه
وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله لا أفلح
قاص لا يتيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من إقامة الحق
فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لا يراهم بن عثمان سر إلى دار عيسى بن
جعفر وأخبره أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل إليها أحد حتى يخرج إلى
الرجل من حقه أو يسير معه إلى مجلس الحكم فأحاط إبراهيم بداره خمسمائة فارس
وأغلق الأبواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله
ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الأعوان من خلف الباب وارتفع الصراخ في منزله وضح
النساء فسكنهن ثم قال لبعض الأعوان من غلمان إبراهيم ادع علياً اسحق لا يكلم
فأعلموه فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر
القاضي بن طيخان فأمر بإحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن
تدفع إلى الرجل فجاء إبراهيم إلى الرشيد فأخبره فقال إذا قبض الرجل ماله فافتح
أبوابه وعرفه أن القاضي من عملكم فيه فكما رأيت فأيالك ومعارضة

القضية السادسة جراحة عمر بن حبيب القاضي

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوماً فجرت مسألة فتنازعها
الخصوم وعلت الأصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون
منهم أبو هريرة متهم في ما يرويه وصرت جوابت كذبه من أيت الرشيد قد نأخوهم
ونصر قولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة
صحيح النقل صدوق القول في ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنظر إلى
الرشيد نظر مغضب وانصرف إلى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب

أمير المؤمنين اجابة معقول وتحفظ وتسكن فقالت اللهم انك تعلم اني دفعت عن صاحب نيك أن يظلم على أصحابه فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه يسده السيوف بين يديه النطع فلما بهمني قال يا عمر بن حبيب ما ألتفتني أحد من المدفع والرد لقولي بمثل ما ألتفتني به وتجبرأت على فتعال يا أمير المؤمنين ان الذي قتته ووافقت عليه وجادلت عنه ازرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشرعية باطلة وانفرا نض في الاحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة قال الله يا أمير المؤمنين ان تظن ذلك أو تصفي اليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله أحييتني أحياك الله أحييتني أحياك الله وأمر له بعشرة آلاف درهم

في القضية السابعة عدل حفص القاضي

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جالا على مرزبان المجوسي وكيـل أم جعفر ثلاثين ألف درهم فظله بثمنه أو عوقه عن سفره فظال ذلك على الرجل فأتى الى بعض أصحابه وشاؤوه كيف يعمل فتعال اذهب الى مرزبان وقل له أعطني ألف درهم وأحل عليك بالمسأل الباقي وأسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفني حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فتعال له عداليه وقل له اذا ركب غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى أوكل رجلا يقبض المسأل منك في دفعات وأروح أنا الى خراسان فاذا جاء وجلس الى القاضي فادع بمالك كله فاذا أقر بحسبه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراساني الى مرزبان وسأله ذلك فأحابه وقال غدا انتظرنى بباب القاضي فلما ركب من الغد قام اليه الرجل وقال ان رأيت أن تنزل الى القاضي حتى أوكل بقبض المسأل وأروح فنزل مرزبان فتقدم الى القاضي وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصليح الله القاضي لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم ودعني عليه فقال له حفص ما تقول يا مجوسي قال صدق أصليح الله القاضي قال قد أغرتك قال يعطيني مالي والا الحبس فقال لمرزبان يا مجوسي ما تقول قال هذا المسأل على السيد أم جعفر قال له حفص يا أحمق تقـرت ثم تقول هذا على السيد ما تقول يا رجل قال ان أعطاني مالي

والاحسنة فقال حفص يا مجوسي ما تقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبعثت الى السندي وقالت وجهه عمر زيان الى وعجل فأسرع السندي فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندي والله لا جالسست للقضاء أو يرده مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندي ذلك فساء الى السيدة أم جعفر فقال الله الله في فان حفصا من لا تأخذه في الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لي بأمر من أخرجه ردي به الى الحبس وأنا أكرم حفصا فيه فأجابته وردته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحق حبس وكي لي واستخف به كذب اليه وهره لا يتطرق اليكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضر لي شهودا لا يسجل لك على المجوسي بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسي فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن في حكم شرعي حتى تفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لا أخبر أمير المؤمنين بما فعلت قال له حفص قل له ما أحببت فجاء الخادم وأخبره أن الرشيد بذلك فضحك وقال للبحار من حفص بن غياث ثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد واستقبل حفصا منصرفا عن محاسن الحكم فقال أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أترك ثلاثين ألف درهم فما كان السبب في هذا فقال حفص قم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكافته ما زدت على ما فعلت كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم إلا أنني سجدت على مرزبان المجوسي بمال ووجب عليه فذل يحيى فن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم

قال أبو الحسن عبد الواحد المحصي حضرت امة ضي أبا حازم وقد جاءه طريق الخلد من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين إنسا على فلان

البيع مال وقد بلغنا أن غرماء أثبتوا عندك أفلاسه وقد قسط لهم ماله فاجعلنا
 كأنهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطل الله بقاد إذا كرما قال لي وقت أن
 قلدي القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال
 رجل لمذع الأبيينة فرجع طريق وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني
 رجائين جليين من أعيان الدولة كانا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل
 عنهما فان زكا قبلت شهادتهما والا أذيت مائيت عندي فامتنع أولئك
 من الشهادة فزعنا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتض شيئا فهو كذا يكون القضاء
 السديد

القضية التاسعة نادرة في عدل أبي حازم عبد الحميد القاضي

ذكر وقيع القاضي قال كنت أتقعد لابي حازم عبد الحميد القاضي وقوفا في أيام
 المعتض بالله منها وقف المحسن بن سهل فلما استكثر المعتض من عمارة القصر
 المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف المحسن بن سهل الذي تحت يدي ونظري
 وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد حببت مال الوقف إلا ما أخذه المعتض
 فجئت إلى القاضي أبي حازم فعرفته اجتمع مال السنة واستأذنت في قسمته في
 سبيله على أهل الوقف قال هل حببت ما على أمير المؤمنين فقلت ومن يحسب يطالب
 الخليفة فقال والله لا قسمت إلا ارتفاع أو تأخذ ما عليه والله لن لم ترح إليه لا وليت له
 عملا ثم قال امض إليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض إلى صافي
 الحرمي وقل له أنك رسول أنفذت في مهم ليس تأذن لك فإذا وصات إليه فعرفه ما قلت
 لك فجئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدعاني وكان آخرها فلما صرت بين
 يدي الخليفة طلق أن أمرا عظيما قد حدث فقال هيه فقلت اني أوتلي لعبد الحميد
 قاضي أمير المؤمنين وقوف المحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين إلى قصره
 ولما حببت مال هذه السنة امتنع من تفرقة إلى أن أجبي ما على أمير المؤمنين
 وأنفذني الساعة فاصدأ هذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لا يصل
 اليك قال فسكت المعتض ساعة متفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد بصافي أحضر
 الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أربع مائة دينار قال أفتعرف
 النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزانا ثم قال اتزن أربع مائة دينار فقبضتها
 وانصرفت إلى أبي حازم فعرفته ذلك فقال أصفها إلى ما عندك من الوقوف وفرفه

غسله في سبيله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نعتك حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأ ذمته

﴿القضية العاشرة عدل اسمعيل القاضي﴾

قال الدارقطني سمعت عبد الرحيم بن القاضي اسمعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي يقيم فبلغه أنه أم وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لا ختها كلى أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي المجروح ولدي فكلمته فعدا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيد وقال له قل لاسمعيل القاضي يغفل المجروح عن فلان فقال له الوزير أن أمير المؤمنين يأمر أن ترفع المجروح عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يجبه عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدة الصبي إلى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود لحشوته فعاودته فتمثال أليس قد أمرت فقال لم يرفع عنه بعد فعدا وزيره عبد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسمعيل القاضي بأن يرفع المجروح عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع المجروح عنه فعداه الوزير ثانيا وقال له وأمر المؤمنين يأمر أن ترفع المجروح عن فلان فأطرق القاضي ساعة ثم استدعى دواة ورقة وكتب شيئا وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيئا لحمل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا إلى أمير المؤمنين فإنه جوابه فأخذ الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاوده في هذا فأخذ عبد الله الوزير الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الأوصاف المقتضين في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تعثر بهم آثامهم

﴿تنبيه﴾ قد يضرع عصام التقوى في بعض الأوقات ويعم ظهور الفساد لتأبعية الشهوات ويدفع الإنسان إلى المحالة الموعود ببعثها على السنة الرواة الثقات وتذهب القرون المشهود لها بالخبرة لتطاول المدد وامتداد الفترات فيقل وجود من يقوم بفصل الأحكام وينصب لقضايا الأنام ويتولى هذه المحالة من المحاكم من يحمي الشريعة عن اضاعتها ويرعاها حق رعايتها ويتصف بصفات يستحق

بها تأسد ولا يتم ولا يراقب إلا الله تعالى في إقامة وظيفتها حتى جرت بذلك أدوار
الاقدار وتحقق هذا النبأ العظيم واتصل الهوى المتبع بالقلوب فانقطع الصراط
المستقيم وضعف الحق حتى لو نطق لقال من غير نظره في النجوم اني سقيم فلا يعتد
أن ذلك مع ثقاة يجوز ترك الزعيا سدى أو يبيع اغفال أحوال القضا يا أبدا بل
يتعين العمل بقدر الامكان من المجانبين مقلدا ومقلدا و يطلب من قوض الله
اليه أمر بلاده وعباده الاصلح لذلك اذ لم يجد على سيرة المتقدمين أحدا
* وعما قيل قديما ان الميسور لا يسقط بالمعسور الا اذا كانت الامور طرائق
قددا

الركن الثالث الحسبة

وهي في الحقيقة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهي من أرفع قواعد الدين
واقامة شعائرها من أقوم المسالك الى القسك بحبل الله المتين وهي ولاية جليلة
لا يقوم بها غير القوى الامين ولا يؤدى فرضها الا من آمن بالله واليوم الآخر
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين
والنظر فيها يتعلق بقسمين الاول في الشروط المعبرة في القائم بها والمتنصب لها
والثاني فيما يلزمه من أعمالها ويأشبهه من أحوالها أما القسم الاول الشروط
المعبرة فيه فان يكون حرا عدلا ذار أى وصراقة وخشونة في الدين عالما بالمنكرات
انظاهرة ليسكرها أمينا لا يقبل رشوة ولا يرتكب خيانة واعتبر أبو سعيد
الاصطخري أن يكون عالما بطريق الاجتهاد وجعل له أن يحمل الناس على
رأيه واجتهاده فيما ينكره مما اختلف العلماء فيه وغير أبى سعيد لم يعتبر ذلك ولا
جعل له وعلى المجلة فلا بد ان امتطى مظاهره الولاية انظاهرة الرياسة المشهورة لها
بالجلالة والنفاسة من اقامة أوضاعها المبنية على الحماية والحراسة ومعرفة
أحكامها المتعلقة بالسياسة ولا يكفي فيها مجرد القراءة والدراسة بل يفتر الى
نفس متصفية باليقظة واليكاسة متخلية بشئ من التجربة والفراسة فانها ولاية
شاملة للأعيان والرعاع نافذة في تأديب أهل المكرو والحداع مسطرة على ردع
ذوى التحيل والتحمل من الصنائع مسيطرة في استنباط حال الظالم والمظلوم عند
الاختصاص والنزاع فلهذا يحتاج الى نفس مستيقظة عارفة ومعرفة تالدة وطارفة
وتجربة لأنواع الوفائع مشارفة وفراصة لتحقيق الحق اذا تعارضت الشبهة كاشفة

وديانة عند أواخر الشريعة الشريفة واقفة فهذه صفات من يصلح للاحتساب والشروط التي لا بد من اعتبارها في هذا الباب وأما القسم الثاني وهو تفصيل ما يتبعه من الاعمال وما يذره وما يأمر به وما ينكره وذلك كله ثلاثة أنواع أحدها خالص حق الله تعالى وثانيها خالص حق العباد وثالثها مشترك بين الله وبين العباد

النوع الأول حقوق الله تعالى

حقوق الله تعالى من أنواع العبادات كالصلاة والصيام والطهارة والزكاة والجماعات وغيرها من شعائر الاسلام فان رأى أو علم انساناً يعمد المخل فيهما ويقصد الاستهانة كن صلى جنباً أو محدثاً أو متلاعياً بالصلاة أو يأكل في رمضان شرباً من غير عذر أو يتجسس بفتح الزكاة الواجبة عليه استهتاراً أو أهل بلد أو عملة عطلوا صلاة الجماعات في مساجدهم واغتلبوا عموماً غير معذورين أو أثر كوا الاذان في أوقات الصلوات وتطابقوا عليه أو أهملوا غسل موتاهم وتكفينهم من غير عذر الى غير ذلك مما يطرق الى الدين خللاً واستهتاراً ويقضى على فاعله بقلة دينه وسوء عقيدته ويلحق بذلك التجاهر بالخرمات والتبجح باظهار المنكرات ومنه كشف العورات في مجامع الناس والجماعات استهانة واستهتاراً بالديانات والمروآت فهذه كلها وما يجري مجراها ويشاركها في معناها داخله في باب الاحتساب يلزمه انكارها بما يحسمها من الاسباب ويأمر فيها بسلوك السنن المشروعة الى كشف شبهة الارتباب ويؤدب العاصي بما يناسبه من التأديب الا اذا تاب وأقلىع وأتاب

النوع الثاني حقوق العباد والمعاملات

حقوق العباد والمعاملات وما يتعلق بالزروعات والمكيلات والموزونات وما يعتمد أرباب المعاش والصناعات فيلزمه النظر في أمورها لاصلاح فيادها واعتبار ما خرج منها عن المعروف من عوائدها وملاحظة معاملتها كما في الاسواق في ما أوفى قواعدها ويتفقد أحوال جلوسها في مصاطبها ومقاعدها في جسم مادة الفساد ويقوم عوج المنان ويأمر بسلوك سبيل الرشاد ويصرف قسطاً وإفرا من عنائته وحظاً وإفياً من نقطة ودرايته الى أحوال طهارة المحبزين ومقادير الأذرع والأكيل والموازين وأضايق سلك الدروب ومسالك المحبزين فيتطلع الى تهيج

مقدارها ويرتب كل منها بقسطاسها ومعياريها ويؤدب من يعتقد الخيانة فيها فان بها
صيانة السفلة السوقة وشراها هذا الى الالتفات البالغ الى اصلاح الشوى في
تطهيره من اللدناء وقت علاجه واستعمال قدر صالح من الملح في جوانبه ليكمل بذلك
حق انضاجه واعتبار نقص الثلث منه لاستحقاق قمع تنوره واخراج وتطهير
الآلات التي يباشرها بالعه لثافته ورواجه ويعتقد في ذلك كاهمة سابعة طريق
الواجب فيه ومنهاجه ولولا ان الاطناب مسموم والاسام مؤلم لشرح القلم من
الانواع التي يدخلها التمليس ويجبري فيها الغش والتليس من انواع المركبات
واصناف المخلطات كالاشربة والماء الحين والروب والادقة والادهان والحلاوات
والشموع والقسى وانواع الوبر واصناف من الماء كولات والاطمة والسكوات
ما يحار فيه سامعه من تعداده ويكثر تعجبه من جمعه ويراده كل ذلك عساية عين على
المتصيب المتصيب الاحتساب بذل جده واجتهاده في اعتباره واختباره وافتقاده
واقتراده ويحسم سياسة مادة الدعار ويسلك حادة حفظ أموال التجار
والغرباء النواردين من الامصار والرعابا فيمدعوهم اليه حاجة الاضطراب
باقامة الضمان للسماسرة والمبالين والساعة والكالين والنفلة والحمالين
والمكارية والحمالين وان كان في مكان فيه من وعرا كيب والنوية والملاحين
واسكن مجهول يباشر صناعة في أمتعة يتسلها من أربابها وينفرد بها دون أصحابها
والنوع الثالث ما هو مشترك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد

فصاحب الحسبة مأمور باعتباره وهو داخل تحت أمره وانكاره كالطرق العامة
والشوارع المسلوكة والأسواق المشتركة فيشكل من أحدث بناء أو غرس
شجرة أو أخرج جناحا أو ميزابا أو جدد مصطبة تضر بالمسارعة وتضيق على
العامة فيمنعه منه ويردعه عنه وكذلك من أراد أن يشرف من سطحه على
منازل الناس وينظر الى حرمهم يردعه عنه ويكنه منه ويمنع أهل الذمة
أن يعملوا فيما بينهم على بناء المسلمين يأخذهم باقامة ما هو مشروط عليهم في عقد
الذمة ويلزمهم بالغيار ولبس ما يخالف هيئة المسلمين ويمنعهم من التظاهر
بمنازلهم واعن اظهاره فعلا وقولا ويكن عنهم من يقصد بهم بظلم أو أذى وإذا كان
في بعض الجوامع والمساجد امام يطيل القراءة في الصلاة الى غاية يضعف عنهم
الكبير والمتألم ويتقطع بهاذي الحاجة يزجره عن ذلك ويأمره بالتخفيف

كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مساذن جيل وان كان في السادة
من يجوز معاليكه وعييده ولا يكسوههم فله الاحتساب عليه وكذا ان كلفهم
من العمل فوق طاقتهم او كان لاحد دابة يشيل عليها زيادة عن حملها بما يضر بها
فله أن يمنع من ذلك ويأمر فيه باتباع طريق العدل وسلك سبل الحق حتى لو رأى
من بعض ذوى الاحترام وأرباب المناصب العظام والمراتب الجسام تقصير فيما
يلزمه فعليه كان له الاحتساب فيه بالانكار عليه * وقيل انقل عن محتسب بغداد
أنه مر يوماً على باب دار القضاة ابن جاهد فرأى المخصوم جلوساً على بابهم ينتظرون
جلوسه لينظر بينهم وقد علا النهار وهجرت الشمس فوقف واستدعى حاجبه وقال
له تقول لقاضي القضاة المخصوم جلوس بالباب وقد بلغت الشمس وتأذوا بالانتظار
فأما جلست وأما بلغتهم عندك لئلا يصرفوا ويعودوا إذا زال عندك وجلست ففعله
دينه على الاحتساب على قاضي القضاة وكما أن بيده زمام الاحتساب وله ولاية الامر
والنهي فيمسابق من الاسباب فكذلك له التأديب والتعزير على قدر الجرائم
والذنوب الا أنه لا يبلغ تعزيره أدنى الحدود ويجوز في التعزير الضرب والصفع
وحلق الرأس دون اللحية ويجوز فيه أن يصلب حياً ولا يزيد في صلبه على ثلاث أيام
ولا يمنع فيا من الطعام والشراب ولا من وضوء الصلاة ويصل بالايام بعيد الصلاة
إذا أطلق ويجوز أن يشهر المعزى في الناس وينادي عليه بذنبه إذا كان قد تذكر
منه ولم ينقطع عنه ويجوز تسويد الوجه في التعزير عند أكثر الاصحاب ويفرق
الضرب في التعزير على جميع البدن بعد اتقاء الوجه والمقاتل ولا يجوز أن يجمعه
كله في موضع واحد من الجسد عن رأي جمهور الاصحاب وذهب أبو عبد الله
الزبيري رحمه الله تعالى من أصحابنا إلى جواز ذلك ويجوز التعزير بالحبس والنفي
واختلف الاصحاب في مدة الحبس فذهب الزبيري إلى تقدير غايته بستة أشهر
ولا يزيد عليها وقال غيره لا يتقدر وأما النفي فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه
أن غاية النفي مدة مقدرة بمادون ستة أشهر ولو يوم ويوم لثلاثين يوماً
المشروع في الحديث باب الزنا وقد يكون التعزير في حق بعض الناس بالكلام
الحسن والشم دون الفعل وان رأى المصلحة في العفو عن التعزير جاز بخلاف
الحدود فإنه لا يجوز العفو عنها بحال

الركن الرابع الاوقاف وما يتعلق بها

ولاية الاوقاف من باب التعاون على البر والتقوى ولا ينهض بحمل ثقلها الا الامين

القرى فان أبوابها متسعة وأربابها متنوعون وشعابها متفرقة فانهم أصناف
مختلفون وطوائف موصفون فمنهم الأشراف المتصلون برسول الله صلى الله عليه
وسلم الهاشميون والعباسيون والعلويون والحسينيون والحسينيون وغيرهم ومنهم
الفقهاء الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وغيرهم ومنهم الصوفية والفقراء
والقراء والأضرعاء والأسمراء وأنساء السميل والرضي والجانين ومنهات كثر
الوفى وأسوار الثغور وقناطر الطرقات وعمارة المساجد ومصانعها وأمنها وزنورها
وقومها ومصالح المدارس وإقامة وظائفها وكذلك الربط والجوارق والمشاهد
ومواطن العبادة إلى ما سوى ذلك من وقف على تعليم النباى الخط ووقف على من
انكسر قلبه آنية لا يقدر على عوضها وغيره من أبواب الطاعات وجهات
الخيرات فهذه الوقوف العامة جميعها على اختلاف مصارفها وأرباب جهاتها مشتركة
في أن المقصد بها التقرب إلى الله تعالى فانها معدودة من الصدقات داخلية في باب
التقربات فيجب اتباع شروط واقفها والعمل بها والكلام الآن على فصلين

الاول في شروط المتولى للوقف

لما كانت الوقوف العامة مستحقة لقوم موصوفين غير معينين يتعذر عليهم
مباشرة التصرفات بأنفسهم لعدم تعيينهم جرى أمر الناظر فيها والمتولى في أموال
العاجزين عن التصرف بأنفسهم كالأوصياء والأمناء فكل صفة مشترطة
لحصة الأوصياء والأمناء في أموال العاجزين عن التصرفات بقضا أو جنون في
حصة نظر المتولى للوقف العام وكل ما يمنع من حصة ولاية الوقف العام فالفاسق
والخائن والجاهل لا يجوز أن يكون وصيا في ذلك ولا أمينا عليه حتى لو أوصى الأب على
أطفاله بالنظر في مالهم إلى فاسق يعتمد عليه فإنه لا تصح وصيته ولا يعتبر قوله وكذلك
لو أقام الحاكم أمينا للنظر في مال بعض النباى أو غيرها وهو فاسق فإنه لا تصح توليته
ولا تحمل إقامته له وكان تصرفه باطلا كذلك ولاية النظر في الأوقاف المذكورة
لا يجوز لفاسق ولا لخائن ولا لجاهل سواء كان النظر مفوضا إليه من الواقف أو من
السلطان ولا يحمل له ذلك ولا بد من أهلية أهله وأوصفاته أهلية الأمانة فإنها أصل
العدالة والكفاية ولا يكفي في جواز ولاية موجود إحدى الصفتين فإنه لو كان
كافيا ولكن هو فاسق أو أمينا لكن هو عاجز فإنه لا تحمل توليته ولا يجوز أن يفوض
إليه النظر في ذلك فان تولى كان أمينا صيا مضمونة عليه تصرفاته فان كان وقت

التولية متصفاً بما فطر الله عليه ما أزال أحدهما بان تجدد فسقه بخيانة أو غيرها أو غير مائة أو غيرها تبين على السلطان انتزاعه وصرفه عنها حتى لقد صرح عالم خراسان امام الحرمین رضي الله عنه بان الواقف لو صرح بشرط النظر لنفسه في وقته ثم اختل فيه الوصفان أو أحدهما ان السلطان لا يتركه والتحقيق فيه ما ذكرناه من أن الولاية في الوقف العام تصرف في حق الغير نظراً له من غير جهة فيه يعتبر في صفاته لجهة ولايته ما يعتبر في حق الوصي والأمين والقيم من العدالة وغيرها وكل ما يقدح في الامانة والكفاية يقدح في الولاية

الفصل الثاني في بيان ما يلزمهم من التصرفات وما يجب عليهم منها ووجه القول في ذلك تنكشف بالجمال وتفصيل أما الاجال فانه يجب اتباع الشروط المشروعة والعمل بها من اقامة الوظائف ورعاية المصارف حسب ما صدر عن الواقف وأما التفصيل فيقوم بالمصالح من عمارة الاصل وحفظه واستمساك غلاله وترميم ما كنه وتتمير جهاته والنهوض بكل ما فيه مستزاد مسوق في ريعه حتى لا ينسب الى تقصير ولا ينظر اليه بعين تقرب ولا يجوز أن يغير شيئاً من الارواقف عن صورته فلا يجعل الحمام خاناً ولا الخان دكاناً ولا الدار بستاناً ولا يحدث في الوقف ما يغيره عن صفته فان فعل ذلك منعه منه السلطان وألزمه أن يزيل ما أحدثه ويعيده الى ما كان عليه الا أن يكون الواقف قد جوزه ذلك وجعله له بطريقه ولا يجوز أن يؤثر الوقف على خلاف شرط واقفه وأحوال الواقف ثلاثة فانه إما أن يكون قد صرح بالمنع وشرط أن لا يؤثر الوقف أصلاً أو أساساً وإما أن يكون قد صرح بالاجارة والاذن فيها وإما أن يكون قد سكت ولم يذكر شيئاً لا منعه ولا اذناً

الحالة الأولى في أن يصرح بالمنع وشرط أن لا يؤثر فانه ظاهر من مذهب الشافعي رضي الله عنه اتباع شرطه ولا يجوز من الاصباب من رأى ذلك على خلاف المصلحة وانه حجر على الموقوف عليه فيما هو مستحق له فيجوز الاجارة ومنهم من قال لا يراذ على سنة واحدة حفظ الوقف

الحالة الثانية في أن يصرح بالاذن في أن يؤثر فان عين مدة ونص عليها فلا يجوز أن يزيد في عقد الاجارة على مقدارها فان آجره مدة زائدة على المدة المعينة في الاذن وجعل الجميع في عقد واحد فهو باطل مردود وان فعل ذلك في عقود متعددة متتابعة كل عقد مشتمل على المدة المعينة المأذون فيها لا غير فان كان الواقف

قد شرط أن لا يعقد عقدا حتى ينتهي مدة العقد الاول فلا يجوز ما فعله الناظر
وكانت الاجارة باطلة في غير العقد الاول وان لم يكن قد شرط ذلك في صحة العقود
للمدة المستقبلة الواقعة بعد الاول خلاف

والحكمة الثالثة **﴿ أن يكون قد سكت عن التسمين منعا واذنا فنهنا تجوز الاجارة على ما ترضيه المصلحة برعاية ما هو الا غبط والاحوط وكذلك المحكم اذا جهلت الحال ولا خلاف في الاقسام كلها حيث جوزت الاجارة انها مقيدة بأجرة المثل فان أجز بدونها فالعقد باطل والاجارة مردودة ثم ان الاولى ان الناظر في الوقف اذا أجزه فلا يريد على مدة ثلاث سنين فان الامام أباسعدا متوفى ورضي الله عنه قال ان المحكام اصطلموا على منع الاجارة في الاوقاف أكثر من ثلاث سنين على سبيل المصلحة حتى لا تدرس الاوقاف ويطول بقاؤها في يد انسان واحد فيدعها ملكا ويجب عليه أن يوصل الى كل ذي حق حقه منه من المصارف ولا يحرم أحد من المستحقين ولا يعطى منه من لا حق له فيه ولا يدخل فيه من ليس من أهله ولا يخرج أحد من أهله الا أن يكون قد جعل الوقف له ذلك وفوضه اليه بطريقة ولا يجوز أن يجعل لنفسه منه ما لا يستحقه فان خالف ما ذكرناه وعمل ما هو ممنوع منه عالما بأنه لا يجوز له وأصر متبع هواه مضيعا هدايه فقد خالف الله تعالى وعصاه وزالت أمانته وظهرت خيائته فلا يجوز بقاؤه ويتعين صرفه وازالته وكان الوقف وأرباب الوقف خصما له عند الله لتفريطه في حقه وارتكابه ما لا يجوز فعله في وقفهم وكان مطالبا بما فرط فيه مؤاخذا بما أضاعه منه**

﴿ القاعدة الرابعة في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات ﴾

لما كانت هذه القاعدة آخر القواعد وبها اختتام هذا الكتاب المشتمل على فرائد القلائد ضمنيتها أنواعا من فوائد النوادر وفوائد الفوائد وأودعها أنواعا متعددة المقاصد صالحة للعالم والعامل والصادر والوارد وبدأت منها بما هو وسيلة الى معرفة العلماء الذين دأبوا على العمل في صدورهم وتقبوا في اكتسابه حتى حصلوا منه غاية مستطاعهم ومقدورهم بحيث اذا عرفوا خصوا بالرعاية والعناية وميزوا بمقدار ما عندهم من المعرفة والدراية فيكون ذلك داعيا على الاشتغال به وفي كل كفاية ونهاية الى العناية واذا كانت أنواع العلوم وصنوفها مختلفة الشعوب

متناسبة الاسلوب متعددة الضروب لا تنضب بكتاب ولا تنحصر بكتاب وقع
الاقتصار منها على النوع الذي هو العلم الحقيقي شرعا الذي هو في الملة الاسلامية
والشرعية النبوية أكثر نفعا وأكثر جوعا وهو علم الاحكام ومعرفته الحلال
والحرام ومتى أطلقت لفظة العلم جلت على علم الشريعة دون غيره من العلوم
المتعددة الانواع والاقسام حتى لقد صرح الأئمة رضي الله عنهم بأنه لو أوصى رجل
بثلث ماله للعلماء فإنه يصرف الى علماء الشريعة دون غيرهم وقد كشف الامام
عالم العراق أبو الحسين علي بن حبيب الماوردي رضي الله عنه غطاء الاضطراب
عن وجه الصواب وذكر في كتابه المسمى بالمحاوي في الفتاوى ان الرجل لو قال
أعطوا ثلث مالي لأعلم الناس فإنه يصرف الى الفقهاء لقيامهم بعلم الشريعة الذي
هو بأكثر العلوم متعلق ثم ان حاجة الناس داعية اليه ومصلحتهم منوطه به
ووقائهم موقوفة عليه والمذبحي أنه من جملة كثير وهذه الوسيلة مفضية الى معرفة
الفرق بين الفريقين كاشفة عند استعمالها كنه الحقيقةين وقد خفضت لاستخراجها
أوطاب المسائل ورصفت صفاتها فأصبحت عمدة السائل ووضعت صورها من
أقرب الوسائل محكما للاختيار ومسلكا الى اعتبار ذوي الفضائل فمن أجاب فيها
بالاطلاق فإصاب الصواب ومن فصل القول مجاها فقد أجاد وأجاب وهي
في العبادات والمعاملات والمناسكات والمجانيات فمن ذلك

مسائل العبادات

(مسئلة) انسان يصلي على سجادة فلما أحرم بالصلاة وأراد السجود نظر الى موضع
سجوده من السجادة نجاسة فأخذ طرف السجادة وسجد على موضع طاهر هل صحت
صلاته أم لا ان أجيب فيها بالحجة أو بالابطال فهو خطأ * والصواب من الجواب
انه ان أخذ الطرف الناهر من السجادة وغطى به النجاسة ولم يرفع النجاسة وسجد
على الموضع الناهر الذي وضعه على الموضع النجس لم تبطل صلاته وان رفعه عن
موضع سجوده وسجد على الارض بطلت صلاته لانه جعل في صلاته نجاسة فبطلت
(مسئلة) جماعة صاوا خلف امام صلاة الصبح فقرأ الفاتحة فلحن في آخرها بخلاف
المعنى فنبهوه على ذلك بالتسبيح فلم يعد الى الصواب ففارقوه وأتوا لانفسهم فهل
تصح صلاتهم أم لا ان أجيب فيها بالحجة أو بالبطالان فهو خطأ * والصواب من
الجواب ان لحنه ان كان طبعه لم تصح صلاتهم وعليهم الاعادة فان احرامهم خلفه

لم يعتقد وان كان مخنا خطأ أصدر منه ولم يكن طبعاً صحت صلاتهم وقتها لهم
 (مسألة) مهمل جلس في آخر صلاته ليتشهد فحصل له شك هل سجد في صلاته أم لا
 فهل يسن له السجود أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ
 * والصواب من الجواب انه ان كان شكه في زيادة زادها في الصلاة فلا يسجد
 للسهو اذا اصل عدم الزيادة وان كان شكه في نقصان شيء من هيئات الصلاة
 كالقنوت والتشهد الأول يسجد لاسمها اذا اصل انه لم يأت به (مسألة) رجلان دخلوا
 مسجداً وصليا واعتقد كل واحد منهما ان صلاته وقعت جماعة مع صلاة صاحبه ثم
 فرغوا انصرفا فهل صحت صلاتهما الاعتقاد هما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
 مطلقاً كان خطأ * والصواب من الجواب ان كان كل واحد منهما يعتقد حصول
 الجماعة مع صاحبه لم كونه اماماً وصاحبه مأموماً فصلاهما صحيحتان وان كان كل
 واحد يعتقد أنه مأموماً وصاحبه اماماً فصلاهما باطلة (مسألة) انسان له من الابل
 نصاب وجبت عليه قيمة الزكاة ولم يجد السن المفروض عليه فهل يجوز له أن يصعد
 الى سن أعلى منه ويأخذ الجبران أو ينزل الى سن أنزل منه ويعطى الجبران أم لا
 ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب ان ابله
 ان كانت صحاحاً فيجوز له الصعود وأخذ الجبران ويجوز له النزول ودفع
 الجبران وان كانت كلها امراضاً فيجوز له النزول ودفع الجبران ولا يجوز له الصعود
 وأخذ الجبران لانه مضر بالفقراء (مسألة) امرأة ماتت في شهر رمضان ولها
 مال كثير وخلفت زوجها وابناً منه فورثها ووجبت عليها زكاة الفطر وهما
 غنيان فأخرج الاب زكاة الفطر من ماله عنه وعن ولده فهل يجوز اخراجه عن ولده
 مع كونه غنياً أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب
 ان الولد ان كان صغيراً جاز وان كان كبيراً لم يجوز لا اشتراط بذل البالغ (مسألة)
 انسان وجب عليه صوم بحكم النذر هات فهل يلزم عليه قضاؤه ان أجيب فيها
 بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كان نذره صوم
 الدهر فلا قضاء عليه لتعذره وان كان غيره فيلزمه القضاء (مسألة) رجل
 معتكف تهن عليه أداء شهادة هل يجوز له أن يخرج لادائها من المعتكف أم لا
 ان أجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب انه
 ان كان تحملاً ابتداء تهن عليه فيجوز أن يخرج لادائها وان كان تعملها بامر تعين

عليه فلا يجوز له أن يخرج جلاذئها لأنه هو الذي أدخل نفسه فيها باختياره (مسئلة)
 رجل أراد أن يحرم بالحج فهل يجوز له أن يقدم الاحرام على الميقات المعين له أم لا
 ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان
 قدمه على الميقات الزماني لا يجوز وان قدمه على الميقات المكاني فيجوز لاتحاد
 الزمان بالنسبة الى الناس كلهم واختلاف المكاني (مسئلة) اذا قطع المحرم شعره
 لدفع الاذى فهل يجب عليه ضمانه بالفسدية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
 مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان الاذى من الشعر بأن نزل
 الى عينه فلا ضمان عليه وان كان الاذى من غير الشعر بأن كان في رأسه قل
 فأزال الشعر ليزيل القمل فيجب عليه الضمان لنفسه الاذى الى غير الشعر
 (مسئلة) طائر له فرخان أحدهما في الحبل والاخر في الحرم أمسك رجل حلال غير
 محرم الطائر وتركه في قفص فمات ومات الفرخ بسببه وكل واحد في موضعه
 أحدهما في الحبل والاخر في الحرم فهل يجب عليه ضمان الطائر والفرخ أو الفرخ
 وحده فان أجيب فيها بأحدهما الاقسام مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الطائر
 ان كان في الحبل والفرخ في الحرم وجب عليه ضمان الفرخ دون الطائر وان كان
 الطائر في الحرم والفرخ في الحبل وجب عليه ضمانهما (مسئلة) محرم معه كلب
 فأرسله على صيد فأصابه فهل يجب عليه ضمانه أم لا ان أجيب فيها بالنفي
 أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الكلب ان كان معا يجب عليه الضمان
 وان لم يكن معا فلا ضمان عليه اذ فعل غير المعلم لا ينسب الي عرسله (مسئلة) محرم
 رمي سهم الى صيد فأصابه وسقط الصيد المرمى على صيد آخر وماتا كلاهما فهل
 يجب على الرامي ضمانهما أم يجب عليه ضمان الاول دون الثاني ان أجيب فيها
 بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الصيد الاول المرمى بالسهم ان
 تعامل بعد الرمية ومضى قليلا ثم وقع على الآخر وجب عليه ضمان الاول دون الثاني
 لنسبة سقوط الاول بعد مشيه وتعامله الى فعله دون الرامي وان وقع عليه بجذوة
 السهم وجذوة الرمية من غير تعامل وجب عليه ضمان الاول والثاني لنسبته اليه
 (مسئلة) رجل له عبد مملوك محرم فباعه فاشتراه انسان آخر ولم يعلم أنه محرم فهل
 يثبت للمشتري الخسار أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ
 * والصواب أن احرام العبد ان كان باذن مولاه البائع فيثبت خيار الفسخ للمشتري

اذلا يقدر على تحمله وان كان احرامه بنسب اذن مولاه فلا خيار له اذ يمكن تحمليه
 (مسئلة) اجبر استؤجر ليحج عن غيره فاعتمر او اواه استؤجر ليعتمر فحج فالاجرة
 لا يستحقها بخلافه ولكن النكاح الذي اتى به من الحج او العمرة هل يقع عنه او
 عن من نواه به ان اجيب فيها بالاثبات او النفي مطلقا فهو خطأ والصواب ان الاجارة
 ان كانت عن حي فلا يقع المأتي به عنه لعدم اذنه فيه وهو شرط ويقع عن الاخير وان
 كان ذلك عن ميت فيقع عنه دون الاخير فان اذن الميت ليس شرطا ولهذا الرجح
 رجل عن الميت تبرعاً منه صح وسقط به الحج الذي كان واجبا على الميت (مسئلة)
 رجل اشترى عينا وتلف في يده بعد القبض ثم اطلع على عيب قديم فهل له الرجوع
 بالارش على البائع أم لا ان اجيب فيها بالنفي او الاثبات مطلقا فهو خطأ
 والصواب ان كانت العين المبيعة سلعة غير دراهم ودنانير فله الرجوع بالارش
 وان كانت دراهم أو دنانير في عقد الحرف يبعث بدراهم أو دنانير وتقبضاً فانه
 لا يجوز الرجوع بالارش لما فيه من الوقوع في الربا لكن يفسخ العقد بينهما ويرد
 مثل التالف ويسترجع ماسله ان كان باقياً أو بدله ان كان تالفاً (مسئلة) رجل
 باع عبداً بألف درهم وتقبضاً ثم ان البائع عاد الى المشتري ومعه ألف درهم فيوف
 وقال هذه الدراهم التي قبضتها فخذها فقال ليس هذه تلك الدراهم فهل يقبل
 قول البائع أم قول المشتري ان اجيب فيها بالاطلاق فهو خطأ والصواب من
 الجواب أن الدراهم ان كانت معينة وقت العقد ووقع عليها فالقول قول المشتري
 وان كان العقد ووقع على دراهم في الذمة وعينت تلك الدراهم عما في الذمة فالقول
 قول البائع ومثل هذه المسئلة لو ابتاع ثوبا وقبضه ثم جاء بثوب معيب وقال هذا
 الثوب الذي اشتريته منك فارده بالعيب وقال البائع ليس هذا الثوب الذي
 قبضته مني بل هو غيره فهل للقول قول البائع أم قول المشتري ان اجيب فيها
 بالاطلاق فهو خطأ والصواب أن الثوب ان كان معيناً ووقع العقد عليه فالقول
 قول البائع وان كان عنه عما في الذمة فالقول قول المشتري اذ الاصل تمام ما في
 الذمة الى أن يتبين تسليمه (مسئلة) رجل اشترى طبالاً جديلاً به ثم تجدده به جديلاً
 بعد القبض ثم اطلع به على عيب قديم بعد الولادة ولم يتجدد عند المشتري عيب فهل
 يجوز له أن يرده على البائع بالعيب القديم أم لا ان اجيب فيها بالاثبات او النفي
 مطلقا فهو خطأ والصواب أن الحيوان المشتري ان كان بهيمة فيجوز له الرد

وان كان جارية لا يجوز له ردّها محرمة التفريق بين الامّ وولدها قبل البيع ويتعين
حقه في الارش له منذ الرّد شرعا **مسئلة** اذا حضر المسلم اليه المسلم فيه أنقص
من المشروط فهل يجب على المسلم قبوله أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقا فهو خطأ * والصواب أن المسلم فيه ان كان يتقسط عليه الثمن بالبقية
كما لو أسلم في ثوب طوله عشرة أذرع فأحضره وطوله تسعة أذرع فإنه لا يجب عليه قبوله
مسئلة جارية مرهونة عند رجل بدين له يبيع في الدين فاشترىها رجل وأعتقها
فترجعت وولدت ابنين فسكبرا وشهدا على المورثين انه كان أبرأ الراهن من الدين قبل
أن يقع الرهن هل تقبل شهادتهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو
خطأ * والصواب ان كان أبوهما قد تزوج أمهما على أنها مملوكة ولم يعلم بعتقها وكان
من يحمل له نسكاح الامة لم تقبل شهادتهما لانه يلزم من قبولها عدم قبولها لوجود الرّد
وان كان وطئها على انها حرة قبالتشهادتهما لعدم المانع من قبولها **مسئلة**
رجل أقام البينة العادلة بافلاسه بعد تقدّم الدعوى فهل لمن له الدين عليه أن يحلفه
أن لا مال له في الباطن أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو
خطأ * والصواب انه ان كان قد أقام البينة على تلف ماله لم يكن له أن يحلفه لما فيه
من تكذيب الشهود وان كان أقام البينة على أن لا مال له حلف وتكون عينه واجبة
على وجهه ومستحبة على وجه **مسئلة** رجل صالح رجلا على مسيل مائه في ملكه
بعوض معلوم وبين مقدار المسيل ولم ين مقدار الماء الذي يسيل في المسيل فهل
يصح الصلح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان
كان المسيل على الارض صح وان كان على السطح لم يصح **مسئلة** عبد كاتبه
مولاه تم بعد الكتابة صار يبيع ويشترى فاشترى سلعة فهل يجوز الخوالة عليه أم لا
ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان المكاتب ان كان قد
اشترىها من أجنبي جازت الخوالة وان كان قد اشتراها من مولاه لم يجز **مسئلة** رجل
غصب من رجل آخر حنطة وأكلها فبما إذا يضمنها بالقيمة أو بالمثل ان أجيب فيها
بأحدهما مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان أكلها على هبتها حنطة ضمنها بالمثل
وان طعمها ثم أكلها ضمنها بالقيمة أكثر ما كانت وقت طعمها الى أن أكلها فان الدقيق
من ذوات القيم **مسئلة** زقاق أو دهلين مشترك ببيع منه شقص فهل تثبت
فيه الشفعة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من

الجواب أن الزقاق أو الدهليز ان كان بحيث اذا قسم لم ينتفع كل واحد من الشركاء بما يحصل له فلا تثبت الشفعة فيه وان كان بحيث ينتفع به بعد القسمة وكان لا شري طريق غيره ثبتت فيه الشفعة وان لم تكن طريق غيره ففيه خلاف (مسئلة) رجل ثبت له الشفعة في ملك فشهد البائع على الشفيع بأنه عفا عن الشفعة فهل تقبل بهادته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كانت شهادته بعد قبض الثمن قبلت وان كانت قبيل قبضه لم تقبل (مسئلة) رجل دفع الى رجل ألف درهم قراضا ليكون الربح بينهما نصفين ثم سلم اليه ألف درهم أخرى وقال أضف هذه الألف الثانية الى الألف الأولى ليكون الجميع قراضا فهل يكون الجميع قراضا صحيحا أم يكون الجميع قراضا صحيحا أم يكون الأول صحيحا والثاني فاسدا ان أجيب فيها بنحو القراض فيم ما أو بغيره مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الألف الثانية ان دفعت اليه قبل تصرفه في الدراهم الأولى كان الجميع قراضا صحيحا وان كان بعد تصرفه فيها كان الأول صحيحا والثاني فاسدا (مسئلة) رجل دفع الى رجل مالا قراضا وقال قارضتلك سنة على أن لا تصرف بعدها بعض التصرفات المطلقة لك في السنة وعينه فهل يصح القراض بهذا الشرط أم يبطل ان أجيب فيها بالصححة أو الابطال مطلقا فهو خطأ * والصواب أنه ان كان شرط أن لا تصرف بعد السنة بالشراعه وحده صح لانه لا يناقض مقصود العقد وان كان شرط أن لا تصرف بعد السنة بالبيع فهو باطل لانه يبطل المقصود (مسئلة) رجل استأجر رجلا ليعمله الى بلد معين ويحتاج في الطريق الى دليل فأجرة هذا الدليل هل تكون على المستأجر أو تكون على المكارى ان أجيب فيها بالاجوب على أحدهما مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الاجاره ان كانت اجاره عين فأجرة الدليل على المستأجر وان كانت اجاره في الذمة فأجرة الدليل على المكارى (مسئلة) رجل استأجر بيتا من رجل ليخزن فيه كرا من حنطة فخرن فيه كرتين من حنطة فهل يجب على المستأجر زيادة عن الاجرة المسماة بسبب الزيادة في الحنطة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن البيت المستأجر ان كان على الارض فلا يلزمه زيادة على الاجرة المسماة بسبب الزيادة في الحنطة وان كان البيت غرفة على سطح فيلزمه أجرة المثل للزيادة لأن الزائد على المسكن يحصل به زيادة ضرر على السقف (مسئلة) انسان أوصى بثلث ماله لمن نصفه سوا نصفه بعد فهل يصح

وصية له أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من
الجواب أن النصف المملوك أن كان لا جنبي صحت الوصية فإن لم يكن بينهما هاية
كان الثلث بينهما نصفين نصفه للولي ونصفه لهذا الموصي له وإن كان بينهما هاية
ففيه خلاف مشهور من أن المنافع هل تدخل في المهايأة أم لا فإن لم تدخل
في المهايأة كان بينهما بكل حال وإن دخلت في المهايأة كان على الخلاف في تلك
الوصية بالموت إذا لموت يطل وإن كان النصف المملوك لو ارث فلا تصح الوصية
أن لم يكن بينهما هاية فكذلك على الصحيح **مسئلة** رجل أوصى لـ انسان بجارية
ثم وطئها الموصى فهل يكون وطؤه رجوعاً عن الوصية أم لا أن أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب أنه إن عزل عنها لم يكن رجوعاً
كالاستخدام وإن لم يعزل كان رجوعاً كالاستيلاد **مسئلة** رجل أوصى إلى
رجل بفرقة ثلث ماله وكان الوصي فاسقاً لا تصح الوصية اليه فتسلم الثلث وفرقه
فهل يجب عليه الضمان أم لا لكونه مأذوناً أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الوصية بالثلث إن كانت لا أقوام
معنيين كالفقراء والقراء وما أشبههم فإنه يضمن لأن تعيينهم بالتفرقة يحتاج إلى
اجتهاد والفاقد ليس من أهله **مسئلة** انسان أوصى إلى رجل أمين في
تفرقة ثلثه وتسلمه فصار بيده ثم ادعى أنه فرقه فهل يقبل قوله في تفرقة من غير
بينه أم لا يقبل أن أجيب بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب
أن الوصية إن كانت لا أقوام غير معنيين كالفقراء والصوفية فيقبل قوله من غير
بينه وإن كانت لا أقوام معنيين لا يقبل قوله من غير بينه لا مكان الأشهاد

مسائل النساكيات

رجل تزوج امرأة بشرط أن لا يطأها نهراً أو لا يطأها ليلاً فهل يصح النكاح
بهذا الشرط أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب
أن الشرط إن كان من جانب الزوجة بطل النكاح وإن كان من جانب الزوج
لا يبطل أذهو حقه **مسئلة** رجل تزوج بحرة وأمة في عقد واحد فهل يصح
نكاحهما أو يبطل نكاحهما أو يصح نكاح الحرة ويبطل نكاح الأمة أو يصح
نكاح الأمة ويبطل نكاح الحرة أن أجيب فيها بأحد هذه الأقسام مطلقاً فهو
خطأ * والصواب أنه إن كان ممن لا يحل له نكاح الأمة بطل نكاح الأمة قولاً واحداً

في نكاح المحررة خلاف وان كان ممن يحل له نكاح الامة ورضيت المحررة فثبت
 صداقها في ذمته صح النكاحان جميعا **(مسئلة)** رجل كافر اسلم عن عشر نسوة
 ثم بعد ذلك أسلمن كلهن وثبت له اختيار أربع منهن فهل يصح اختياره للأربع
 في حال احواله بالحج أم لا ان أجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقا فهو خطأ *
 الصواب أن احواله ان كان قبل اسلامهن فلا يصح اختيارهن وان كان بعد
 اسلامهن فيصح لاستقرار حقه من الاختيار قبل الاحرام **(مسئلة)** اذا أسلم
 الرجل على أكثر من أربع زوجات ثم قال قبل اسلامهن كلها أسلمت واحدة من
 هؤلاء فقد نسخت نكاحها فأسلمن كلهن قبل انقضاء المدة فهل يصح قوله وينقطع
 النكاح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب انه
 ان أراد بذلك الفسخ فلا يصح لأن الفسخ لا يقبل التعليق وان أراد به الطلاق صح
 على أحد الوجهين لقبوله التعليق **(مسئلة)** رجل تزوج بامرأة فأحضرتها الى
 الحماكم وادعت عليه انه عنين فهل يسمع الحماكم دعواها بالضرب له الاجل أم لا ان
 أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الزوجة ان كانت حرة
 سمع الحماكم دعواها وان كانت أمة لم يسمع دعواها اذ لو سمع دعواها لفقد شرط من
 شروط جواز نكاحها فيبطل حق الوطء فيلزم الدور فلا يسمع **(مسئلة)** رجل
 تزوج عبدة بآذنه بحرة على صداق معين وهو ما تدينار مثالا وضمنها السيد لها
 ثم بعد مدة باعها العبد بتلك المائة المضرونة فهل يصح البيع أم لا ان أجيب فيها
 بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كان البيع بعد الدخول
 فهو صحيح وينفسخ النكاح لانها ما كت زوجها وان كان قبل الدخول فهو غير
 صحيح لأن صحته يستلزم بطلانه بطريق الدور **(مسئلة)** رجل له زوجتان مسلمة
 ونصرانية فقال للنصرانية انت قد ارتدت وصرت مسلمة وقال للمسلمة أنت
 قد ارتدت وصرت نصرانية فكذبته ولم تصدقه واحدة منهما فهل يبطل
 نكاحهما أو لا يبطل أو يبطل نكاح واحدة ويبقى نكاح الاخرى ان أجيب
 فيها بأحد هذه الاقسام فهو خطأ * الصواب ان ذلك ان كان قبل الدخول
 يبطل النكاحان لوجود البطل في زعمه فيؤاخذ به أما المسلمة فتأهرا نصرانية
 بالردة وأما النصرانية فلانها يجوز لها الاسلام فدارت في زعمه وان كان بعد
 الدخول ثبت نكاح المسلمة وبقي نكاح النصرانية موقوفا على انقضاء العدة فان

أسلمت قبل انقضاء العدة ثبت نكاحها وإن لم تسلم إلى انقضاء العدة انفسخ
نكاحها **مسألة** * امرأة لها عبد فأبى فتزوجت برجل على أن يردّ عبدها إلا بقر
ويجعل ردّ العبد إلا بقر صدقها فهل يجوز أن يجعل ذلك صداقاً أم لا إن أجيب
فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب أن المسافة التي يردّ العبد منها إن
كانت معلومة جاز ولزمه ذلك وإن كانت مجهولة لم يجوز **مسألة** * رجل تزوج امرأة
وجعل صداقها أن يعلمها سورة من القرآن الكريم معينة كسورة الانعام مثلاً
والزوج لا يحسن تلك السورة فهل يصح ذلك أم لا إن أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقاً فهو خطأ * والصواب أن كان الصداق أن يعلمها تلك السورة بنفسه فلا يصح
على الصحيح وإن كان في الدمة صح ويكون بالخيار إن شاء تعلم هو تلك السورة وعليها
أيها الزوج إن شاء عليها أيها غيره **مسألة** * إذا أراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفق على
أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك إن أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب أن تعلمها ذلك إن كان رغبة في الاسلام فيصح
وإن كان طلباً لهاة لا رغبة في الاسلام لا يصح **مسألة** * رجل تزوج امرأة ولم يسم لها
مهر ثم دخل بها فهل يجب لها مهر أو تطالب به بذلك أم لا إن أجيب فيها بالاثبات أو
النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب أن كانت المرأة مسأوكه زوجها سيدها بماله أو
فانه لا يجب لها مهر ولا تطالب به وكذلك لو كانت مشركة وفوضت بضعها في الشرك
ودخل بها الزوج في الشرك ثم أسلمها على النكاح فانه لا مهر لها ولا تطالب به
محصول الاذن منها في الاتفاق في دار الشرك **مسألة** * رجل له زوج حامل فتأول
لها إذا ولدت ابناً فأنت طالق واحدة وإذا ولدت بنتاً فأنت طالق طلقين فولدت
ثلاثة أولاد فيهم ابن وبنت فهل طلقت ثلاثاً أم لا إن أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقاً فهو خطأ * والصواب * أنها إن ولدتهم دفعة واحدة بأن أخرجوا رؤسهم معاً
طلقت ثلاثاً وإن ولدت على التعاقب فإن ولدت أولاً ابناً ثم ولدت ابناً آخر وولدت
الثالث بمتافلا تطلق الا طلقه واحدة فإن الابن الثاني لا تطلق به لأن إذا لا يقتضي
التكرار وبولادة البنت بانته والطلاق لا يقع مع البينونة فلم يقع عليها غير طلقه
واحدة وإن ولدت أولاً بنتاً وولدت الولد الثاني بنتاً أخرى ثم ولدت الثالث ابناً
طلقت طلقين بالذات الأولى ولا تطلق بالبنت الثانية لما سبق ولا بالابن المولود آخر
لأن به بانته والطلاق لا يقع مع البينونة وإن ولدت أولاً ابناً ثم ولدت الثاني بنتاً أو

كان الامر بالعكس بأن ولدت أولا بنتا وثانيا ابنا معا دفعة واحدة وقع الثلاث فان
ولدت الاول ابنا والولدان الاخران نرجا معا دفعة واحدة لم تطلق غير واحدة
سواء كان ابنتين أو ابنا وبنتا وان ولدت الاول بنتا والولدان الاخران نرجا معا
دفعة واحدة طلقت طلقين لا غير سواء كان الاخران ابنتين أو ابنا وبنتا وهذه من
المسائل المستعسنة **مسألة** رجل له ابن كبير فقير خائف من الوقوع في الزنا وله أمة
ليطأها فزوج ابنه بأخته وصح النكاح فقال لها سيدها اذا مت فأنت حرة وقال
لها الزوج اذا مات أبي فأنت طالق ثم مات الأب فهل وقع الطلاق أم لا ان أجيب
فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الامانة خرجت من
الثالث عتقت ووقع الطلاق لمصادقة الطلاق حريتها وان لم يخرج من الثالث ولم
يعز عتقها الورثة لم يقع الطلاق لثبوت ملك الزوج في جزء منها بالارث فيفسخ
النكاح فلا يصادق الطلاق محلا وأن اجاز الورثة ففيه خلاف مشهور **مسألة** رجل
رجل وجبت عليه كفارة بعثت رقية فأعتق عبدا قد سقطت عنه صرة وبصره
وبقية اعضائه سليمة فهل يجوز له ذلك عن كمارته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان الاصبغين الساطين ان كانتا من كف
واحدة فلا يجوز له ذلك عن الكفارة وان كانتا من كفتين من كل واحدة
أصبغ ساقطة فيجوز له ذلك **مسألة** رجل طلق زوجته فشرعت في العدة
وعدتها بالشهور فانقضت الاشهر ثم جاءها الدم فهل تمت عدتها على السلامة
أم تعود تعتد بالاقراء ان أجيب فيها بأحد القسمين مطلقا فهو خطأ * الصواب *
ان كانت كبيرة آيسة وعادها الدم بعد ما تزوجت لما انقضت عدتها بالاشهر
فتقدمت عدتها على السلامة ونكحها باق وان جاءها الدم قبل أن تزوج
انتقلت الى الاعتداد بالاقراء على الصحيح وان كانت صغيرة فانتها لا تنتقل الى
الاقراء بكل حال **مسألة** رجل طلق زوجته في بيته فاعتدت فيه
وفلس الزوج فأراد المحاكم بيع البيت لوفاء ديون الغرماء فهل يجوز بيعه أم لا
ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب انها ان كانت
معتدة بالحمل أو بالاقراء لا يجوز ذلك بجهالة المدة المستحق فيها السكني
وان كانت عدتها بالاشهر فيجوز ذلك على أحد القولين كالدار المستأجرة في مدة
الاجارة **مسألة** رجل اشترى جارية ولم يوطأها وأراد أن يتزوجها قبل

أن يستبرئها هل يجوز له ذلك أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ
 * الصواب أنه إن كان قد اشتراها من امرأة أو من ولي صغير أو من كان قد
 استبرأها ثم باعها فيجوز له أن يتزوجها وإن كان قد اشتراها من رجل لم يستبرئها قبل
 البيع فلا يجوز (مسألة) رجل له عبد ما ذون اشترى جارية واستبرأها فأعتقها
 السيد لنفسه هل يحتاج إلى استبراء آخر أم لا في الاستبراء الأول في يد العبدان أجيب
 فيها بأحد القسمين مطلقاً فهو خطأ * الصواب أن العبدان لم يكن عليه دين لغريم
 لم يحتاج إلى استبراء جديد وإن كان عليه دين يرضيه ويلزمه أن يستبرئها لنفسه ولا
 يكفيها الأول لوجود تعاقب الدين فإذا زال التعاقب بالقضاء احتاج إلى تجديد الاستبراء
 (مسألة) رجل له زوجة صغيرة وله أخ ولا أخيه زوجة لها ابن فأرضعت زوجته الصغيرة
 خمس رضعات فهل ينفخ نكاحها بهذا الرضاع أم لا أن أجيب فيها بالاثبات
 أو النفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب أن كان اللبن لأخيه انفخ نكاح الصغيرة
 لأنها مارت بنبت أخيه فمرت وإن كان لغريم فلا ينفخ نكاحها فإن كونها
 ربيبة لأخيه لا يوجب النفخ (مسألة) رجل له زوجة وهو معسر وله عليه نفقة
 فرضيت بالقام معه بغير نفقة فهل يجوز ذلك أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي
 مطلقاً فهو خطأ * الصواب أن الزوجة إن كانت حرة جاز ذلك وإن كانت أمة
 لا يجوز إذ الحق في الخيار للسيد هادونها (مسألة) رجل وجب له القصاص على رجل
 في نفسه فأدغم ليقتله قصاصاً فهل له أن يعفو عن قتله على مال أن أجيب بالاثبات
 أو بالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب أن كان القاتل عبد المرحل فقتل عبداً
 آخر لسيدته فتدوجب عليه القصاص للسيد فله أن يقتله قصاصاً ولا يجوز أن يعفو
 عنه على المال لتعذره لأن السيد لا يحب له على عبده مال وإن كان رجلاً قد قطع
 عضو من رجل والعضو مقابل بالدية الكاملة كالذراع والأنف واليد وما أشبهه
 ذلك فاقص المقتوع من المتقاطع ثم بعد ذلك سري القطع إلى نفس المجنى عليه
 قصار القطع قتلاً فقد وجب القصاص في الجاني فله أن يقتله قصاصاً ولو أراد
 أن يعفو عنه على مال لم يعز أن أرش العضو يدخل في دية النفس فلا يجب له شيء
 بعدها وإن كان القاتل غير ذك فله أن يعفو على مال (مسألة) رجل وجب عليه
 القصاص في نفسه فقتل استبراء القصاص منه وله تركه فهل لو لوى الدم أن يأخذ
 الدية من تركته عوضاً عن القتل الذي فات بموته أم لا أن أجيب فيها بالاثبات

أوالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان كان الذي وجب عليه القصاص ومات ان كان قد قطع عضو مقابل بالدية الكاملة من رجل فسرى قطعه الى نفسه ومات فقطع الولي عضواً محضاً في المماثل للعضو الذي قطعه ولم يمت بقطعه فله ان يقتله قصاصاً اذا مات قبل ان يقتله قصاصاً فليس له ان يرجع الى تركته بالدية وهي من الغرائب وان لم يكن الذي وجب عليه القصاص بهذه الحالة فالولي ان يرجع بالدية في تركته عند تعذر استيفاء القصاص في نفسه بالموت (مسئلة) اذا دخلت طائفة من غزاة المسلمين داراً للحرب وأسرُوا وفتحوا وكان في الاسارى أسير له زوجة في عقد نكاحه فهل ينفخ في الحال نكاحها أم لا ان أحجب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان الاسير ان كان بالغاً ينفخ في الحال بجواز أن الامام لا يرى استرقاقه وان كان صبياً غير بالغ ينفخ في الحال لانه بنفس الاسير يصير رقيقاً فينفخ في الحال (مسئلة) رجل مسلم دخل داراً للحرب وأهله بها كفار فأسر أبويه وأولاده واختار ما كرههم فهل يعتقون عليه أم لا ان أحجب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان أباه والبالغين من ذكور أولاده لا يعتقون عليه لان الامام مخير فيهم بين القتل والاسر والاسترقاق والفداء والموت فلا يثبت في الحال لهذا المسلم الذي أسره ملك يحصل به العتق وأما أمه وبناته والصغار من ذكور أولاده فانهم يعتقون عليه أربعة أناس هم ابتداءً والخمس الباقي بالسرية ويقوم عليه بهذا ان كان موسراً وان كان معسراً عتق عليه منهم أربعة أناس هم وبق الخمس الا نحو منهم رقيقاً لاهل الخمس (مسئلة) اذا ربي في المسابقة الى الغرض وكان فيه سهم له أو لغيره والشرط اصابة الغرض ناعساب برمه فوق السهم الثابت في الغرض فهل يحسب له ذلك ويعتد به أم لا ان أحجب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب أنه ان كان بين فوق السهم المصاب وبين الغرض مسافة طول السهم لم يحسب له ذلك ولا يعتد به لانه ولا عليه لاحتمال الاصابة وعدمها ولا السهم وان لم تكن بينهما مسافة السهم بل قدر قريب بأن كان قد نفذ في الغرض وبقى فوقه لا غير حسب له ذلك واعتد به اذ لو لا الغرض لاصاب الغرض * فهذه ستمون مسئلة مستخرجة من فوائد اهل التفصيل يحتاج المسؤل عنها في اصابة الصواب الى التفصيل فان أجاب عن الاماثل اثباتاً أو نفياً فقد صدق فيها عن سواء السبيل * وحيث تم النوع الاول فليردفه بالنوع

الثاني وهو أكل منه حسنا وأشمل معنى ولا يصيب الصواب بجوابه فيه الأمن
صرف إلى اكتساب العلم قايما ذكرنا وهذا النوع على الخصوص كان
السلطان الملك الكامل قدس الله روحه وجعل البركة في عمر المولى السلطان الملك
الناصر قد جعل استعماله له واعتناء به من جملة الأوراد إذا ورد عليه فضلاء البلاد
وحضر لديه في أيام المواسم والأعياد وجوع الحافل عظماء الأوراد فبئس لهم من هذه
المسائل ما يختبر به مقدار فضلهم ليرعاهم بتدبره وينزل كل منهم في رتبة استحقاقه
من أكرامه ويرد ويستبين بذلك الموافق والمخالف منهم بين خبره وخبره ولعمري
إن النفس الكريمة المولوية السلطانية الملكية الناصرية الصلاحية أفاض الله
عليها أنوار اليقين وجعلها من جملة عبادة المتقين وإن كان بصفاء جوهرها
وذكاء خاطرها وكمال ادراكها ونور بصيرتها وما خصها الله به من تمام
البقطة وقوة الفطنة وجودة القرينة وذكاء الفطرة لا يحتاج إلى ذكر مسائل غيرها
بين من دلالة غروره فهو لا يس ثوى زور وبين من خصه الله من مشكاة الأنوار بنور
على نور لكن الاقتداء بتحسنات حسنات السلاطين السالفين معدود من السنن
والإتقاء لأنوارهم الحميدة من الفعل الحسن فأنبت لمعة في هذا الكتاب المبارك من
هذا النوع من تلك المسائل ليكون في الخدمة السلطانية بحيث يتف عليها ويجعلها
ذريعة إلى الاختيار وإن كان مع نظره الشريف لا يحتاج إليها واقتضت منها على
القدر القليل حذرا من التطويل وذكرت صورة السؤال وكيفية الجواب وشيأ من
التعليل

(مسائل أخرى)

(مسئلة) رجلان خرجا لاصيد فوجدوا صيدا فقصصناه ورمياه بهما
على التعاقب أحدهما بعد الآخر فراح ومات بعد ذلك فما الحكم في هذه الصورة
المسئلة مع قلة لفظها وسهولة صورتها يتعلق بها أحكام كثيرة * الجواب فيها يتحرر
بالنظر في ثبوت الملك في الصيد من حصل منهما وفي أكله هل يحل أم لا وفي الضمان
هل يجب لأحدهما على الآخر أم لا وفي مقدار ما يجب من الضمان * والصواب
في ذلك أما ثبوت الملك في الصيد فإن كان الأول لما رماه جرحه وما أزمسه
وبقي على ما صكان عليه من الامتناع والثاني برمييه أزمسه وأزال امتناعه فإن
الثاني ملكه دون الأول وإن كان الأول أزمسه وأزال امتناعه دون الثاني
كان للأول وإن حصل الأزمان وقوال الامتناع بالرميتين المتعاقبتين منهما فقد

ذهب بعض الاصحاب الى أنه يكون مشتركا بينهما وذهب بعضهم الى أنه ملك
للتاني دون الاول لحصول الازمان عقبيه ربي الثاني ولم يحصل عقبيه ربي الاول
والملك تابع للزمان فان اختلفا وقال كل واحد منهما أنا أزمته بجراحتي
فهو ملكي ووقع الشك في جراحة الاول هل أزمته بالصيد وأنته أم لا فالقول
قول الثاني وتسكون له لان الاصل بقاء امتناع الصيد الى أن يتيقن زواله فهذا حكم
الملك * وأما حكم الاكل * فان كان الراي الاول قد صير الصيد بجرحه الى حالة
المنبوح ولم يؤثر فيه جرح الراي الثاني فانه يحل أكله وان كان قد أزمته وما أوصاله
الى حالة الزهوق بل فيه حياة مستقرة فرمى الثاني ان كان قد أصاب السهم مذبحه
فانه يحل أكله لكونه صار مندبوحا وان كان لم يصيب بالسهم مذبحه بل جرحه في غير
المذبح فأزهد نفسه فسات به فقد قال الشافعي رضي الله عنه أنه يحرم أكله لانه صار
مقدورا عليه فصار حل أكله متوقفا على ذبحه ولم يذبح فإدامات له يحل وكذلك
نومات من الجرحين الاول والثاني فانه لا يحل أكله لما أشار اليه من التعليق * وأما
وجوب الضمان ومقدار ما يجب ففي الصورة التي ملكه الثاني دون الاول وفي
الصورة التي صيرها الاول فيها برمييه وجرحه الى حالة المنبوح وملكه فرمى الثاني
وجرحه قد صادف ملكه الاول فان كان برمييه نقص شيء منه بان مرق الجرح قد نقص
أو أفسد شيئا من اللحم فوجب عليه للاول ضمان ما نقص وفي الصورة التي أزمته
الاول بجرحه ولم يوصاله الى حالة المنبوح بل ملكه وفيه حياة مستقرة ففي الحالة
التي أصاب الثاني برمييه مذبحه فذبحه فانه يجب على الثاني للاول ضمان ما بين قيمته
من ما ومنبوحا لانه ذبح ملك غيره وان كان أكله حلالا وفي الحالة التي أصاب الثاني
بجرحه غير المذبح فسات منه بان كان مرهقا فيجب عليه للاول جميع قيمته بجرحه
وفي الحالة التي مات فيها من الجرحين الاول والثاني فانه يجب على الثاني للاول
لكونه جانيا على ملكه ويختلف مقدار ما يجب على الثاني من الضمان باختلاف
حال الصيد وقت موته فان كان موته قبل أن يتمكن من ذبحه فيجب عليه كمال
قيمته بجرحه وان فعل الاول كان سبب حل الصيد فلا حكم للسراية وفعل الثاني
وقع مفسدا فيتعاقب به وجوب القيمة هذا هو الصحيح وان كان موته بعد أن تمكن
ماله من ذبحه فلم يذبحه حتى مات من الجرحين فلهذا اختلف أقوال الاصحاب في
مقدار ما يجب على الثاني للاول فذهب بعضهم الى أنه يجب عليه نصف قيمته لان
موته من سراية جرحين أحدهما مباح والاخر حرام فيخصه النصف وذهب بعضهم

وهو اختيار أبي سعيد الأسدي إلى أنه يجب عليه كمال قيمته بغير وحالانه برميته
 أنلغه فضله وقد بنى الأصحاب هذه المسئلة على مسئلة لا بد من التعرض لذكرها
 وتفصيل حكمها فانها من المسائل المحسنة وبها يكشف مقدار ما على الثاني من
 الضمان وهي أن نفرض أن المجرحين صدر في صيد مملوك لأنسان فسات من
 سرايته فان الضمان يجب عليهم ما فينظر إلى ما يختص بالاول ويخصه من الضمان
 فنسقطه في مسئلتنا لكون الرأى الاول في مسئلتنا كان فعله مباحا إلى ما يختص
 بالثاني ويخصه فنوجهه على الرأى الثاني في مسئلتنا فنقول صيد مملوك لرجل قيمته
 عشرة دراهم رماه رجل بفرجه فنقص من قيمته درهم ورجعت قيمته إلى تسعة
 دراهم ثم رماه الثاني بفرجه فنقص من قيمته درهم آخر ثم مات من المجرحين فاختلف
 الاقوال من الأصحاب في هذه المسئلة على خمسة أوجه (الاول) وهو اختيار المازني
 رحمه الله أنه يجب على الاول خمسة دراهم وعلى الثاني خمسة دراهم ووافق
 أبو اسحاق المروزي رحمه الله في الحكم وخالفه في التعليل وهذا بعيد لدلتهاوت
 القيمة وقت الجناية (الثاني) أنه يجب على الاول نصف العشرة وعلى الثاني
 نصف التسعة وهذا وجه لا وجه له لما فيه من تضییع حق المالك
 (الثالث) وهو اختيار الثغالب أنه يجب على الاول نصف العشرة ونصف وعلى
 الثاني خمسة واعتبر موجب الجناية والسراية وهذا الوجه أيضا مدخول لما فيه من
 زيادة على القيمة (الرابع) وهو اختيار أبي الطيب بن سلق رحمه الله أنه جمع
 ما عليهم من الارش والسراية فكان عشرة ونصف والمالك لا يستحق الزيادة
 فنقسم القيمة وهي العشرة على الواجب وهو عشرة ونصف فجعل على الاول منها
 خمسة أسهم ونصف سهم من العشرة جمع بين الأمرين وهذا وجه أيضا مدخول لما
 فيه من اعتبار الارش مع سائر الجناية (الخامس) وهو اعتبار صاحب التقريب
 اختياره امام الحرمین رحمه الله تعالى أن على الثاني أربعة ونصف لا غير وعلى
 الاول تمام العشرة خمسة ونصف لكون الاول متسببا إلى الفوات لولا الثاني
 فبايتعذر تفرقه على الثاني يبقى على الاول وهذا أقرب الوجوه فاذا ظهرت الاقوال
 في هذه المسئلة فلهذا في مسئلتنا فكلما اختص بالاول في هذه المسئلة سقط في
 مسئلتنا وكلما اختص بالثاني وجب في مسئلتنا على الثاني لالاول (مسئلة) أخوان
 تزوج أحدهما بامرأة كبيرة ووطئها وتزوج الآخر بصغيرة لا تحتفل الوطئ ثم ان كل

واحد منهما طلق زوجته وتزوج بالتي كانت زوجة أخيه ثم إن الكبيرة أرضعت
 الصغيرة خمس رضعات فهل النكاحان باقيان أم ينفسخان أم ينفسخ نكاح
 الكبيرة وخدتها أم ينفسخ نكاح الصغيرة وحدها (المجواب) أن النكاحين
 ينفسخان أما الكبيرة فإن نكاحها انفسخ لأنها صارت من أمهات النساء بسبب
 الصغيرة التي كانت امرأة زوجها وصارت الكبيرة حراما على الأخوين على التأييد
 لا يجوز لأحدهما أن يتزوج بها لأنها أم امرأة كل واحدة منهما وأما الصغيرة فإنفسخ
 نكاحها لأنها صارت ربيبة فإنها بنت امرأة قد دخل بها وتحرم عليه على التأييد
 (مسئلة) رجل تزوج امرأة كبيرة وثلاث صغيرات وللكبيرة لبن فأرضعت الكبيرة
 الصغير الثلاث لكل واحدة خمس رضعات على الترتيب ولبن الكبيرة المرصعة
 ليس من الزوج فهل ينفسخ نكاح الثلاث أم لا ينفسخ منه شيء أم ينفسخ نكاح
 البعض دون البعض فما الحكم (المجواب) أنه ينفسخ نكاح الكبيرة ونكاح
 التي أرضعتها أولا لأنه صار جامعاً بين الأم وبناتها وأما نكاح المرصعة الثانية من
 الصغير فإن كانت الكبيرة المرصعة قد دخل بها الزوج انفسخ أيضاً لأنها بنت
 امرأة مدخول بها فهي ربيبة وكذلك نكاح الثالثة أيضاً ينفسخ لكونها ربيبة
 مدخول بها وإن لم يكن الزوج قد دخل بها لم ينفسخ نكاح الثانية لأنها لم أرضعها
 كانت بائمة منه فلم يصير جامعاً بينهما وأما الثالثة فقد حصلت اختلافاً فبطل
 نكاحها بارضاها وهل يؤثر ذلك في فسخ نكاح الثانية فيه خلاف ووجه انفساخها
 لأن الأخوة بينهما ثبتت عند ارضاع الأخيرة دفعة واحدة فرفعت النكاح
 كالوأرضعتهم ما دفعة واحدة ووجه أنه لا ينفسخ أن الحرة تتحدث عند ارضاع
 الثالثة فتخصها كالوعقد على أخت زوجها فإن الثانية تفتق بصحة انعقاد
 نكاحها ويبقى نكاح زوجته فكذلك هذا (مسئلة) رجل له ثلاثة أولاد لهم
 عليه مال فطالبوا ليعقر لهم به وقال للكبير على ألف درهم والانصف مالاً لوسط
 وللأوسط على ألف درهم والأثالث مالاً للصغير وللأصغر على ألف درهم الأربعة
 مالاً كبرفكم جلة ما لهم عليه ولكم مقدار ما لكل واحد منهم (المجواب) أما جلة
 الذي أقر لهم به فهو ألفان ومائتا درهم وأما ما لكل منهم فإن الكبير له ستمائة درهم
 وأربعون درهماً والأوسط له سبعمائة درهم وعشرون درهماً والأصغر له ثمانمائة
 درهم وأربعون درهماً وبيان صحة ذلك أنه إذا أسقط من الألف نصف مالاً لوسط
 ونصف الذي للأوسط ثلثاً ثمانمائة وستون تبقى ستمائة وأربعون درهماً وهي التي

الأكبر وإذا أسقطت من الألف ثلث مالا يصغر وثلث مالا يصغر هو مائتان وعشرون
درهما تبقى سبعمائة وعشرون وهي التي للأوسط وإذا أسقطت من الألف ربع
مالا الكبير وربع الذي للكبير مائة وستون يبقى ثمانمائة وأربعون وهي التي
للأصغر فهذه صورة المسئلة وجوابها * وأما طريق استخراجها وكيفية العمل
فيها فهو أن تؤخذ مخرج السكود التي ذكرها في الاستثناء وهي مخرج النصف
وهو اثنان ومخرج الثالث وهو ثلاثة ومخرج الربع وهو أربعة فتضرب الأول
وهو اثنان في الثاني وهو ثلاثة تكون ستة ثم في الثالث وهو أربعة تكون
أربعة وعشرين ثم يؤخذ الجزء المستثنى أولا وهو النصف من الاثنين ويؤخذ
لجزء المستثنى ثانيا وهو الثلث من الثلاثة ويؤخذ الجزء المستثنى ثالثا وهو
الربع من أربعة فتضرب الأجزاء الثلاثة بعضها في بعض وهي من كل مخرج
واحد فتضرب واحدا في واحد ثم المرتفع من ذلك في واحد فلا يرتفع من الجميع غير
واحد فيزداد على ما كان قد ارتفع من ضرب المخرج أولا وهو أربعة وعشرون
فيصير الجميع خمسة وعشرين وهي المقسوم عليه فيحفظ لأجل القسمة ثم يؤخذ ما بقي
من مخرج النصف بعد اسقاط الجزء المستثنى وهو واحد فيضرب في مخرج الثالث
وهو ثلاثة تكون ثلاثة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من النصف وهو واحد فيضرب
في الجزء المستثنى من الثلث وهو واحد فيكون واحد فيزداد على تلك الثلاثة فيصير
أربعة فيضرب في مخرج الربع فيكون ستة عشر فيضرب في الألف فيكون ستة
عشر ألفا فيقسم على الخمسة وعشرين المحفوظة أولا فتخرج ستمائة وأربعون
وهو المقدار الذي للكبير ثم تعمل في الآخر كذلك فيؤخذ الباقي من مخرج الثلث
بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقي منه وهو اثنان فيضرب في مخرج الربع
وهو أربعة فيكون ثمانية ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الثلاثة وهو واحد
فيضرب في الجزء المستثنى من الأربعة وهو واحد فيكون واحد فيزداد على
الثمانية فتصير تسعة فيضربها في مخرج النصف وهو اثنان فتكون ثمانية
عشر ألفا فتقسم على الخمسة وعشرين المحفوظة فتخرج سبعمائة وعشرون
وهو المقدار الذي للأوسط ثم يؤخذ الباقي من مخرج الربع بعد اسقاط الجزء
المستثنى منه والباقي منه ثلاثة فيضرب في مخرج النصف وهو اثنان تكون ستة
ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الأربعة وهو واحد فيزداد على الستة فتصير سبعة
فيضربها في مخرج الثالث وهو ثلاثة فتكون إحدى وعشرين فتضرب في الألف

فتصير أحد وعشرين ألفاً في قسم على الخمسة والعشرين فتخرج ثمانمائة وأربعون وهو المقدار الذي الأصغر **مسألة** خمس رجال تطهروا للصلاة وجلسوا في بيت فسمعوا صوت حدث من بينهم وأنكر كل واحد منهم أن يكون هو الذي أحدث ثم إن كل واحد منهم صلى اماماً بالباقيين في صلاة واحد من الصلوات الخمس الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فهل صحت صلاة الأئمة الجميع والمأمومين أم بطلت صلاة الجميع أم صحت صلاة الأئمة وبطلت صلاة المأمومين أم صحت صلاة المأمومين وبطلت صلاة الأئمة أم صحت صلاة البعض وبطلت صلاة البعض **الجواب** إن صلاتهم الصبح والظهر والعصر صحيحة للأئمة والمأمومين ولا إعادة عليهم ولا على واحد منهم في شيء منها يجوز أن يكون الحدث المسموع من الإمامين السابقين في المغرب والعشاء فأما الصلاة الرابعة وهي صلاة المغرب فلا إعادة فيها على واحد منهم الأعلى من أم في الصلاة الخامسة لأنه لما نفي الحدث عن نفسه وعن الثلاثة الذين صلى خلفهم واقتدى بهم من قبل في الصبح والظهر والعصر فقد أضاف الحدث إلى الرابع ونسبه اليه ومن اقتدى بمن اعتقد حدثاً زعمته الإعادة وأما الصلاة الخامسة وهي العشاء فلا إعادة فيها واجبة على المأمومين الأربعة لأنهم أضافوا الحدث إلى الخامس وهو الإمام فيها وانما زعمته إعادة الأربعة التي كان مأموماً فيها وهذه مستحسنة المسائل فرتبها الاستصحاب على مسألة في اشتباه المساء الظاهر والتجسس في الأواني إذا اجتهد فيها جساءة وهي من المسائل المشهورة بين العلماء **مسألة** رجل له زوجتان اسم الواحدة هند والآخرى زينب فنادى أحدهما فقال يا هند أنت طالق ثلاثاً مع زينب وقان ما كان في نيتي الإطلاق هند فهل يقبل دعواه أم لا وإذا لم تقبل دعواه فكيف يقع على كل واحدة ثلاث طلاقات أم طلقتهان **الجواب** أنه يقبل دعواه في أنه لم يرد بالطلاق إلا هند وإذا لم يرد زينب فلا يقع عليها طلاق أصلاً ويقع الطلاق الثلاث على هند دون الأخرى **مسألة** رجل مات وخلف ورثته المستحقين ميراثه بتمته وبنت ابنه وأخته لأبويه وأمه فأقسم ميراثهم على الفريضة الشرعية للبنت النصف ولبنات الابن السدس تسكيمات الثلاثين وللام السدس والباقي للأخت المذكورة ثم أقرت انسان وقال لورثة فلان ألف درهم على تخفيض وطالبوه وقبضوها منه وماتت عقب دفنها فكيف تقسمها بينهم وكيف يكون لكل واحدة منهم منها **الجواب** نص الشافعي رضي الله عنه

على حكم هذه المسألة وقال يقسم الميراث بين الورثة المقر لهم بالسوية ويكون ذكر ذلك صفة تعريف ولا يكون مقسوما على الموارث فيصرف الى كل واحدة من النسوة الاربع ربع ربع الالف المقر بها **(مسألة)** مات انسان وخلف مالا فأخذ ورثته بقسمون التركة فجاءت اليهم امرأة حبلى وقالت لا تقسموا فاني حامل فان وضعت بنتا ورثت هي وأنا وكذا شريككم في التركة وان وضعت ابنسالم يرث هو ولا أنا وان وضعت بنتين ورثنا كلنا وان وضعت بنتا وابنسالم يرث هذا أحد فن كانت هذه الحبلى من الميت ومن هم الورثة **(الجواب)** ان هذه الحبلى بنت ابن الميت وصورة المسألة امرأة لها زوج وأب وأم وبنت ولها بنت ابن ابن مريضة بابن ابن آخر لها مات عنها وتركها حبلى وهي هذه التي قالت لهم لا تقسموا فلزوج الميتة الربع ولبناتها النصف ولا بويها السكل واحد السدس فان وضعت هذه الحبلى بنتا ورثت كلاهما السدس بينهما تسكيلة الثلثين لانهما في درجة واحدة فانهما ينسبان الى الميتة بأنهما بنتا بنين وتؤول المسألة الى خمسة عشر فيكون للزوج ثلاثة وللبنت ستة وللأب سهمان وللأم سهمان وهذه الحبلى سهم واحد ولها سهم واحد وكذلك ان وضعت بنتين كان السدس الباقي بينهما وبين بنتيها بقاسمته سواء وان وضعت ابنا وابنا وبنتا فلا شيء لواحد منهم لانهم صاروا عصبة بالذكور ولم يبق بعد الغروض شيء ليصرف الى العصبة **(مسألة)** رجل مملوك له بنتان حرة وله أب مملوك فاشترت البنتان أباهم اعتق عليهما وصاروا ثم ان الكبري من البنين اشترت هي وأبوها جسدتهما في عليهما وصار الجميع أحرارا فمات أبوهما ثم مات جسدتهما فسيكون تقسم تركتهما الاب **(الجواب)** أما تركتهما الاب فلا إشكال فيها فانها بين ابنتيه وأبيه البنين الثلاث وللأب الثلث وانما الإشكال في ميراث الجدة وتفصيل الحكم فيه ان الجدة قد خلفت بنتي ابن فلها الثلثان فرضا يبق من التركة الثلث والكبرى الولاء على نصف الجدة لانها اشترت نصفه فلها نصف الثلث الباقي بولائها على النصف فيبقى السدس كان يستحقه مولى نصفه الآخر وهو ابنه وهو ميت ليس له عصبة فيكون نصيبه لمعتقه والبناتان معتقتاه فيكون السدس بينهما نصفين فتصح المسألة من اثني عشر سهما قل كل بنت منهما أربعة بحكم القرابة ثم للكبرى من الاربعة الباقية بحكم ولائها على الجدة سهمان ثم السهمان الباقيان بينهما نصفان لكل واحدة

سهم واحد ويصير للبنت الكبرى سبعة أسهم وللصغرى خمسة أسهم **مسألة**
 عبد مملوك له ابن وبنت أحرار فاشترى أباهما عتق عليهما ثم اتى الأب اشترى
 ابنا وأعتقه ثم مات الأب فأكسب العتيق مالا ثم مات كيف نفعهم تركته وهذه
 من المسائل المشككة حتى قيل أنه غلط في جوابها وأخطأ في اصحابها
 أربعمائة قاض فضلا عن غيرهم فانهم قالوا ما هو الامة سادرا الى فهم من لم يكن قدمه
 راسخة في التحقيق ولا لخطئه العناية الربانية بعين التوفيق ان ميراث العتيق يكون
 بين الابن والبنت الذين اشترى أباهما معتق هذا العبد فانهما معتقاه فوريانه
 وهذا غلط قبيح وخطأ فاحش والحق في الجواب أن جميع التركة للابن لانه عصبه
 المعتق وأما البنت فانها معتقة المعتق ولا حق لمعتق المعتق مع وجود عصبته المعتق
 من النسب والابن عصبه المعتق دون البنت فكان الميراث له فلهذه عشر مسائل
 كافلة بالمراد كافية مع في الغرض مع الاقتصاد

مسائل حسابية

النوع الثالث في ذكر شيء من سير المسائل التي يرتاض بذكرها الخاطر ويتقن
 منها المقصر القاصر تصلح لطارحة من يتحلى بعقود الحساب ويتولى زعماء صدور
 الحساب **مسألة** رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص اشترى ثمانية فساؤه عن ثمنها
 فذكره لهم فقال أكبرهم لا وسطهم ان أعطيتني ثلاثة أخماس مامعك من الدنيا يصرار
 معي ثمن الفرس وقال الاوسط للاصغر ان أعطيتني أربعة أسباع مامعك من
 الدنيا يصرار معي ثمن الفرس وقال الاصغر لأكبر ان أعطيتني خمسة
 أثمان مامعك من الدنيا يصرار معي ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس ديناراً
 وكم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنيا **الجواب** أما ثمن الفرس
 فانه كان ثلثمائة دينار وأربعين ديناراً وأما ما كان مع كل واحد منهم من
 الدنيا فان الأكبر كان معه مائتا ديناراً وثمان ديناراً وكان مع الاوسط مائتا
 ديناراً وعشرون ديناراً وكان مع الاصغر مائتا ديناراً وعشرة ديناراً واعتبار
 ذلك أنه اذا أخذنا ثلاثة أخماس المائتين والعشرين التي هي مع الاوسط وهي
 مائة وثمانون وأضفنا الى مائة وثمانون مائة وثمانون وثمان مائة
 وأربعين ديناراً وهو ثمن الفرس واذا أخذنا خمس أثمان المائتين والثمانية التي
 هي مع الأكبر وهي مائة وثلاثون وأضفنا الى مائة وثمانون مائة وثمانون
 وثمان مائة وأربعين ديناراً وهو ثمن الفرس واذا أخذنا أربعة أسباع المائتين

والعشرة الى ثنى مع الاصغر وهي مائة وعشرون دينارا و اضيف الى ماع الاوسط وهو مائتان وعشرون صارا ثمانمائة واربعين دينارا وهي ثمن الفرس وأما طريق استخراجها فهو أن تضرب الخارج بعضها في بعض فتضرب خمسة في سبعة تسكن خمسة وثلاثين ثم تضرب في ثمانية تكن مائتين وثمانين ويزاد اليهما ما يرتفع من ضرب عدد الـخمس وهي ثلاثة في عدد الـاسباع وهي أربعة ثم في عدد الـثمان وهو خمسة وذلك يستون فيصير الجميع ثلثمائة واربعين وهو ثمن الفرس ثم يؤخذ من مخرج الخمس وهو خمسة فيعزل منه ثلاثة أخماسه ويضرب الباقي وهو اثنان من مخرج السبع يسكون أربعة عشر فيراد عليها عدد الـخمس مضروبا في عدد الـاسباع وهو اثناعشر يصير ستة وعشرين فتضرب في مخرج الثمن تكون مائتين وثمانية وهو مقدار ماع الاكبر ثم ياتي ذلك من ثمن الفرس فباقي فهو ثلاثة أخماس ماع الاوسط فيراد عليه ثلثاه فبالغ فيكون ماع الاوسط فتلقه من ثمن الفرس فباقي فهو أربعة أسباع ماع الاصغر فيراد عليه ثلاثة وأربعة فبالغ فيكون ماعه **(مسئلة)** ثلاثة أشخاص مسافرون معهم ما تزودوه في طريقهم من الخبز مع أحدهم ثمانية أرغفة ومع الآخر سبعة أرغفة ومع الآخر ستة أرغفة فراقفهم انسان لا يخبرهمه فإلصوا كلهم وأخرجوا الارغفة وهي أحد وعشرون رغيفاوا كلوها جميعهم أكلوا على السواء فلما قاموا دفع اليهم الرجل الغريب أحدا وعشرين درهما وقال خذوا هذا عوضا عما أكلت من زادكم ثم فارقهم فكيف يقتسمون الدراهم بينهم **(الجواب)** صاحب الارغفة الثمانية يأخذ أسبعا وعشرين درهما وصاحب السبعة يأخذ سبعة دراهم وصاحب الستة يأخذ ثلاثة وثلاثين فيكون ذلك أن كل واحد من الأشخاص الاربعة لما أكلوا على السواء يكون قدأكل خمسة أرغفة وربعها فيكون الضيف قدأكل هذا المقدار مثل كل واحد منهم والذي فضل لصاحب الثمانية رغيفان وثلاثة أرباع والذي فضل لصاحب السبعة بعدأكله رغيف وثلاثة أرباع والذي فضل لصاحب الستة ثلاثة أرباع لا غير والدراهم المدفوعة في مقابل الخمسة والرابع التي أكلها فيكون في مقابلة كل رغيف أربعة دراهم فانما قسمت على ذلك كان لكل واحد منهم ما تقدم بيانه وهذا مقرر في كل ما جازس هذه الصورة **(مسئلة)** رجل عليه نواج ملكه فأحضره مستخرج الخراج لاستيفاء ما بقى عليه منه فقال كم

أدب من الخراج الواجب عليه لثالث ما أدبت وربيع ما بقي وخمس جميع
الخراج فكم هو جميع الخراج وكم الذي أدى وكم الذي بقي **الجواب** أما جميع
الخراج فإنه خمسة وخمسون وأما الذي أداه منه فسبعة وعشرون وأما الذي بقي منه
فثمانية وعشرون وطريق استخراج ذلك أن يؤخذ مخرج الثلث وهو ثلاثة فيضرب
في مخرج الربيع وهو أربعة يكون اثني عشر فيسقط منه ما بين المخرجين وهو واحد
تبقى أحد عشر فيضرب في مخرج الخمس يكون خمسة وخمسين وهو مبلغ الخراج ثم
يؤخذ المرتفع من ضرب مخرج الثلث في الخمس يكون سبعة وعشرين وهو المقدار
الذي أداه إلى الخراج والساقى من الخراج وهو ثمانية وعشرون **مسألة** إذا
أرسل السلطان فارسا بكتاب إلى بلد بعيد وأمره أن يسير كل يوم سبعة فراسخ ثم عزم
مهم آخر اقتضى أن يلحق به الفارس فأرسل نجابا بعد الفارس بتسعة أيام وأمره
أن يسير كل يوم خمسة عشر فرسخا ليدرك الفارس ففي كم يوم يلحقه **الجواب** يلحق
النجاب الفارس في سبعة أيام وعشر ساعات ونصف ساعة وهي نصف يوم وربع يوم
وثلث يوم وطريق استخراج ذلك أن ينقص سير الفارس وهو سبعة من سير النجاب وهو
خمس عشر ويؤخذ الباقي منه وهو في هذه الصورة ثمانية فيحفظ ليقسم عليهم ثم يضرب
سير الفارس في عدد الأيام التي قد سبق الحساب بها وهي تسعة أيام فتكون ثلاثة
وستين فيقسم على المحفوظ أولا وهو ثمانية فيخرج من القسمة سبعة ونصف وربع
وثلث وهو **الجواب** **مسألة** نجاب سير في مهم إلى بلد وأمر أن يسير في ذهابه مسرعا
كل يوم خمسة عشر فرسخا وفي عودته مسرعا كل يوم تسعة فراسخ فمضى وعاد في عشرين
يوما كم كان منه في ذهابه وكما كان في عودته **الجواب** كان ذهابه في سبعة أيام
ونصف وكان عودته في اثني عشر يوما ونصف وطريق استخراج ذلك أن تجمع فراسخ
ذهابه ومحيطه فيكون أربعة وعشرين فرسخا فهي المقسوم عليه ثم تضرب فراسخ
عودته في الأيام التي ذهب وعاد فيها وهي عشرون فتعطي مائة وثمانين فتقسم
على الأربعة وعشرين المذكورة فتخرج بالقسمة سبعة ونصف وهو عدد
أيام ذهابه وتضرب فراسخ ذهابه في الأيام كلها تكون ثمانية وتسعة وتسعين على الأربعة
وعشرين فتخرج بالقسمة اثنا عشر ونصف وهي عدد أيام عودته وهذا القدر
اليسير يكمل مقصود المذاكرة ويحصل الغرض من نشوار المحاضرة فان هذا

النوع بين الأنواع والأقسام بمنزلة الملح المستعمل في الطعام فقليله كافٍ ويسيره بالمطلوب شافٍ ولو لا ذلك لاطال القلم لسانه في إيراد صورته المستغربة المعاني وتعداد مسائله المستعذبة المجاني فإنه نوع لا يكاد يحصر غرائبه كاتب ولا يضبط بحسابه حاسب * ولما انتهت في الكلام في هذا المقام إلى آخر هذه المسائل الرياضية التي تنبسط القرايح في استخراجها وتنشط الخواطر لاستنتاجها فليكن ختامها زفاف بكر من خدركر اذ اتصلت بأرباب الأذهان والفطن نزلت من خواطرهم الصائبة في أرجح منزل وأفسح وطن وأماطت عن أبصار بصائرهم الصافية اعراض الأغراض ومعارضه الوسن فلاجرم هي لغيرهم فاطمة عن معارجها وعندهم والدة من نتائجها كل حسين وحسن وهي لمة موضوعة لاستخراج معرفة أوائل الشهور في جميع السنوات وحكمة يستنبط بها مواقيت الأهلّة ومواسم الأوقات وفائدة يهدي إليها ويدل عليها ما ينط به من الأسماء والصفات فالألقاب السلطانية دليلها وعلى الصفات الملكية الذاصرة تعويها وفي خدمته العالمة مقرّها ومقملها ومن خدمته المولى والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف تعريفها وتأصيلها فمن تأمل سرّها بعين الدراية عرف رمزها ومن تحمّل عبثها لطاب الهداية فقد كشف كنزها وهذا الجدول لا يضاعها وبه يبان مفتاحها ولما كانت الحاجة داعية إلى معرفة أوائل الشهور والمياسم المبنية عليها وقد تكون المطالع كاسية من ملابس الغيوم ما يحول بين الأهلّة وبين الناظرين إليها كان من فوائد العمل بهذا الجدول أن يؤخذ جميع سني الهجرة من أولها مع السنة التي تريد معرفة أول أشهرها ومواسمها فيسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة إلى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فتتظر في جدول الأعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد فحساب الجدول عن يمينه طولاً في العشرات وأعلى الجدول في نفسه الآحاد فالأحادي من الواحد إلى العشرة والعشرات من العشرة إلى المائتين وعشرة فتنظر إلى المقدار الباقي بعد اسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع أصبع على البيت الذي فيه تلك العشرات وأصبع على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمرر الأصبع في السطر الذي يواز تلك العشرة عرضاً وتنزل الأصبع في السطر الذي تحت ذلك العدد من الآحاد طولاً في حيث التقت الأصبعان في بيت واحد ينظر ما في

ذلك البيت من الاسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينتظر في الجدول
المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فاذا ظهر في أعلاه
الجدول فتوضع الاصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته الى محاذاة الموسم
أو الشهر المطلوب معرفة أوله ان كان شهرا أي يوم هو أو ان كان موسما فلا كان
في محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك انه اذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع
وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتسقط سنوات
الخمسة مائة اثنين وعشرة مائة وعشرة فتسقط ستمائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر
وفي الواحد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة فاذا وضعت أصبعها على العشرة
الواحدة ثم مررت في الوسط الموازي لها وضعت أصبعها على الأربعة ثم نزلت الى
محاذاة العشرة الواحدة التت اصبعان في بيت واحد فيه الاسم الكريم
السلطاني نصره الله وهو يوسف فيحفظ لازل في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر
في جدول الاشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في العرف الايسر من السطر
الاعلى منه فتوضع الاصبع بازائه وتنزل الى محاذاة شهر شعبان فيوجد في محاذاته
اسم أوله وهو يوم الاربعاء ومحاذاة نصفه تحته يوم الاربعاء ومحاذاة أول رمضان
تحته يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحته وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق
العمل به دائما

الأعداد الحاد وعشرات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
عشرة	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
عشرين	المولى	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	يوسف	الناصر
ثلاثين	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
أربعين	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	السلطان
خمس	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر
ستين	المولى	خدمة	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
سبعين	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر
ثمانين	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر	السلطان
تسعين	يوسف	الملك	المولى	السلطان	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر	الملك
مائة	المولى	خدمة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	الملك	خدمة
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر
مائة وعشرين	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	السلطان
مائة وثلاثين	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر
مائة وأربعين	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف
مائة وخمسين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر
مائة وستين	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	الملك
مائة وسبعين	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر
مائة وثمانين	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان
مائة وتسعين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر
مائة	الملك	المولى	يوسف	الناصر	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر

أسماء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	الملك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
المحرم	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
عاشوراء	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ربيع اول	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع اخر	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
جادى الاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة
جادى الاخرة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
النصف	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
ذوالقعدة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ذوالحججة	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
الوقفة	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
عيد الاضحى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس

﴿طائفة الكتاب وهي الدعاء﴾

وحيث تجوزت مقاصد القواعد السابقة وتحررت أنواع هذه القاعدة المستأنفة واشتملت بروائها ومعاقدتها على فنون من المعاني الثالثة والطارفة وجعلت من سمات الصفات ومهمات الولايات ما قامت بحقه فيه فصاح اللسان الواصفة وان انقسامه وانتظم تناسله وتم انتظامه أبرم حاكم الانحلاص حكماً لا يسع نقضه وحكم بما لا يسوغ تركه ورفضه وألزم ما يتحتم في شريعة الموالاة واجبه وفرضه وهو التمسك على الذرية الواصلة الى الله تعالى عند السؤال والطلب والوسيلة الكافية بما يوجب الامل في العساجلة والقلب والاشارة الى ما يقتاد القلوب الى الله تعالى بأزمنة الرغب والرهب ويستعمل النفوس الى اكتساب السعادة الابدية التي ينجمون فاز به من العطب فرأيت ذلك من أنفسنا الاحكام وأنه من الاقسام وأنفع حاجته بحركات الاقدام * فقامت اسنى هذه الاسباب طائفة الكتاب وأسمى منازلها الرقاب منتهى القواعد والابواب فإنه اذا عرضت أقسام الكلام على الافهام ورصعت جواهر الحكم والاحكام في سلك النظام فهذه الخامسة أحادها وكذا العادة أن بالحلو وانقسام الطعام وهو الدعاء الذي هو سر عبادة الصالحين والتسك بعرفته تدرك اختلاف مطالب المتبحرين وباقامة أوراده ترجع حقيقة المفلحين نسك من داع سعد ببركة الدعاء وكم من تاج كفاه الله بدعائه شر البلاء وكم من حاجة قضيت لطالبها بشرف ما دعا به من الاسماء وقد أمر الله عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة فأخبر على لسان نبيه بأن لكل مؤمن في كل يوم دعوة مستجابة وأنزل في الكتاب العزيز وقال ادعوني أستجب لكم وقال سبحانه وتعالى لذنيه صلى الله عليه وسلم واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية. وقال تعالى آمن يحيي الموتى اذا دعاه وقال تعالى قل ما يعبدكم ربى لولا دعاؤكم ورؤى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء ينفع مما نزل وما نزل من القرآن ولئن أورد القضاء إلا الدعاء فعليكم بالدعاء وعلى الجملة فالدعاء عظيم ومقامه كريم ووجهه وسيم وقدره جسيم فمن رغب في خیر من خیرات الدنیا والآخرة أورد ربه من شر من شرور الدنیا والآخرة فليتضرع الى الله تعالى ويبتل اليه ويسأله ويدعوه بالانحلاص نية ولهازة عزيمة في أن يرزقه الله مطلوبه أو يدفع عنه مرهوبه

أو يغفر له ذنبه فإن الله تعالى أكرم من أن يخيب أمل عبده فيه وقد أخبر على لسان
نبيه صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وهذه أدعية مأثورة مختارة من
الدعوات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم اقتصرنا على هذا المقادير منها
(هـن ذلك) ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضي الله عنها عليك من
الدعاء بالسكوا مل الجوامع قولي اللهم اني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم
وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل اللهم اني أسألك
من الخير ما أسألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر
ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم وما قضيت لي من
أمر فأجعل عاقبته لي رشداً (ومن ذلك) الدعاء الذي ألقاه جبريل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رواه ابن عباس رضي الله عنه وهو * يا من أظهر الجليل وسر
الغيب يا من لم يؤخذ بالجريرة ولم ينك السر يا عظيم العفو يا حسن التجاوز
يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة يا منتهى كل شكوى يا صاحب كل نوى
يا كريم الصفع يا عظيم المن يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها يا ربا يا سيدها يا أملاه
يا غاية رغبتنا أسألك يا الله أن لا تشوه خلقى بالنار (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه
أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد حلة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك
أنت الله الذي لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن عمدا عبدك ورسولك لا يغفر
الله له ما أصاب في إيمته من ذنب وإن هو قالها حين يمسي غفر الله له ما أصاب في يومه
من ذنب (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول حين يصبح وحين يمسي حتى فارق الدنيا اللهم اني أسألك
العفو والعافية في ديني ودنياي ومالي وما لي اللهم استر عوراني وآمن روعاتي
اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ
بعظمتك أن أغتال من تحتي (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه عبد الله بن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهديني
بها قاي وتجمع بها شمل وتلم بها شعبي وترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايي
وترفع بها شأني وترزق بها غلي وتبيض بها وجهي وتلهي بها ردي وتعضمني

بهامن كل سوء اللهم أعطني إيماناً صادقاً و يقيناً ليس بعده كفر ونعمة أنال بها
 شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل
 الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الأنبياء والنصر على الأعداء اللهم اني أنزل بك
 حاجتي وان قصم رأي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا فاضل الأمور
 وباشافي الصمد وكما تحب بين البحور أن تحبني من عذاب السعير ومن دعوة
 الثبور ومن فتنه القبور اللهم ما قصر عنه رأي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيي
 ولا أمني من غير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيها أحداً من خالقك
 فاني أرتغب اليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هاديين مهديين غير
 ضالين ولا مضلين حرباً بالأعداء وسلماً بالأنبياء تحب بعبادك من أحببك ونعادي
 بعد أولئك من خالفك من خالفك اللهم هذا الدماء وعليك الأجابة وهذا الجهد
 وعليك التكاليف ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ﴿وَأما﴾ اسم الله الاعظم
 والاسماء الحسنى التي ما سئل بها الا أعطى ولا دعي بها الا أجاب وما قيل في ذلك
 فقد ذكرته الخفيض ما قيل فيه وفصلت تلك الاسماء الحسنى على ما وردت
 في الحديث المروي طريق الترمذي رحمه الله في المختصر الموائم في ذلك المسمى
 بزيادة المصنفات في الاسماء والصفات وفيه غنية وبلاغ عن اعادته وليسكن نردف
 هذه الدعوات المذكورة والروايات المأثورة بما هو معروف بدعاء الاستخارة
 ودعاء الحاجة فانما دعا آن مشهود لهما بنج المسمى بخصوصان بذلك نقلاً ووضعاً
 مناسباً لما جعلناه عقلاً وشرعاً (استخارة) فقل جابر بن عبد الله رضي الله عنه
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة
 من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول
 اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك
 تعلم ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر
 خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال وعاجل أمري وآجله فاقدري لي ويسره
 لي ثم بارك لي فيه اللهم وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة
 أمري أو قال في عاجلي أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير
 حيث كان ثم رضني ويسمي حاجته * وأما الحاجة فقل عبد الله بن أبي أوفى قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له الى الله تعالى حاجة أو الى أحد من بني

أدم في تروضا وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثني على الله وليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش
العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك بموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة
من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لي ذنبا الا غفرتة ولا هما الا فرجته ولا حاجة
هي لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين

﴿ تذييل ﴾ لما كان الدعاء والتضرع الى الله تعالى مشروطا بركة القلب وصفاء
الباطن وطهارة النفس وإخلاص النية وصحة التصدد وذلك لا يحصل الا بتبصرة
وذكرى فانه لا يستراب في أن تذكري القلوب بأيام الله وتخويف النفوس بالوقوف
بين يدي الله يكسوهما من الرقة والصفاء فلا يس الأسعاد ويبعثها على الاستعداد
لساكن سبل الرشاد ويوقفها لاحتقار الزاد يوم المعاد يوم مالها من عاصم ومن
مضال الله فخاله من هاد * وقد عا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مثل
هذا لما ولي الخلافة أن أول من أيقظني من ارحم وكان هذا من ارحم مولى لعمر قال عمر
حبست رجلا في ساء وقت في حبسه القدر الذي يجب عليه فسكاه في من ارحم في اطلاقه
فقلت ما أنا بفخره حتى أبلغ به أكثر مما مر عليه فقال لي من ارحم يا عمر بن عبد العزيز
اني أحذرك لئلا تمخض بالقيامة في صبيحتها تقوم الساعة يا عمر لقد كنت أنسى
اسك مما سمع قال الامير وفعل الامير وصنع الامير فوالله ما هو الا أن قال ما قال
فسكاهما كسفن عن وجهي غشاء فذكروا أنفسكم رحمكم الله فان الذكري تنفع
المؤمنين * فهذا ما أوردت من الالفاظ المرفعة للقلوب والكلمات المرغبة للنفوس
في اجتناب الذنوب والاذكار التي بها يثب الصالحون قلوب الخائف والعظماء بحكم
الوجوب ما هو عند اعتباره واختباره تذكرة للثقلين وفيه ان شاء الله شفاء لما في
الصدر وهدي ورجة للمؤمنين * فنه قول سعيد بن عامر لامي المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اني موصيك بكلمات من جوامع الاسلام ومعالمه قال أجل
قال اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله ولا تخش نفسك فوالله ان خير
القول ما صدقه الفعل وأحب لفريق المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل
بيتك وخص العناية بالحق حيث علمته ولا تخف في الله لومة لائم قال عمر رضي الله
عنه ومن يستطيع ذلك يا سعيد قال من ركب في عنقه مثل ما ركب في عنقك * ومنه
قول خولة بنت حكيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قتادة خرج عمر بن الخطاب

من المسجد ومعه الجارود العبدى فاذا امرأة برزت على ظهر الطريق فسلم عليها عمر
رضي الله عنه فردت عليه السلام وقالت فيه يا عمر عهدتك وانت تسمى عيراني
سوق عكاظ تصارع الغتيان فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى
سميت أمير المؤمنين فأتق الله في الرعية را علم أنه من خاف الموت خشى الفوت فبكى
عمر رضي الله عنه فقال الجارود فيه اجترأت على أمير المؤمنين فأبكيتيه فقال عمر
دعها أما تعرف هذه هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه فعمر
والله أحق أن يسمع قولها فانها هي التي أنزل الله في حقها لما جاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي الى الله ومنه
قول أبي بكر ؓ وقد دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم
يضي عليك وفي كل ليلة تأتي عليك لا ترداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا
وعلى أثرك طالب لا تقوته وقد نصب لك حدا لا تجوزه فأسرع ما تبلغ الحد وما
أوشك ما يلحقك الطالب وأنا وأنت وما نحن فيه كلنا زائل وسنصير الى ما هو باق
في الآخرة ان غير الخير وان شر افشروا ربك بغافل عما تعملون يومنه قول أبي
حازم سليمان بن عبد الملك قال ابن أبي كثير لما حج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة
قال هل بها أحد أدرك جماعة من الصحابة قالوا نعم أبو حازم فأرسل اليه فأتاه فقال
له يا أبا حازم ما نكرك الموت فسال عمر ثم الدنيا خربت الآخرة فمكرهون
المخروج من العمر ان الى الخراب قال صدقت يا أبا حازم ليت شعري ما لنا عند الله
قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجل قال أين أجده من كتاب الله قال أبو حازم
قال الله تعالى ان الامرار في نعيم وان الفجار في عذاب فأي راحة الله تعالى قال
قريب من المحسنين قال سليمان فكيف العرض على الله تعالى غدا قال أما
المحسن فسكال غائب يقدم على أهله وأما المسيء فسكال باق يقدم على مولاه فبكى
سليمان بكاء شديدا وقال كيف السبيل ان أن تصلح الاعمال قال قال نعم يومون بالسوية
وتعدلون في القضية وتراعون أمر الرعية وذكر كلاما طويلا كان آخره أن قال له
سليمان ارفع يا أبا حازم حاجتك قال نعم ترزخني عن النار وتدخلني الى الجنة قال
سليمان ليس ذلك الى قال هذه حاجتي قال فادع لي قال اللهم ان كان هذا سليمان
من أوليائك فدمره بخير الدنيا والآخرة وان كان من أعدائك فخذ بناصيته الى
ما تحب وترضى ثم تركه وانصرف يومنه ما رواه الزهري قال نظر سليمان بن عبد الملك

الى رجل يطوف بالكعبة فقال يا ابن شهاب من الرجل فله رواء فقلت يا امير المؤمنين
هذا طاوس الياني وقد أدرك عدة من الصحابة فأرسل اليه سليمان فأثابه فقال
عسى تحدثنا فقال حدثنا ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان أهون الخلق على الله من ولي من أمر المسلمين شيئا ولم يعدل فيهم فتغير وجه سليمان
وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثني رجل من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب ظننت أنه أراد عليا عليه السلام قال دعاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام في مجلس من مجالس قريش ثم قال
ان لكم على قريش حقوا وقريش على الناس حقاما استرجوا فرجوا واستحكموا
فعدلوا واتقوا فأدوا من لم يفعل ذلك لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فتغير وجه
سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثنا ابن عباس
رضي الله عنه أن آخر آية نزلت من كتاب الله واتقوا يوم ترجعون فيه الى الله ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فبكى سليمان فتركه طاوس وانصرف
ومنه ما رواه المدائني قال قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سليمان بن عبد الملك
ان بالسباب رجلا يطلب الدخول فقال أدع له فدخل فقال له سليمان من الرجل
فقال من عبد القيس بن قصي والى مكاهك يا امير المؤمنين بكلام وان كرهته فان
من وراءه ما تحب ان قبله فقال قل يا أعرابي فقال يا امير المؤمنين انه قدما كنتك
رجال باعوا دينك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فبكى
نحووا الا نخوة وعروا الدنيا فلا تأمنهم على ما آثمتك الله عليه فانهم لم يأوا
الامانة تضديعوا والامة تحسوا أنت مسئول عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد
آخرتك فان أعظم الناس غيبا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي علة
سألت عيناك فقال أجل يا امير المؤمنين لك لا عليك قال فهل لك من حاجة
في ذات نفسك لتعفى فقال أما حاجة دون عامة فلا ثم قام وخرج فقال سليمان لله
درهما أشرف أصله وأجمع قلبه وأدرب لسانه وأصدق نيته وأورع نفسه هكذا
فأمكن الشرف والعقل ومونهما كنية الحسن البصري رحمه الله الى عمر بن عبد
العزيز لما بعث اليه يقول له ذكرني بما أتتفع به أو جرت كتب اليه أما بعد فلو كان
لك يا امير المؤمنين عمر نوح ومملك سليمان وبقين ابراهيم وحكمة لقمان فان امانك
هول الموت ومن وراءه دار ان انخطأت ههنا صرت الى ههنا وهي الجنة والنار

فاجعل لذلك والسلام * ومنه ما رواه رباح بن عبيدة قال كتب عمر بن عبد العزيز
الى طاوس كتابا يسأله عن بعض ما هو فيه فأجابه بكلمات يسيرة ولم يزد عليها
رأيت عمر أتاه كتاب أعجب اليه منه كتب اليه سلام عليك يا أمير المؤمنين فان الله
تعالى أنزل كتابا أو أحل فيه حلالا وحرم فيه حراما وضرب فيه أمثالا وجعل بعضه
متشابهة فاحل يا أم المؤمنين حلاله وحرم حرامه وتذكر في أمثال الله تعالى
واعمل بحكمه وآمن بمتشابهه واعتبر بأمثاله والسلام عليك * ومنه قول محمد
بن كعب وقد دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين انما
الديار سوق من الأسواق خرج منها ناس بما ضرتهم وخرج منها ناس بما نفعهم
وكم من قوم غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
منها ملومين لم يأخذوا منها ما أحبوا ومن الآخرة عتدة ولا ما كرهوا الجنة واقتسم
ما جعوه من لم يحمدهم وصاروا الى من لم يعذرهم فائق الله يا أمير المؤمنين وانظر الى
ما نحب أن يكون معك اذا قدمت الى ربك عز وجل فافعله والذي تكرهه فاتركه
وافتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم واعلم ان فلانا من كن فيه
فقد استكمل الايمان بالله عز وجل من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل واذا
غضب لم يخرج غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له فخذها نفعك الله بها
ثم قام وخرج * ومنه قول زياد العبد مولى ابن عباس لعمر بن عبد العزيز وقد دخل
عليه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد كيف حاله قال سيئ الحال
قال فان كان خصمين ألدين قال ذاك أسوأ الحال قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنيه
عيش قال والله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد الا هو وخصم لك عند الله تعالى
مطالك ان قصرت في حقه فبكي عمر حتى رقق له من حضر * ومنه ما رواه عثمان
الخمراساني قال قال أبي كنت عند هشام بن عبد الملك وقد دخل عليه عطاء بن أبي رباح
سيفقهاء الجباز فلما رآه قال له مرحبا مرحبا ها هنا ها هنا فرفعه حتى مست
ركبة تركبته وعنده أشرف الناس يتخذون فسكتوا فقال هشام ما حاجتك
أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أهل الله وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم
فيهم عطاءهم وأرزاقهم فقد تأخرت عنهم فقال نعم يا غلام اكتب لأهل المدينة
وأهل مكة بعطاءهم وأرزاقهم مجلاتهم قال ثم ماذا يا أبا محمد فقال أهل نجد أصل
العرب وقادة الاسلام ترد فضول صدقاتهم فيهم قال نعم يا غلام اكتب بأن ترد فيهم

فوصول صدقاتهم ثم قال هل من حاجة غير هذا قال نعم اتق الله يا أمير المؤمنين في
نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك لا والله ما معك من
هؤلاء الذين تراهم أعوانك أحديهم فأكب هشام يبكي وقام عطاء فلما كان
عند الباب وأنامعه وإذا رجل قد تبعه بكيس ما أدري فيه دراهم أو دنائير وقال
إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال له قل له لا أسألكم عليه من أجران أجرى الأعلى
رب العالمين ثم خرج لا والله ما قبل لهم شيئا * ومنه ما قاله الأوزاعي قال كنت
بالساحل فبعثت إلى المنصور فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي
وأجلسني وقال ما الذي أبطأك يا أوزاعي عنأقلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال
أريد ألا أخذ عنكم ولا اقتباس منكم قلت فإياك يا أمير المؤمنين أن تسمع شيئا
ولم تعمل به فصاح بي الريح وأومأ بيده إلى السيف فأنهره المنصور وقال هذا مجلس
مشوية لا مجلس عقوبة قال الأوزاعي فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية
بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعيال بات غاشا رعيته حرم الله
عليه الجنة يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك
كلم يسبق لغيرك جاء عن ابن عباس في هذه الآية ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها إن الكبيرة القهقهة والصغيرة التسم فكيف يحصاها
الأيدي وحصدته الألسن يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب قال لو ماتت شاة
على شاطئ الفرات ضيعة تخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على
بساطك فأخذ المنصور المنديل ووضع على وجهه وبكى وانحى إلى أن رجته ثم قلت
يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم التقوى وأنه من
طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعفه فحسى
نصيحتي لك يا أمير المؤمنين والسلام عليك ثم نهضت فتمال لي إلى أين فقلت إلى
الولد والوطن بأذن أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى فقال قد أذنت لك وشكرت
نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه فلا تخاني من مطالعتك
إياي بما لها فإني المقبول غير المتهم في النصيحة قلت أفعل إن شاء الله تعالى قال
محمد بن مصعب فأمر له المنصور بحال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في
غنية عنه وما كنت لأيسع نصيحتي بعرض الدنيا كلها وعرف المنصور مذهبه
وصدق قصده فلم يجد عليه في رده صلتة * ومنه قول شبيب بن شيبة للمنصور

وقد قال له عطفي وأوتير فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى لم يرخص لك أن يجعل فوق منزلك أحدا من عاقله فلا ترضى له من نفسك أن يكون عبد من عبادك أشكر منك له ومنه ما رواه الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين الرشيد فقال لي بمكة انظري رجلا أسأله فقلت ها هنا الفضل بن عياض قال امضي بسأله فأتته فاذا هو قائم يصلي تلاوته من القرآن يرددها قال اقرب الباب فترعته فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين قال مالي ولا مير المؤمنين فقلت سيحان الله أما عليك طاعته فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفا السراج والنجا إلى زاوية فدخلنا فجعلنا نلقه بأيدينا فسبقت كف هارون الرشيد إليه قبل فقال يا لها من كف ما ألينا ان نجت من عذاب الله فقال له خذ لمساخنة له فقال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا ساجد عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على فعدت الخلافة بلاء وعددتها أنتوا محاسبك نعمة فقال له سالم ان أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا واجعل افطارك الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم أخا وأصغرهم ولدا فوق رأياك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره للمسلمين ما تكره لنفسك ثممت اذا شئت وأنا أقول لك اني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الاقدام فهل معك من أصحابك رجك الله من يشير عليك بمثل هذا فيكي الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه فقامت أرقق يا أمير المؤمنين فقال لي يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق أنا به فلما أفاق قال زدني رجك الله قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أمرفني على امانة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الامارة حسرة وزدامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أمير افاعل فيكي الرشيد بهكاء شديدا وقال زدني رجك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل وإياك أن تصيح وتبكي وفي قلبك غش لاحد من رعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشل يرح رائحة

الجنة فيكي الرشيد ثم قال عليك دين قال نعم ديني لم يمسسني عليه والويل لي
ان سألني والويل لي ان ناقشني قال انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا
قال الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال هذه ألف دينار خذها فانفقها
عليك وعلى عيالك وتقرب بها على عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق
التجاة وانت تكافئني بمثل هذا سلك الله ووفقت ثم سكت فلم يكلمنا فخرجنا من
عنده فلما صرنا بالباب قال لي الرشيد يا عباس اذا دلتني على رجل فدلتني على
مثل هذا هذا سيد المسلمين * ومنه قضية أبي العتاهية فان أمير المؤمنين الرشيد
زخرق بحماله وبالع فيها وصنع طعاما كثيرا ثم وجهه إلى أبي العتاهية فأتاه فقال
صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال له في الحال

عش ما بدالك سالما * في ظل شاهة القصور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما شئت * لدى الروح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقوعت * في ضيق حشرة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لئلا تفسد فأمرته فقال

الرشيد عنه فانه رأى نافي غفلة وعنى فكره أن يزيدنا

﴿ وأخر هذا الايقاظ وخاتمة هذه الالفاظ ﴾

وصية ونصيحة أخبر بها أحمد مشايخي الامام العلامة أبو زكريا يحيى بن القاسم
المدرس بالنظامية ببغداد المهروسة بمنزله بها في أوائل سنة عشرة وستمائة قال
أخبرني بها تاج الاسلام أبو عبد الله محمد بن خنيس الموصلي قال أخبرني بها الامام
أبو حامد الغزالي رحمه الله وكتب بها على يدي إلى الشيخ أبي الفتح أحمد بن سلامة
المدرس بالموصل يقول * فيما أقرع سمعي انك تلمس مني كلاما وجيرا في معرض
النصح والوعظ وانى لست أرى نفي اهلا فان الوعظ زكاة نصابها الايقاظ فمن
لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل
والعود أعوج وقد أوصى الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام يا ابن مريم غط نفسك
فاذا انعطفت فعظ الناس والافاستحي مني وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم

واعطين ناطقا وصاعنا فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت ومن لم يعط بهما فكيف يعط غيره ولقد وعظت نفسي بهما فقلت صدقت قولنا وعلمنا وأبنت وعتردت تحقيقا وفعلت لنفسى أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقلت بلى فقلت قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فقلت أوعدا الله بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يحببك يعد الموت فهو من الدنيا فهل تزهدت عن حب الدنيا وأرادتها ولو أن مليشيا نصرانيا وعدك بالموت أو المرض على تساول أله الشهوات لتساميتها وأنفيتها أفكان النصراني عندك أصدق من الله فان كان كذلك فما أجهلك وأكفره وان كان المرض أشد عليك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالوعظ الصامت فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت إذ قال الله تعالى قل إن الموت الذي تفترون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقلت لها هي أنك ملأت إلى العاجلة أفلم تستصدقة بأن الموت لا يحلها تأنيك قاطع عليك ما أنت متمسكة به وسألب منك كل ما أنت راغبة فيه وإن كل ما هو آت قريب وإن البعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا وعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يعون فكأنك مخرجة الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكأن ذلك منها قول لا تحصيل وراه ولم يجتهد قط في تردد الآخرة كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضا الخلق ولم تستحي قط من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولا تشهر لاستعداد الآخرة كتشهرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل الصيف فانها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تفرغ من جميع ما تحتاج إليه فيه مع أن الموت ربما يحتفظها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن يحتطف منها فقامت لها الست تستعدن للصيف بقدر طولها وتضعن آلة الصيف بقدر صبرك على الحرج قالت نعم قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذي لا يرحص في تركه إلا الحق ثم استمرت على

على سجيها ووجدتني كما قال بعض الحكماء في الناس من يخرج نصفه ثم لا يترك نصفه
الا تخرولا أو اني الامم ولسان اتهام قسادية في الطغيان غير ممتعة بموعدة الموت
والقرآن يابى اهم الامور التفتيش عن سبب قسادية ما مع اعتراها وتصديقها فان
ذلك من البهائث العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موصي
نفسى وإياك بالخذرمه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي الى الغرور والاهمال
وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه وأخبره صادق في
بياض نهاره أنه يموت في ليلة أو عوت الى اسبوع أو شهر لاستقام واستوى على
الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه الله وهو فيه مغرور
فيضلا عما ليس لله تعالى فأنكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يؤمل انه يمسي
أرأسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يفل من القمور والتسويق ولم يقدر الا على سير
ضعيف فأوصيه ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى
صلاة مودع ولقد أوفى جوامع السكام وفصل الخطاب ولا يتفهم بوعظ الابه ومن
غلب عليه ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضرته مخوفة من الله ونخشيتة منه
ومن لم يخطر بظن طوره قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه عن صلاته وسبب موت نفسه
فلما زال في غفلة دائمته وقبور مستقر وتسويف متتابع الى أن يترك الموت وتنهك
حسرة القوت وأنامته فتح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه الرتبة فاني
طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى لنفسه الاجاء أن يعذر موافق الغرور
فيما ويعترف من عباد النفس فان خشيها لاية في عليه الا الا كتاب وقابل ما هم
والوصايا وان كانت كثيرة والمذكرات وان كانت كثيرة فوصية الله اكملها
وأتمها وأشملها وأجمعها وقال عز وجل في محكم القرآن الكريم ولقد وصينا
الذين آمنوا أن يقرءوا الكتاب من قبلهم ويا أيها الذين آمنوا انقروا الله فاسأله من قبل وصية الله
تعالى وعمل بها وأدبرها لنفسه ليجريها يوم مردها ومقلبها * فهذه اشارات
نافعة ومذكرات جامعة صدرت من تذكير عصره وبقي ذكره ورقم في صحيفة
أعماله وثوابه وأجره فالله سبحانه وتعالى يوفق لاعتبارها واسماعها ويجمع بها كل
أذن تعينها وكرمه مسؤول في توفيقها وهداية وإرشاد فان من وقفه الله تعالى
يجعل له دايته أسبانيا ويفتح له بين يديه الى رشده أبوابا فتحصل له الهداية من
حيث لم يحتسبها وتسهل العناية التي بانيتها وهو لم يكتبها كمال عبد الله العبداني

قال كان من اجل يقال له مازن وكان بقرية من عمان يقال لها شمائل وفيها صنم
تعظمه بنو الصامت من طي ومهرة ويذبحون له ويتقربون بالذبايح اليه وكان هذا
مازن يعظمه قال مازن فمقرنا يوم عقيرة وهي الذبيحة فسمعنا صوتا من الصنم وانا
عنده وليس عنده غيري

يا مازن اسمع بمر * ظهر رخيرو بطن شر * بعث نبي من مضر

بدين الله الاكبر * فدع نصبتا من حجر * تسلم من حوسقر

فقلت ان هذا ليجب واخذني من ذلك ما اخذني ثم بدأ يوم عقيرة أخرى له
فلما ذبحتها سمعت الصوت بعينه من الصنم * اقبل الى اقبل * اسمع ما لا يجهل
هذانبي مرسل * جاء بحق منزل * فامن به لتعدل * عن حنار تشعل *
وقودها بالبخندل * فقلت ان هذا ليجب واخذني ما اخذني وقلت ما هذا الاخير
يرادني فبينما انا كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز فقلت ما الخبر وراءك فقال
قد ظهر رجل من قريش يقال له احمدي يقول ان اتاه احييوا داعي الله فقلت هذا
نبا امرى فثرت الى الصنم فسكمرته قطعا وركبت بهلى حتى قدمت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وهديت * فهذا لما كتب اليه القدر
الرباني بقلمه ونخط هدايته في سابق القضاء وقدمه انقذه الله تعالى من الضلالة
وساقه الى الهداية على لسان صوته وقد تجرى الاقدار في السابقة بحسن الخاتمة
لا قوام ذوى قلوب غافلة وعميون نائمة فتوقظهم في آخر امرهم وتورثهم من الاخرة
عيشة راضية في سعادة دائمة * كما حدث صدوقين مرداس البكرى قال نظرت الى
ثلاث قبور على شرف من الارض مما يلي بلاد طرابلس وعلى كل واحد منهم شيء
مكتوب واذا هي قبور مسنمة على قدر واحد مصطفة بعضها الى جنب بعض ليس
عندها غيرهما فحدثت منها ونزلت الى القرية القرية منها فقلت لنسبح جلست
اليه لقد رأيت في قريةكم عجبا قال وما رأيت فقصصت عليه قصة القبور قال
قد بينهم اعجب مما رأيت فقلت حدثني امره قال كانوا ثلاثة اخوة أحدهم أمير
يعجب السلطان ويؤمر على المداشر والجيوش والاخر تاجر موسر مطاع في ناحيته
والاخر زاهد قد تخلى بنفسه وتفرد لعبادة ربه قال فحضرت أخاهم العابد الوفاة
فاجتمع عنده أخواه وكان الذي يعجب السلطان قدولى بلادنا هذه امره عليها
عبد الملك بن مروان وكان في امره ظالما غشوما متعسفا فلما حضرا عند أخيهما

قال له ألا تروى قال لهما لا والله مالي مال أوصي فيه ولا لي على أحد من فإوصي به
ولا أخلف من الله فباشيتا فأسببه فقال له أخوه الأمير يا أخي قل ما بدا لك
وما تشتهي أن يفعل فهذا مالي بين يديك فأوص منه بما أحببت وأعهد لي بما
شئت لا فعله فسمكت عنه ولم يجاوبه فقال أنصوه التساوي يا أخي قد عرفت مكسبي
وكثرة مالي فلعل في قلبك حاجة من الخير لم تبلغها إلا بالانفاق فهذا مالي بين يديك
فاحكم فيه بما أحببت ينقذه لك أخوك فأقبل عليهما وقال لا حاجة لي في مالكما
ولكن أعهد اليكما عهدا فلا يخطا الفنى فيه أحد منكما قال أأعهد قال إذا مت فاسلاني
وإدفني في على نشر من الأرض واكتب على قبري

وكيف يلد العيش من هو عالم * بان الله الخلق لا بد سائله
فما أخذ منه فإله لعباده * ويخزيه بالخير الذي هو فاعله
فإذا فعلت ذلك فائتني في كل يوم مرة ثلاثة أيام لعلكم تتعظان في قال فلما سمعت ذلك
فكان أخوه الأمير كل يوم يركب في جندته حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ
عليه ما تيسر ويكي فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يعي مع جندته فنزل فلما
أراد أن ينصرف سمع هذه من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فأنصرف مذعورا
فزع فلما كان في الليل رأى أخاه في منامه فقال يا أخي ما الذي سمعت من قبرك قال
في تلك المفعمة قيل لي رأيت مظلوما فلم تنصره قال فأصبح وهو ما فدا أخاه وخاصة
وقال ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتبه على قبره غيري وإني أشهد حكم
أني لا أقيم بين أظهركم وترك الأمانة ولزم العباد فكتب أصحاب عبد الملك بن
مروان إليه في ذلك فكتب أن خلوه وما أراد قال فصار يأوي الجبال إلى أن
حضرته الوفاة في هذا الجبل وهو مع الرعاة فبلغ ذلك أخاه فأتاه وقال يا أخي ألا تروى
فقال مالي من مال فأوصي به ولو كن أعهد اليك عهدا إذا أنا مت ووجهزني فادفني
إلى جنب أخي واكتب على قبري

وكيف يلد العيش من كان موقنا * بان المنايا بقية ستعاجله
فنبيله ملكا عظيما ونعمة * وتسكنه القبر الذي هو آله
ثم تعاودني ثلاثا بعد موتي فادع لي لعل الله أن يرزني فلما مات فعلم به أخوه ذلك
فلما كان في اليوم الثالث من أتياه إياه جاء على عادته فدعاه وبكى عند قبره
فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة في القبر كادت تذهب بعقله فرجع مقلقا فلما كان

في الليل اذا باخيه قد اتاه في منامه قال فلما رايتك وثبت اليه وقلت يا اخي اتيتنا
زائرا قال هيها يا اخي بعد المزار فلا مزار واطمأنت بنا الدار قال فقلت كيف
اخي قال ذلك مع الائمة الا برار فقلت فما امرنا عندكم قال من قسم شيئا من الدنيا
وجسده فاغتتم وجودك قبل فقدك قال فأصبح أخوه فعزلا لا الدنيا منخلها منها
ففرق امواله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله عز وجل قال ونشأ له ابن حسن
الشباب والهيئة فاشتغل بالتجارة فغضرت أياه الوفاة فقَالَ له يا بُني ألا توصي قال
يا بني ما بقي لي مال لا وصي به ولكن اذا أنا مت فادفني الى جنب عمومتك واكتب
على قبري

وكيف يلد العيش من هو صائر * الى جدت تيلي الثياب منازلها
ويذهب حسن الوجه من بعد صونه * سر يعاوي لي جمعه ومقاتله
واذا فعات ذلك فتعا هني بنفسك ثلاثا وادع لي ففعل الفتى فلما كان في اليوم
الثاني سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير لونه ورجع مغموما الى أهله فلما كان
من الليل أتاه أبوه في منامه وقال له يا بني أنت عندنا عن قليل والامرناجر والموت
أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحلتك وحول جهازك من المنزل الذي
أنت عنه طاعن الى المنزل الذي أنت فيه متيم ولا تتر بما اغتر به الغافلون قبلك
من طول أما لهم فقصر واعن أمر معادهم فدمعوا عند الموت أشدا الندامة وأسفوا
على تضييع العمر أشدا الأسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على
التقصير أنقذهم من شر ما لاقاه المغبونون يوم الحشر يا بني فبادر ثم بادر *
قال صدقة بن مرداس قال الشيخ الذي حدثني هذا الحديث فدخلت على الفتى
صبيحة ليلته من الرؤيا فقصصها علينا وقال ما أرى الامر الا كما قال أبي ولا أرى الموت
الا قد قرب فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضي ديونه ويسجل من خطاياه ومعامله
ويودعهم كهيفة رجل قد أُنذر بأمر فهو يتوقعه ويقول قال أبي بادر ثم بادر
فهني ثلاث ساعات وقدمضت أو ثلاثة أيام وأتى لي بها أو ثلاثة أشهر وما أراني
أذكرها أو ثلاث سنين وهوا أكثر ذلك قال فلم يزل يقسم أمواله ويتصدق حتى
اذا كان في آخر اليوم الثالث من ليلة هذه الرؤيا دعا أهله فودعهم ثم استقبل
القبلة ومدد نفسه وغض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله تعالى قال
فكث الناس حينما يتناولون قبره من الامصار يصلون عليه وكم من أمثال هؤلاء

فمن هداهم الله تعالى لرشدكم فألقى في قلوبهم حلاوة انقطاعهم وزهدهم وأيقظ
 بهم من جاء من الخلف من بعدهم ^{بوتيقته وإشارته} كما أن الانقطاع إلى الله
 طلب العبادته والزهادة في الدنيا للتفرغ لطاعته طريق موصول إلى النجاة من
 أليم عقوبته ووسيلة إلى الفوز الأكبر بدخول جنته وعنوان سعادة لسالكه
 بتوقيته وهدايته فندرج من الله لهذا الطالب الأعظم طرقاً أخرى وأقام لها
 أقوالاً شرح لكل واحد منهم لسلوكها صمدراً وفاتت أعمال مراتبهم في التقرب
 إليه فعمل لكل شيء منها قدراً فأعجزها نفعاً وأعظمها عند الله سبحانه وقبلاً
 وأحب فأعلمنا إلى الله تعالى عقلاً وشرعاً من رزقه الله تعالى قدرة وسلطاناً
 فأقام الحق وبسط العدل وأحب الشرع وأعطى الملهوف ونصر المظلوم وردع الظالم
 وقع الفساد وجبر الكسير وفك الأسير وفرج عن المكروب وأمر بالمعروف ونهى
 عن المنكر وحي حوزة الدين ونظر في مصالح المسلمين فهذا من أقرب الطائفتين
 إلى الله منزلة وأقومهم طريقة وأخصهم بحبه الله تعالى له فقد نقل عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال الناس عيال الله فأحبهم إليه أنفق عليهم لعيلهم والله المستوفى
 أن يعضد المولى السلطان لأقامة هذه السنن بتأييده ويجعله في الدنيا
 والآخرة نافعاً يحتاج هذه السنن من أسعد عبيده وينظم له جواهر هذه
 الصفات في حلية عقوده ويمد من ملائكته المسومين
 بجند يكوّنون من أنصاره وجنوده بمجتهد وآله أجمعين
 وليكن هذا الدعاء إن شاء الله تعالى لهذا
 الكتاب ختام كلماته وتمام مقاماته وسر
 هفواته ~~زكاته~~ كغير سيئاته كما أنه نصرته
 قسيئاته وغرة سيئاته إن شاء الله
 تعالى والحمد لله
 وحده

بسم الله الملك المنان قد تم طبع هذا الكتاب الجليل الشأن الراقى في سماء
الفصاحة الى أعلاها البالغ من محاسن البراعة الى متنهاها فجميع من
مهمات الاخلاق والصفات والسلطنة والولايات والشرائع والديانات
ما تقر به العيون وتسط به نفس المحزون مع عبارات فائقة وأسارات رائعة
ومسائل شريفة ومطالب منيفة تشهد لؤلؤها بتقدمه في كل العلوم وإزازه
نصب السبق في ميدان المنطوق والمفهوم « وكان طبعه في مطبعة الوطن في سنة